





تاريخ الموسم والمقام

كامل جميل العسلي

عمان - ١٩٩٠

منشورات الجامعة الأردنية





موسم النبي موسى في فلسطين

تاريخ الموسم والمقام

كامل جميل العسلي

عمان - الأردن

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م

٩ ٥٦,٣٢٢١ ع
كامـ كامل جميل العسلي
موسم النبي موسى في فلسـطين : تاريخ الموسم والمقام/ كامل جميل العسلي . ـ عمان : الجامعة الأردنية، ١٩٩٠
(٢٤٠) ص
ر. أ (١٩٩٠/٣/١٤٥)
١ ـ القدس ـ تاريـخ   أ ـ العنــوان

(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة مكتبات والوثائق الوطنية)

مطبعة الجامعـة الأردنية
عمـان ـ ١٩٩٠

لو لم يكن لفلسطين هذا الموسم «موسم النبي موسى» لكانت جديرةً أن تخلقه، فهي في حاجةٍ اليه اليوم كما كانت في حاجة إليه قبله.

خليل السكاكيني
صحيفة الشورى - (القاهرة ٧ مايو (أيار) ١٩٢٥

المحتويـــات

القسم الثانـــي

موسم النبي موسـى
تاريخ الموسـم ووصف رسومه واحتفالاتـــه.

الفصـل الرابـع

الفصـل الخامـس

الفصـل السادس

ملحـــق



• المقدمـــــة •

الكتابة عن الأصول التاريخية لمقام النبي موسى وموسمه في فلسطين ليست بالأمر السهل، فمصادر المعلومات المتاحة في هذا الشأن، على الأقل ما عثرت عليه منها، قليلة للغاية. والكتب والمخطوطات العربية القديمة ان ذكرت شيئاً عن الموسم والمقام، فهي لا تذكر سوى لمع وشذرات ليس فيها غناء كبير. فضلا عن أنها كثيراً ما تحتوي على معلومات متناقضة من الصعب تمييز صحيحها من فاسدها، كما أنها تحتوي أحياناً على تعليلات ساذجة للوقائع التاريخية، أو تسكت عنها. والمهم أن الكثير من هذه الكتب خلو من الاشارة للموسم والمقام.

والمصدر الثاني للمعلومات، وهو الوثائق (بما فيها النقوش) والسجلات هو أيضاً مصدر شحيح. هناك وثائق عثمانية، ومنها سجلات محكمة القدس الشرعية، تورد معلومات تتعلق أساساً بأوقاف النبي موسى، وليس فيها إلّا القليل المتصل بغير ذلك من الشؤون. أما النقوش فهناك ثلاثة منها في مبنى المقام نفسه، أحدها وهو نقش الظاهر بيبرس، باني المقام، في غاية الأهمية. غير أن أياً من هذه المصادر المكتوبة ليس فيه إجابات عن أسئلة حاسمة تنشأ في ذهن المؤرخ، ولذلك فلا بدّ له أن يجمع معلومات صغيرة من هنا وهناك، ولا بدّ له أن يستنتج لدى محاولته الإجابة عن هذه الأسئلة. وهذه عملية دقيقة لا تخلو من مزالق. ومن هذه الأسئلة على سبيل المثال:

- متى بدأ الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى بين القدس وأريحا وما هي أسبابه؟
- هل كانت هناك منشآت في موقع المقام قبل بنائه؟
- متى بدأ موسم النبي بشكله الجماهيري المعروف؟
- ما علاقة موسم النبي موسى بعيد الفصح عند المسيحيين، وهل هو ردّ إسلامي عليه؟
- هل هناك صلة بين موسم النبي موسى وأعياد الربيع القديمة في فلسطين وغيرها من بلاد الشرق، وما هي هذه الصلة؟

وموضوع مقام النبي موسى موضوع هام، ليس من زاوية حب الاستطلاع فحسب، بل من زاوية التأريخ لفلسطين وتراثها أيضاً. فالمقام بناء أثري هام يتجاوز عمره الآن

سبعمائة سنة، وبانيه سلطان من أشهر، إن لم يكن أشهر، سلاطين المماليك وأعظمهم على الاطلاق. والموسم عيد احتفالي هام كانت له آثار كبيرة في الحياة الاجتماعية للشعب الفلسطيني على مر القرون، وساهم في إذكاء الوعي المشترك وتنمية الشعور بالانتماء لدى هذا الشعب. وقد كنت ممن شاهد احتفالات النبي موسى وأدركت شموليتها للمدن والقرى الفلسطينية ودورها الكبير في بعث المشاعر الوطنية ضد المشروعات البريطانية والصهيونية، وكذلك في بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها.

وكانت سلطات الانتداب البريطاني والهيئات الصهيونية ترهب هذا المظهر من مظاهر الوحدة الوطنية الفلسطينية فتستعدّ له باجراءات الأمن الاستثنائية، كما سعى الصهاينة غير مرة إلى تعكير الاحتفالات بالأعمال الاستفزازية.

ويستطيع الكثيرون من الفلسطينيين الآن أن يتحدثوا باسهاب عن الموسم الذي توقف منذ اثنين وأربعين عاماً، وفي حديثهم غناء فيما يتعلق بوصف الموسم كما عرفوه، ولكن قد لا يكون فيه غناء بالنسبة لتاريخه القديم، حيث يضطر المرء إلى أن يسير على أرض شائكة لم يساهم في تمهيدها له إلّا كتابات قليلة عابرة لا تعطي المقام ولا الموسم ما يستحقان من الدراسة المتأنيّة. وليس موسم النبي موسى في حاجة إلى دراسة واحدة بل هو في حاجة إلى دراسات تتخصص كل واحدة منها في الجوانب المختلفة للموسم وتعطيها حقها من البحث والتحليل ★.

ومن هنا نشأت لديّ فكرة وضع دراسة مطولة عن موسم النبي موسى ومقامه تبحث في مكان وفاة النبي موسى وما ورد في كتب الأقدمين بهذا الشأن، وتتناول القبة التي بناها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م. والأوقاف التي وقفت على المقام خلال

★ لا بدّ أن نشير الى عدد من الدراسات الحديثة الجيدة، ولكن الجزئية، التي كتبها كل من: توفيق كنعان، وعبدالله مخلص وL. Mayer و H. Spoer
وهناك وصف تفصيلي لاحتفالات الموسم كتبه الدكتور صبحي غوشة في كتاب صدر مؤخراً بعنوان «شمسنا لن تغيب». وكلها مدرجة في قائمة المصادر والمراجع.

وهناك بحث حديث نسبياً كتبه باحث اسرائيلي هو ساداان J. Sadan باللغة العبرية في مجلة: Hamizrah Hahadash, Vol. XXVIII (1979) بعنوان مقام النبي موسى. ويقع في جزئين، الجزء الأول يتناول التنافس بين الأقاليم حول الأماكن المقدسة (ص ٢٢ ـ ٣٨ من المجلد المذكور أعلاه) والجزء الثاني يتناول تضارب الآراء حول مقام النبي موسى كما تعكسه المصادر الاسلامية (ص ٢٢٠ ـ ٢٣٨ من المجلد نفسه).

القـرون، كما تبحث في الجـذور التـاريخية للمـوسم وتـطوره وتاريخه في عصري المماليك والعثـمانيين وتورد أوصاف الاحتفالات التي كانت تقام في عصر الانتداب البريطاني على فلسطين، وتتحدث أخيراً عن أهمية الموسم من خلال الحديث عن جوانبه المختلفة، وتختتم الدراسة بملحق وثائقي يشتمل على أقوال الرحالة والمؤرخين في شأن مقام النبي موسى وموسمه.

ولا أودّ أن أدعي أن هذه الدراسة شاملة لموضوعات البحث كلها، ولا أنها تفي كل موضـوع منها حقّه، وانما هي محاولة لالقاء أضواء على جوانب متعددة من تاريخ الموسم والمقام، على أنني اؤكد أنني بذلت جهد الطاقة في تحري صحة المعلومات وكذلك في تعليل الـظواهـر ووضع الاجتهادات واستخلاص النتائج. ومع ذلك فلا آمن ألا تكون بعض المعلومات أو الاجتهادات في حاجة الى مراجعة واعادة نظر، فالموضوع غير سهل، والمصادر الموثوقة قليلة، والدرب غير ممهّد من قبل.

وعلى أية حال فانني أرجو أن تسدّ هذه الدراسة ثغرة في هذا المجال بل وأن تستدعي دراسات أخرى يقوم بها المختصون في فعاليات الموسم المختلفة فيسدون بذلك خدمة لتراث فلسطين وتاريخها.

كامـل العسـلي

نيسان/ ١٩٨٩م.

القســـم الأول

مقام النبي موسى

تاريخ المقام وصفته في الوقت الحاضر

الفصـــل الأول

مقام النبي موسى في كتابات القدماء

متى وكيف نشأ الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى قرب القدس؟

منطقة المقام ـ وصـف عـام : ـ

يقع مقام النبي موسى في المنطقة الجغرافية المعروفة ببريّة القدس على مسافة زهاء ٣٠ كيلو متراً شرقي مدينة القدس. فعند الكيلو ٢٨ من الطريق الرئيسي القادم من القدس والمتجه إلى البحر الميت ومدينة أريحا، التي تبعد عن القدس حوالي ٣٥ كيو متراً، هناك طريق فرعي يتجه جنوباً طوله ٤ كيلومترات ويؤدي إلى مقام النبي موسى[١]، ويقع المَقام على تلّة ترابية في هذه المنطقة المنعزلة، ويبعد عن مدينة أريحا ٧ كيلومترات.

وبريّة القدس منطقة شاسعة يتراوح طولها بين بضعة كيلومترات وعشرين كيلو متراً. وعند جروف التصدع الممتدة في هذه المنطقة تسقط الوديان المتجهة إلى البحر الميت بشدة فوق أعتاب صخرية عظيمة المقاومة مما يحصر أقنيتها في خنادق أرضية غائرة.

لهذا كانت المنحدرات الدنيا من المنطقة بمثابة ملاجىء طبيعية اعتصمت بها الجماعات البشرية والطوائف التي آثرت حياة الانطواء والعزلة[٢].

وتتكوّن بريّة القدس في معظمها من أراض جيرية، تحتوي على كتل من الدولوميت، وتكثر حول مقام النبي موسى الحجارة الجيرية القطرانية. والعامة تستعمل هذه الحجارة لايقاد النار هناك. ومن أقوالهم في هذا الشأن «دستور ابن عمران اللي ناره من حجاره»[٣]. وتتكون قمم الجبال المحيطة من الجير الأبيض الذي يخالطه الصوّان. وتشير الجبال الشاهقة والوديان السحيقة المليئة بالشعاب والأفاجيج الى أزمان حفلت بالهزات الأرضية وتغيرات عنيفة في قشرة الأرض.

---

(١) تمّ تعبيد الطريق من القدس الى أريحا سنة ١٨٩٠، أما الطريق الفرعي الى النبي موسى فقد عبّد سنة ١٩٠٦.

(٢) د. صلاح الدين بحيري، جغرافية الأردن، ص ٤٣.

(٣) كانت تصنع من حجر موسى الاقداح وصحاف الطعام ودوايات الحبر. وكان بيع هذه الأدوات يروّج بالزعم بأن السوائل التي تشرب منها تسبغ على الجسم العافية والشفاء.

والبرية بجملتها أرض قفراء الّا أن هناك بعض الاعشاب التي تنمو في فصل الربيع، وهي تتاخم أرض الغور وتشمل بطاحاً ووهاداً خضراء ومنظرها في الربيع رائع، وقد أشاد به كثير من الرحالة. وهي خالية من الناس اجمالا باستثناء عدد قليل من مضارب البدو في صحرائها، ويلف المنطقة صمت عميق يثير الخيال وعزلة تغذي الاعتقاد بكائنات غير منظورة في أرجائها، فلا عجب أن غدت مكاناً أثيراً لدى النسّاك والمتعبدين والرهبان منذ الأزمنة القديمة وأن أصبحت في العصر البيزنطي مدرسة للرهابين من لاتين وفرس وهنود وأحباش وأرمن. وكان لهؤلاء الرهبان أحياناً نفوذ كبير على القبائل البدوية، وذكر أن القديس افتيميوس احد كبار الرهبان الأرمن في القرن الخامس[٤]، نصّر أحد مشايخ القبائل القاطنة في البرية وجعله أسقفاً على قبيلته. ودعيت أبرشيَّته بالمخيّم[٥].

وعلى امتداد العصر البيزنطي انتشرت الأديرة في برية القدس، وأشهرها دير قرنطل، ودير حجلة ودير القديس يوحنّا، ودير القلط، ودير مارسابا ودير ابن عبيد. واشتهر من أعلام الرهبان فيها افتيميوس ومار سابا[٦] ومار ثيودوسيوس[٧] وغيرهم.

في هذه المنطقة المنعزلة النائية عن العمران نشأ الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى على نشز من الأرض يطل على البحر الميت وقرية أريحا.

كيف نشأ الاعتقاد بالقبر عند جمهور المسلمين في جنوبي الشام ومتى؟

لقد حاولت أن أتتبع ذلك فيما ورد في الكتب القديمة عن المكان الذي توفي فيه النبي موسى ومكان قبره بنوع من التفصيل، بدءاً بالتوراة. والتوراة هي أقدم المصادر التي بين أيدينا.

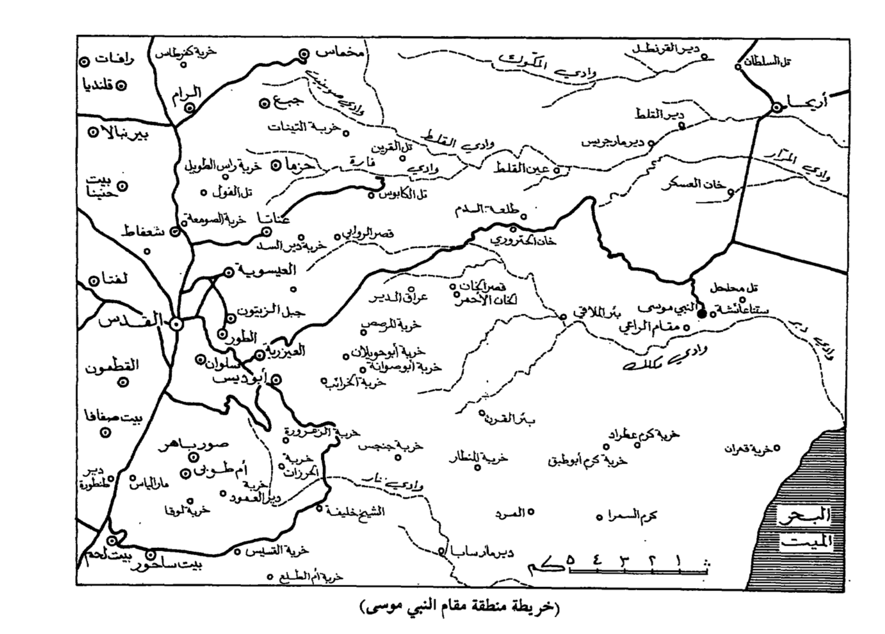
---

(٤) القديس افتيميوس (افتيموس) St Euthymius ناسك مشهور وأحد آباء التصوف الأرثوذكسي. وهو ارمني الأصل ولد في ميليتين بأرمينيا سنة ٣٧٧ وتوفي في برية القدس سنة ٤٧٣. وقد أسس هو وجماعته بعد أن قدم الى فلسطين سنة ٤١١ تقريباً ديراً انقطعوا فيه للعبادة والتأمل، ثم انشأ أديرة اخرى بين القدس وأريحا، كان أحدها قرب البحر الميت وسمي باسمه.

(٥) Jerusalem in History, ed. by K. Asali, Buckhurst Hill, 1989, p. 95.

(٦) مار سابا: قديس مشهور ولد في كابا دوكيا (بآسيا الصغرى) سنة ٣٣٩ ونزل فلسطين وبنى فيها ديره المعروف (١٥ كم جنوب شرق القدس) حوالي سنة ٤٨٤. قضى أكثر من خمسين سنة في العبادة والتقشف وتوفي ٥٣١ أو ٥٣٢ ودفن في ديره، ثم نقل جثمانه الى البندقية.

(٧) قديس مشهور عاش في فلسطين في القرن الخامس أيضاً وبنى فيها ديراً قريباً من دير مارسابا شرقي بيت لحم هو دير ابن عبيد، ويعرف أيضاً باسم دير دوسي (ثيودوسيوس). وقد بناه في أواخر القرن الخامس. توفي ثيودوسيوس سنة ٥٢٠ ودفن في ديره.



(خريطة منطقة مقام النبي موسى)

ماذا في التوراة ؟

جاء في سفر التثنية (الاصحاح الرابع والثلاثون من ١ ـ ٦) ما يلي :

(وصعد موسى من عربات[٨] مؤاب الى جبل نبو إلى راس الفسجة[٩] الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالى وأرض أفرايم ومنسّى وجميع أرض يهودا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر[١٠]. وقال له الرب: هذه هي الأرض التي أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها قد أريتك اياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر. فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه[١١] في الجواء[١٢] في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم).

هذه شهادة التوارة إذن صريحة بأن النبي موسى لم يدخل أرض فلسطين وأنه مات في أرض مؤاب، وعلى هذا الاعتقاد درج اليهود والمسيحيون. . . أما المسلمون فكان معتمدهم في مكان قبر النبي موسى الحديث الشريف الذي أورده البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه حول ما شهده الرسول ليلة الاسراء:

(قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلمّـا جاءه صكّه فرجع الى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. قال : إرجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال: ثم الموت قال فالآن قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة رضى الله عنه فقال رسول الله ﷺ لو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب[١٣] الأحمـر)[١٤] .

وبـالطبع فان تلال الرمال الحمراء موجودة في أماكن عديدة في سيناء وبلاد الشام وقرب المدينة المنورة أيضاً. ولذلك فانه قد يتعذّر من هذا الحديث تحديد مكان بعينه، على أن علماء المسلمين جهدوا في تحديد البقعة المقصودة كما سنرى بعد، ولكن ذلك حدث بعد مئات السنين من تناقل الحديث. . . أما أقدم المؤرخين المسلمين فقد آثروا اتباع الرواية التي

---

(٨) براري. (٩) القسم العلوي من جبل نبو أو قمّته. (١٠) صغر أو زغر على البحر الميت

(١١) أي الرب. (١٢) الوادي

(١٣) الكثيب هو مجتمع الرمل

(١٤) صحيح البخارى، محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ . الجزء الثاني، ص ١٧٧ ـ باب وفاة موسى.

جاءت في التوراة حول مكان وفاة النبي موسى وقبره.

فأحمد ابن اسحق اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م قال في تاريخه: «ثم صعد موسى إلى جبل نابون فنظر إلى الشام وقال الله له: هذه الأرض التي ضمنت لابراهيم واسحق ويعقوب أن اعطيها خلفهم وقد أريتكها بعينك، ولكنك لن تدخلها، فمات موسى في ذلك الموضع، فقبره يشوع بن نون، ولم يدر أين قبره»[١٥].

أما الطبري، محمد بن جرير، المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م فقد أورد في تاريخه[١٦] حول وفاة موسى عليه السلام جملة روايات ذهب أكثرها إلى أن موسى إنما مات في التيه: «عن ابن حميد مات موسى عليه السلام في التيه»[١٧]. «أما أهل التوراة فانهم يقولون هلك هارون وموسى في التيه. وإنَّ الله أوحى إلى يوشع بعد موسى وأمره أن يعبر الأردن»[١٨].

غير أن من الروايات التي أوردها الطبري ما يذهب إلى أن موسى ع. س. عبر الأردن وفتح أريحا كقوله: «قال آخرون انما فتح أريحا موسى ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار اليهم.»[١٩] وقوله: «ثم دخلها (أي أريحا) موسى ببني اسرائيل، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه الله اليه، لا يعلم بقبره أحد من الخلائق».[٢٠] ويضيف الطبري: «أما السّدى[٢١] فذكر أن الذي قاتل الجبارين (في أريحا) يوشع بن نون بعد موت موسى»[٢٢].

وفي صدد حديث الطبري عن وفاة موسى في التيه، نذكر أن جبال الشراة ومؤاب كانتا عند الجغرافيين العرب عند حدود التيه أي انهما متتاخمان.

قال ياقوت: «التيه.. أرض بين ايلة ومصر وبحر القلزم وجبل السراة (الشراة) من

---

(١٥) احمد بن اسحق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المجلد الأول، ص ٤٥/٤٦.

(١٦) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، المجلد الأول، دار سويدان، بيروت، ١٩٦٧.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٤٣٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٤٤١.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٤٣٩.

(٢١) اسماعيل بن عبد الرحمن السدى المتوفى سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م. تابعي سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير، كان اماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس (الزركلي، الاعلام، ٣١٧/١).

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤٣٩.

أرض الشام . . . يتصل حد من حدودها بأرض بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين» . وذهب إلى القول بذلك صاحب «مراصد الاطلاع» صفي الدين ابن عبد الحق . [٢٣] ويقول المقدسي في أحسن التقاسيم «وأما الشراة فجعلنا قصبتها صغر ومدنها مؤاب ، معان ، تبوك ، أذرح ، أيله ، مدين» . [٢٤] .

وأما رواية الطبري عن دخول موسى أريحا وموته فيها ، فهي التي تلفت النظر ولا ندري مصدره في ذلك . وربما كانت هذه الرواية من الدواعي التي أدت إلى الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى في موضع المقام الحالي قرب أريحا والبحر الميت من الغرب .

ويكرر المسعودي القول بوفاة موسى في التيه وفي أرض مؤاب : «كانت وفاة موسى وهارون وأختهما مريم بالتيه في سنة واحدة . »[٢٥] «ومات موسى في سبعة أيام من آذار في أرض مؤاب ودفن في الوادي من أرض مؤاب»[٢٦] .

أما المقدسي البشارى من أهل القرن الرابع الهجري أيضاً (والمتوفى سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) فلا يحدد موقعاً معيناً لوفاة النبي موسى ودفنه ، وانما يكتفي بالقول إن من بين مشاهد اقليم الشام قبر موسى . [٢٧]

وفي القرن الخامس ، وفي سنة ٤٣٨ هـ بالتحديد ، زار القدس الرحالة الفارسي ناصر خسرو وكتب عن مشاهدها ومشاهد فلسطين الأخرى ، فقد كانت زيارة المشاهد المقدسة همّه الأول ، ومع ذلك فانه لم يأت على ذكر قبر للنبي موسى في ديار القدس .

ومن الكتّاب المعاصرين لناصر خسرو / أبو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي والمتوفى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٤ - ١٠٣٥م . وقد كتب الثعلبي كتاباً مشهوراً عنوانه «قصص الأنبياء» اعتمد فيه اعتماداً كبيراً على القصص المتوارثة عن الأقدمين والتي شكلت الاسرائيليات عنصراً قوياً فيها . وهو يروي فيما يرويه قصة زيارة ملك الموت لموسى التي سبق ذكرها .

ومن مواضع مختلفة في روايته لقصة النبي موسى يتضح أنه كان يتبع رواية التوراة .

(٢٣) أ. س. مرمرجي الدومنكي ، بلدانية فلسطين العربية ، ص ٧٩ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .
(٢٥) علي بن الحسين المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ/٩٥٧م ، كتاب التنبيه والاشراف ، ص ١٩٩ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .
(٢٧) المقدسي (البشاري) محمد بن احمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٥١ .

قال الثعلبي :

[قال السدى في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانيّ وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا : بينما موسى عليه السلام يمشى وفتاه يوشع بن نون إذ أقبلت ريح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة ، فقال : يا قوم أظن أنها الساعة ، واني ملتزم بموسى نبي الله ، فانسلّ من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا : قتلت نبي الله ، فقال : والله ما قتلته ولكنه انسلّ مني ، فلم يصدقوه وأرادوا قتله ، فقال لهم : إذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام ، فدعا الله ، فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره أن يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه إلينا ، فتركوه .][28]

ويضيف الثعلبي قصة طريفة عن ظروف اختفاء النبي موسى أسندها إلى وهب بن منبه الذي أدخل كثيراً من الاسرائيليات في التراث الاسلامي .

[قال وهب بن منبه : خرج موسى ليقضي حاجة ، فمرَّ برهط من الملائكة فعرفهم ، فأقبل اليهم حتى وقف عليهم ، فإذا هم يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسن منه ، ولم ير مثله قط في الخضرة والنضرة والبهجة ، فقال لهم : يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا : نحفره لعبد صالح كريم على ربه ، فقال موسى : إن هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ، ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعاً ، فقالت الملائكة : يا صفيّ الله أتحب أن يكون لك؟ قال : وددت ذلك ، قالوا : فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهل نفس تنفسه ، فنزل فاضطجع فيه ، ثم توجه إلى ربه ، ثم تنفس ، فقبض الله روحه ، ثم سوّت الملائكة عليه التراب . وقيل إنه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة ، فشمها فقبض الله روحه .]

والمهم في هذا كله أن الثعلبي لم يشر من قريب أو بعيد الى وفاة النبي موسى في مكان قريب من أريحا أو إلى دفنه بجوارها .

ونأتي بعد ذلك إلى القرن السادس الهجري حين نجد أول ذكر في الكتب لقبر النبي موسى قرب أريحا عند أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروى المتوفى سنة ٦١١هـ/١٢١٤م :

---

(٢٨) ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي ، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ، ص ٢٤٧ و ٢٤٨ .

فعند الحديث عن ريحا (اريحا) قال الهروي : (ريحا قرية بها قبر ذكروا إنه لموسى بن عمران عليه السلام وورد أن ريحا مدينة الجبارين المذكورة في القرآن). [٢٩]

ولا ريب أن الهروى الذي زار القدس وفلسطين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، أي في فترة الاحتلال الصليبي، كان يردد ما سمعه من الناس أثناء زيارته للقدس. ومعنى ذلك أن الناس كانوا يتحدثون عن وجود قبر لموسى عليه السلام في منطقة أريحا منذ القرن السادس الهجري (١٢ ميلادي) وربما منذ أوائل ذلك القرن.

ويعد الهروي بعشرات قليلة من السنين نصادف الفقيه والمؤرخ والمحدث ضياء الدين المقدسي محمد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٤٣/٧١٥م بدمشق يتحدث عن قبر موسى عليه السلام بلهجة أقوى من لهجة الهروي. فيفنّد زعم ابن حبّان (ابو حاتم البستي المتوفى ٣٥٤هـ/ ٩٦٥)[٣٠] أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس ويتعقبه بالقول بأن أرض مدين ليست قريبة من المدينة ولا من بيت المقدس ثم يضيف الضياء قوله: «وقد اشتهر قبره في الأرض المقدسة وهو قريب من أريحا.. ان ذلك القبر الذي اشتهر انه قبر موسى عنده كثيب أحمر وطريق». [٣١]

ونجد هنا لأول مرة تحديداً لموقع الكثيب الأحمر الذي ورد ذكره في الحديث النبوي وأنه في المنطقة القريبة من أريحا.

---

(٢٩) الهروي، علي بن ابي بكر، الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل ـ طومين، ص ١٨.
وفي الصفحة ذاتها يتحدث الهروى أيضاً عن بلد مؤاب فيقول (به قرية يقال لها شيحان بها قبر ينزل عليه النور ويراه الناس، وهو على جبل فيزعمون انه قبر موسى بن عمران عليه السلام، والله أعلم).
ويرد اسم شيحان أيضاً في هذا الصدد في معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي المتوفى ٦٢٦هـ/١٢٢٩م. (معجم البلدان، ج٣، ص ٣٤١) حيث يقول: (شيحان أو سيحان جبل مشرف على جميع الجبال التي حول القدس، وهو الذي أشرف منه موسى فنظر الى بيت المقدس فاحتقره وقال: «يا رب هذا قدسك؟» فنودي انك لن تدخله أبداً فمات ولم يدخله).

ويرجح أن كلمة شيحان محرفة عن سيحون، وهو ملكي عموني قديم حكم بلاد مؤاب. وهناك جبل وخربة بهذا الاسم اليوم على بعد حوالي ٥٠ كم من مأدبا ومن جبل نبو.

وقول الهروى، وكذلك قول يافوت يؤيدان، كما هو ظاهر، الرواية المأثورة عن التوراة.

(٣٠) مؤرخ وجغرافي ومحدث. ولد في بُست من بلاد سجستان وتنقل في الأقطار. من كتبه «المسند الصحيح في الحديث» و«الأنواع والتقاسيم» جمع فيه ما في الكتب الستة مع حذف الأسانيد.

(٣١) انظر محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن جماعة، أبو البقاء نجم الدين المتوفى بعد سنة ٩٠١هـ/١٤٩٦م، الدر النظيم في اخبار سيدنا موسى الكليم، مخطوط تشستر بيتي رقم ٣٤٦١، الورقة ١١٠.

وقد يصح لنا أن نربط أحاديث الناس في بلاد فلسطين بشأن وجود قبر النبي موسى بين ظهرانيهم بالاحتلال الأجنبي للبلاد.

إن أهل فلسطين لم يسلموا باحتلال الفرنجة لبلادهم. وأهم ما في بلادهم بالطبع هي المقدسات. فغير غريب أن ينبعث اهتمام قوى بالأماكن المقدسة ومقامات الأنبياء والأولياء في فترة الاحتلال هذه بالذات، إثارة للهمم من أجل استنقاذ البلاد والدفاع عنها وتحريرها، وخير دليل على ذلك انبعاث أدب فضائل بيت المقدس في القرن الخامس والسادس الهجريين ثم في القرون التالية عندما كانت البلاد مهددة بالاحتلال أو محتلة.[٣٢] وكان وصف المشاهد المقدسة في فلسطين، وتمجيدها، أهم عنصر في كتب الفضائل. ولم تكن كل المشاهد المذكورة في هذه الكتب قائمة على حقائق تاريخية موثوقة بطبيعة الحال، بل إن كثيراً منها كان يعتمد على مأثورات نسجتها المخيّلة الشعبية، أو كان لها سند ضعيف من الواقع، ونشأت في أوائل العصر الاسلامي أو حتى في العصور السابقة للاسلام. ولكن في كل حين كان لاحياء هذه المقدسات وإبرازها هدف ديني أو سياسي أو اجتماعي. واذا كان الهدف الأساسي للحكام الأيوبيين والمماليك استنقاذ البلاد من أيدي الفرنجة فقد رحّبوا بالتسليم بما كان يتردد في الأوساط الشعبية من أقوال عن المشاهد المقدسة، ومن ثمَّ اهتموا بهذه المشاهد المقدسة وتعميرها أو بنائها حيث لم يكن فوقها بناء، ولم يكن من شأنهم استقصاء حقيقة هذه المشاهد من وجهة تاريخية، وهو أمر كان على أية حال متعذراً في أكثر الأحيان.. ونذكر على سبيل المثال فقط مما فعله الأيوبيون والمماليك في هذا الشأن بناء قبر ومنارة على مسجد النبي يونس في حلحول سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م. وبناء مقام لسلمان الفارسي في اسدود ٦٦٧هـ/١٢٦٨م وبناء قبر البشير في مغارة الأحزان بصفد سنة ٨٠٥/١٤٠٢، وبناء مقام الفضل بن عباس ابن عم الرسول في الرملة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م... وكان من ذلك أيضاً بناء قبة على قبر النبي موسى بين القدس وأريحا سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م. لقد زرعت البلاد بالمزارات والمقامات والمساجد والزوايا والربط تثبيتاً للمسلمين في البلاد وحفزاً للهمم للدفاع عن أولى القبلتين وموطن الاسراء.

قد يكون من المعقول اذن، على ضوء ما ذكرنا، أن الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى قرب أريحا وفي مكان مشرف على البحر الميت من جهة الشرق نشأ في القرن السادس الهجري، ما دمنا لم نجد في المصادر الأقدم عهداً أي ذكر أو إشارة إلى وجود القبر في هذا

---

(٣٢) راجع كتابنا: «مخطوطات فضائل بيت المقدس».

المكان. ولكن لنا أن نتساءل مع ذلك عن أصول الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى بالذات في هذا المكان وأسباب نشوئه؟

إنه سؤال صعب.

يقول المستشرق الفرنسي كليرمون جانو الذي عاش في القدس في القرن الماضي إنه سأل عدة أشخاص من العربان الذين يقيمون في تلك المنطقة و«يحلفون بحياة ابن عمران»، ليتأكد من منشأ هذا الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى في هذا الجانب الغربي من نهر الأردن فأجابوا بأن الملائكة عندما جاءوا إلى موسى ليخبروه بأن ساعته قد حانت كان على الجانب الشرقي من نهر الأردن ثم هرب من الشرق لينجو من الموت إلى أن وصل إلى المكان الذي يسمى اليوم بالنبي موسى. وفي ذلك المكان رأى بعض الملائكة يحفرون قبراً فأغروه بالدخول فيه، وعندما حاول الخروج منه جاءه ملك الموت فأسلم الروح.[٣٣]

وهذه الرواية فيها عناصر (الملائكة الذين يحفرون القبر الخ.) من الروايات التي وردت في الكتب القديمة، ومنها رواية الثعلبي عن وهب بن منبّه التي مرّ ذكرها، وفيها اضافة وتحوير لهذه الروايات من حيث تعليلها لوجود قبر النبي موسى في هذا المكان بالذات قرب القدس.

وهناك افتراضات أخرى جاء بها الرحالة الأجانب الذين زاروا البلاد في أوقات مختلفة. والذين كانوا ينطلقون من الاعتقاد بالصحة المطلقة لما جاء في التوراة، ويبنون افتراضاتهم على هذا الأساس. وأقدم هؤلاء الراهب فيلكس فابري Felix Fabri من مدينة ألم Ulm بألمانيا. وقد زار فلسطين مرتين في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، التاسع الهجري. قال فابري: إنه عندما كان في سهول أريحا رأى أكواماً من الحجارة وضعها الشرقيون تكريماً للنبي موسى لأنه كان ممكناً من هناك رؤية جبال اباريم (Abyrim) (وأحدها جبل نبو في مؤاب) ورأس الفسجة... لهذا السبب كانوا يكوّمون الحجارة عندما يأتون إلى هذا المكان ويصلون ويجثون على ركبهم وهم ينظرون إلى تلك الجبال التي رأى موسى منها أرض الميعاد. وعلى مقربة من هذه الأكوام رأينا هرماً عالياً حديث البناء في المكان الذي يعتقدون خطأ أن موسى دفن فيه.[٣٤].

---

(٣٣) C– Ganneau, Archeological Researches in Palestine, Vol II, pp 49,50.

(٣٤) Palestine Pilgrims Text Society, Vol 9 and 10, The Wanderings of Felix Fabri, p. 188.

ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً الزوار والمرسلون الأوروبيون في القرن التاسع عشر ومنهم تشارلز وارن Ch. Warren (من صندوق اكتشاف فلسطين) والقس جـورج بوست G. Post . يقول وارن انه يعتقد أن فسجة هي اللسان أو الرأس المعروف باسم المشقّر شرقي البحر الميت والذي يقع قبر موسى على مقربة منه، ثم يضيف قائلا: «وافترض أن هذا القبر يمكن رؤيتـه من المـوقـع الحالي للنبي موسى. وفي الأيام المضطربة التي كان يعسر على الحجـاج أن يعـبروا فيها نهر الأردن أصبح من دأبهم أن يأتوا إلى هذه البقعة ويشخصوا ببصرهم إلى القبر التقليدي للنبي موسى (في شرق الأردن) ويقيموا نصب الحجارة فيها، كما كان يفعل الآباء (الأنبياء المذكورون في التوراة) في قديم الزمان عند الوفاء بالنذور. . . وأصبح الموقع (الحالي لمقام النبي موسى) مقدساً لهذا السبب. . »(٣٥)

ويتابع القس جورج بوست تشارلز وارن فيما ذهب إليه ويضيف إلى ذلك أن مقام النبي موسى إنما جعل في موقعه الحالي مراعاة لراحة الحجاج (أي زوّار القبر) الذين كان من العسير عليهم القيام بالزيارة والذهاب إلى جبل نبو.(٣٦)

أما المهندس كونراد شيك (Conrad Schick) الألماني السويسري الذي عمل مدة مع صندوق استكشاف فلسطين وتوفي في القدس سنة ١٩٠١ فيطالعنا بنظرية أخرى يفترض فيها أنه كانت تقوم في مكان مقام النبي موسى في زمن ازدهار إقامة المستوطنات (أي في القرنين الخامس والرابع الميلاديين) بيعة قديمة تحولت فيما بعد إلى دير كان مؤسسه يدعى «موسى» ودفن هذا في الدير. وعندما جاء المسلمون واحتلوا الدير ظنّوا أن موسى المشار إليه هو موسى نفسه الذي كانوا يجلّونه كنبي وأن قبره هو قبر موسى النبي.(٣٧)

وسوف نرى أن افتراض شيك كان وهماً لا أساس له.

ومن ناحية اخرى فان المصادر العربية المبكّرة التي ذهبت إلى وجود قبر النبي موسى في هذا المكان قرب أريحا اكتفت بالقول بأنه اشتهر وجود قبر النبي قرب أريحا. أي أن ذلك

---

(٣٥) Ch. Warren, Underground, Jerusalem, p. 280, 281.

(٣٦) George E. Post, A Narrative of Scientific Expedition in the Transjordanic Region in the Spring of 1886 (PEFQS, October, 1888. p. 178).

ويغلط بوست هذا خلطاً شديداً حين يقول: ان الحكومة التركية هي التي ابتدعت موسم النبي موسى لمواجهة احتفالات عيد الفصح عند المسيحيين واليهود.

(٣٧) C.Schick: Die Alten Lauren und Klöster in der Wuste Juda, ZDPV, Vol. III (1880), p. 16.

كان ذائعاً بين الناس (الهروى وضياء الدين المقدسي) لكنها لم تورد تعليلا تاريخياً لذلك.

إلّا أنه ينبغي أن نشير في هذا الصدد إلى ما أورده العمري في مسالك الأبصار (القرن الثامن الهجري) ونعقب على ذلك بالاشارة إلى بعض «التعليلات» التي أوردتها مصادر اخرى في أواخر العصر المملوكي وفي العصر العثماني.

يؤخذ من قول العمرى أن الذي ثبّت الاعتقاد بوجود قبر النبي موسى قرب أريحا هو رؤيا شيخ في موضع القبر المفترض. قال العمري تحت عنوان :

[قبر موسى بن عمران عليه السلام

قبر موسى الكليم — بالقرب من أريحاءَ . وتعرف القرية بَشَيْحان.

رواية في تحقيق موضعه ومنام عجيب

رأيت بخط علاء الدين آبن الكلّاس ما صورته : «قال الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي عن والده قال: زرتُ قبر موسى (عليه السلام) الذي بالقرب من أريحاء. قال الشيخ إبراهيم: وكان إذ ذاك لم تُبْنَ عليه قُبَّةٌ ولا مشهدٌ. قال: فقلت في نفسي: اللهم أرني ما ازداد به يقيناً في صحة هذا القبر. قال: فبينا أنا نائم رأيت كأن القبر انشقَّ وخرج منه إنسانٌ طُوال. قال: فجئتُ إليه وسلَّمتُ عليه، وقلتُ له: من أنت؟ قال: موسى بن عمران. وهذا قبري. وأشار اليه. ثم قعدنا. وإذا بالقرب منا رجل يطبخ في قِدره فلما آستوى طعامه، أحضره إلينا واذا هو شورباء أرز. فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق، وأنا ثلاث ملاعق، والرجل ثلاثاً، ثم تداولناها بيننا إلى أن فَرَغَتْ. قال الشيخ عبدالله : وكنتُ على عزم العود إلىٰ بلاد العجم إلىٰ عند شيخى. فقال لي موسى عليه السلام : أنت لا تسافر إلى شيخك. وكيف تسافر؟ وأنت تريد تتزوج بآمرأة من نسل الرسول وتُرزق منها أربعةَ أولاد. وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنىٰ الأربعة، وضم الإبهام الىٰ باطن كفه، يحكيه. قال الشيخ إبراهيم: فكان كما ذكر موسى عليه السلام. فلم يسافر والدي، وتزوج بآمرأة شريفة، وهي أُمّي. ورُزق أربعة أولاد، أنا أحدهم. ولما حضرته الوفاة، قلت له: يا سيدي أنت راضٍ عني؟

فقال: كيف لا أرضى عنك، وقد بشرني بك موسى عليه السلام.[38]]

إن هذه الحكاية الطريفة في حاجة إلى تعليق: فالقول بأن قرية شيحان قرب أريحا، ينطوي على خطأ ظاهر، لأن شيحان المعروفة هي في جبال مؤاب. أما راوية الحكاية علاء الدين بن الكلاس فهو علي بن محمد الدواداري المعروف بابن الكلاس وكان جندياً وشاعراً وناثراً. وقد توفي بحطين سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٨م.[39]. ولتحديد الزمن الذي أثرت منه الحكاية نقول إن الشيخ ابراهيم، الذي رواها عن والده، هو ابراهيم بن عبدالله بن يونس (في الأصل الذي نقلنا عنه وهو فوات الوفيات: يوسف، وهذا في ظننا خطأ والصحيح يونس كما ورد في العمري وابن جماعة) بن ابراهيم بن سليمان أبو اسحق الأرموي. وكان هو ووالده عبدالله بن يونس من الزهاد العباد المقصودين للتبرك، وقد ولد (أي الابن) سنة خمس عشرة وستمائة بجبل قاسيون وتوفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة.[40] ويضيف ابن العماد الحنبلي إلى ذلك ما يؤخذ منه أن ابراهيم كان كبير القدر في زمانه اذ «حضر جنازته الملوك والأمراء والقضاة، وحمل على الرؤوس.».[41]

ومن هذه المعلومات يتبين لنا أن الحادثة التي رواها عبدالله بن يونس لابنه الذي ولد سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م. قد حدثت قبل ذلك التاريخ (لأن موسى عليه السلام قد بشر أباه بمولده كما يقول..) ربما في اوائل القرن السابع الهجري، أي قبل بناء قبة بيبرس على القبر (سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) بأكثر من نصف قرن. ونقدّر أن حكاية الشيخ الأرموي عن الرؤيا التي رآها في المنام كان لها أثرها في الناس في تلك الأزمان. فثبتت عندهم الاعتقاد بصحة القبر. وربما كانت من الدوافع الهامة التي حدت ببيبرس إلى بناء القبة فوق القبر قرب أريحا. وما من شك في أن بناء القبة قد ثبت بدوره الاعتقاد بصحة القبر لدى عامة الناس، ولدى بعض العلماء أيضاً. ولكن يبدو أن التسليم بصحة القبر ظلّ أمراً بعيد المنال، حتى بعد بناء القبة سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، عند كثير من العلماء. فالكثيب الأحمر الذي ورد ذكره في

---

(٣٨) ابن فضل الله العمري المتوفى ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، ص ١٧٦ و١٧٧. وترد هذه الحكاية أيضاً في مخطوطة «الدر النظيم في أخبار موسى الكليم» لابن جماعة (تشستربيتي رقم ٣٤٦١، ورقة ١١٠)

(٣٩) محمد بن شاكر الكتبي المتوفى ١٣٦١/٧٦٤م، فوات الوفيات، الجزء الثالث، ص ٩٤.

(٤٠) المصدر السابق، ج١، ص ٣١.

(٤١) عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩هـ/١٦٦٩ - ١٦٧٠م. شذرات الذهب، الجزء الخامس، ص ٤٢٠.

الحديث الشريف كان يمكن أن يطلق، كما قلنا، على أماكن كثيرة تمتلىء بها هذه البلاد ابتداء من سيناء وانتهاء ببادية الشام، وهناك أيضاً كثيب أحمر قرب المدينة. وصحيح أن هناك تربة حمراء في موقع الخان الأحمر (الآن جنوب الكيلو ١٦ على طريق القدس وأريحا)، لكن ليس هناك كثيب من الرمال بل هناك أرض صلصالية جيرية صلبة.

ولدى استعراض أقوال الرحالة والعلماء المسلمين بعد بناء القبة، وبالترتيب الزمني، نجد أن أول من أشار إلى قبر النبي موسى في الكثيب الأحمر مرة اخرى، بعد أكثر من نصف قرن على بناء القبة، هو ابن بطوطة الذي زار الشام سنة ٧٢٦/١٣٢٥م. قال ابن بطوطة: «وبمقربة من بيت المقدس وأريحا موضع يعرف بالكثيب الأحمر تعظمه اليهود». [٤٢] ولا ندري من أين جاء ابن بطوطة بالقول «تعظمه اليهود»؟. وعلى أية حال فان روايته لا تدل على أنه كان يعلم بوجود قبة بناها بيبرس في هذا المكان.

ولعل أول مؤلف ذكر قبة بيبرس صراحة هو ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩/١٣٤٨م/ في «مسالك الأبصار» في حديثه الذي اقتبسناه من قبل حين قال عن قبر موسى: «وكان إذ ذاك لم تبن عليه قبة ولا مشهد»، ثم في حديثه عن دير السيق (دير مار سابا) إلى الجنوب الشرقي من القدس إذ قال: «دير السيق قبلي بيت المقدس على نشز عال مشرف على الغور، غور أريحا يطل على تلك البسائط الخضر ومجرى الشريعة، وبه رهبان ظراف أكياس ولا يأتيهم الّا قاصد لهم أو مار في مزارع الغور، تحتهم وفوقهم الطريق الآخذة الى الكثيب الأحمر، وقبر موسى عليه السلام في القبة التي بناها الملك الظاهر بيبرس.» [٤٣].

وبعد العمري بقليل قال الكتبي في «فوات الوفيات» الذي كتبه في سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م. بصدد حديثه عن الظاهر بيبرس:

«وبنى على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجداً، وهو عند الكثيب الأحمر. ووقف عليه وقفاً.» [٤٤].

وردّد مثل هذا القول عن الظاهر بيبرس صاحب النجوم الزاهرة حين قال بعد الكتبي

---

(٤٢) محمد بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص ١١٣ ـ ١١٤.

(٤٣) مسالك الأبصار، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٤٤) فوات الوفيات، المصدر السابق، مجلد ١، ص ٢٤٣.

بأكثر من مائة عام: «وبنى على قبر موسى عليه السلام قبة ومسجداً، وهو عند الكثيب الأحمر قبل أريحا ووقف عليه وقفاً» .[٤٥].

ونلاحظ من ناحية اخرى أن الكثيرين من كبار المؤلفين الذين كتبوا بعد بناء قبة بيبرس قد أغفلوا ذكر القبة والقبر إغفالا تاماً، ومن هؤلاء شهاب الدين أحمد بن هلال بن سرور المقدسي مؤلف «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام» المتوفى ٧٦٥هـ/١٣٦٣م. فمع أن هذا المؤلف عرض لذكر الكثيب الأحمر في كتابه المذكور[٤٦] إلاّ أنه لم يقل إن هذا الكثيب كائن في الموقع المعروف بين القدس وأريحا.

والشيء نفسه يقال عن جلال الدين السيوطي الشهير (٨٤٩ ـ ٩١١هـ/١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م) إذ لم يورد السيوطي ذكراً لقبر النبي موسى في شرح الحديث النبوي عن الكثيب الأحمر في كتابه المعروف في شرح سنن النسائي.[٤٧].

أما ابن خلدون المتوفى ١٤٠٥/٨٠٨م فقد التزم برواية التوراة حيث قال: «دفن (أي موسى) بالوادي في أرض مؤاب، ولم يعرف قبره لهذا العهد».[٤٨].

وعندما أشار أحمد بن محمد القسطلاني (٨٥١ـ١٤٤٨/٩٢٣ـ١٥١٧) إلى الحديث النبوي الشريف حول الكثيب الأحمر في المجلد الثاني من «ارشاد الساري» قال: (وهذا ليس صريحاً في الاعلام بقبره الشريف، ومن ثمّ حصل الاختلاف فيه فقيل بالتيه وقيل بباب لد ببيت المقدس أو بدمشق أو بواد بين بصرى والبلقاء أو بمدين بين المدينة وبيت المقدس أو بأريحا، وهي من الأرض المقدسة).[٤٩].

لكن القسطلاني قال في المجلد الخامس من الكتاب نفسه: «وقد اشتهر قبر بأريحا عنده كثيب أحمر أنه قبر موسى».[٥٠]، وكلمة «اشتهر» كان يستعملها المؤلفون، عندما لم

---

(٤٥) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف المتوفى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م. النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٠٤

(٤٦) احمد الخطيمي، مثير الغرام، رسالة دكتوراة مخطوطة تتضمن تحقيقاً لكتاب مثير الغرام، ص ٢٦٤.

(٤٧) جلال الدين السيوطي، زهر الربى في شرح سنن النسائي، المجلد الأول، ص ٢٩٦.

(٤٨) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، ص ٨٧/٨٦.

(٤٩) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخارى، بولاق ١٢٦٧، المجلد الثاني، ص ٤٩٤.

(٥٠) المصدر نفسه، المجلد الخامس، مطبعة بولاق، ١٣٠٤، ص ٣٨٨.

يكونوا يرغبون في الزام أنفسهم بالاعتقاد بصحة القبر. ويبدو مع ذلك أن القسطلاني أصبح يرجح الرواية القائلة بصحة القبر الكائن قرب أريحا. وهذا الترجيح أصبح السمة الغالبة عند المؤرخين والعلماء، بعد بناء القبة وإن كانت درجة الشك واليقين تتفاوت فيما بينهم.

فابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ/ ١٣٧١ - ١٤٤٨٪) ردّ زعم ابن حبّان أن قبر موسى بمدين، وأورد قول الضياء المقدسي: وقد اشتهر عن قبر بأريحا عنده كثيب أحمر انه قبر موسى.[٥١]

ووقف موقف ابن حجر في تفنيد زعم ابن حبّان وتأييد قول الضياء المقدسي نجم الدين ابن جماعة المتوفي ١٤٩٦/٩٠١ في الدر النظيم، وقال «فالقبة المذكورة (أي قبة بيبرس) اشتهر أمرها وصار ذلك الموضع علما يقصده الزوار والناس من العلما والصلحا.»[٥٢]

وممن يرجح صحة القبر الذي قرب أريحا مجير الدين الحنبلي. فبعد أن أشار الحنبلي إلى القول القديم المأثور من أن موسى مات دون أن يدري أحد أين قبره ولا أين توجّه، وأنه، فيما نقل، دفن في الوادي من الأرض التي مات فيها، مضى يقول: «واختلف الناس في محل قبره فقيل ـ وهو المشهور عند الناس ـ أنه شرقي بيت المقدس بينه وبين بيت المقدس مرحلة».[٥٣]

وتحدث الحنبلي بعد ذلك عن المعجزات التي يستدل بها أن موسى مدفون في القبر الذي بنى عليه بيبرس القبة حديثاً يدل على الايمان والتصديق.

وتلا الحنبلي في هذا الشأن أكثر العلماء والرحالة الذين جاءوا البلاد في العصر العثماني، ومن أبرزهم الشيخ عبد الغني النابلسي[٥٤]. وكانت المعجزات هي المستند الأول

---

(٥١) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الامام ابي عبدالله محمد ابن اسماعيل البخاري، ج٦، ص ٤٤٢.

(٥٢) الدر النظيم، المخطوط السابق الذكر، الورقة ١١٠.

(٥٣) مجير الدين الحنبلي المتوفى سنة ٩٢٧هـ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١، ص ١٠٢.

(٥٤) يكشف لنا الشيخ عبد الغني النابلسي في معرض تفنيده لادعاءات اولئك الذين يشكون في صحة قبر النبي موسى قرب أريحا وجود مدرسة شامية قوية وقديمة كانت ترى أن قبر النبي موسى هو في مسجد القدم أو مسجد الاقدام قرب دمشق. وقد زاد هذا في البلبلة والشكوك حول القبر المجاور لأريحا. فقد أشار النابلسي =

الذي عوّلوا عليه في اثبات «صحة» القبر.

والحديث عن المعجزات والكرامات التي تروي القصص والحكايات الشعبية حدوثها عند مقام النبي موسى والتي اعتبرت دليلا على صحة القبر حديث طويل. وقد كانت هذه القصص والحكايات تتردد منذ أوائل عصر المماليك وكان لها أثر كبير في تثبيت الاعتقاد بالقبر عند سواد الناس. وننتهز الفرصة هنا لنتحدث عن هذه الحكايات الشعبية حول المعجزات، ونورد طرفاً منها :

المعتقدات والحكايات الشعبية عن معجزات النبي موسى وكرامات المقام

أبدت الجماعات والشعوب التي اعتنقت الاسلام همة عظيمة من أجل إعادة تفسير

= أولا إلى رسالة للشيخ محمد بن طولون الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣/١٥٤٦م «تحفة الحبيب باخبار الكثيب» يذكر فيها أن قبر السيد موسى عليه السلام في مسجد القدم قبالة الكثيب الأحمر في دمشق الشام. واستند ابن طولون إلى حديث منسوب للرسول (ﷺ) يقول: إنّ قبر موسى عليه السلام بين عايلة وعويلة، وهما محلتان كانتا بقرب مسجد القدم، وكذلك استشهد في هذا الشأن بما ذكره أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في تاريخ دمشق والرحالة محمد بن جبير الأندلسي، كما أورد ابن طولون روايات تؤيد وجود قبر موسى عليه السلام بدمشق لعبدالله بن سلام وكعب الأحبار. واردف عبد الغني النابلسي بذكر رسالة أخرى للشيخ برهان الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن ضيا بن سباع الفزاري المتوفى ٧٢٩هـ/١٣٢٩م عنوانها «تبيين الأمر القديم في تعيين قبر الكليم» وجزم فيها الفزاري بأن قبر موسى عليه السلام في دمشق الشام.
وقد استند النابلسي في تفنيده لهاتين الرسالتين ـ فيما استند إليه ـ إلى رواية الطبري حول دخول موسى عليه السلام أريحا وموته فيها (الحضرة الأنسية، ورقة ٧٩ و٨٠). والواقع أن هناك روايات قديمة كثيرة حول وجود قبر موسى عليه السلام قرب دمشق أيضاً، وكان الرحالة الهروي قد أشار في القرن السادس إلى هذه الروايات ورفضها. قال الهروي: مشهد الاقدام قبلي دمشق به آثار أقدام في الصخر. إنها أقدام الانبياء عم. ويقال إن القبر الذي به قبر موسى بن عمران وليس بصحيح. والصحيح أن قبره لا يعرف والله أعلم.
(الهروي، الاشارات، ص ١٣).
وقال ابن جبير في رحلته بعد حوالي نصف قرن من رحلة الهروي :
(ومن المشاهد الشهيرة، أيضاً مسجد الاقدام، وهو على مقدار ميلين من البلد مما يلي القبلة على قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى بلاد الحجاز والساحل وديار مصر، وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه «كان بعض الصالحين يرى النبي (ﷺ) في النوم فيقول له: ها هنا قبر أخي موسى ﷺ والكثيب الأحمر على الطريق بين غالية وغويلية كما ورد في الاثر، وهما موضعان.
وشأن هذا المسجد في البركة عظيم، ويقال إن النور ما خلا قط من هذا الموضع الذي يذكر أن القبر فيه حيث الحجر المكتوب، وله أوقاف كثيرة. فأما الاقدام ففي حجارة في الطريق إليه معلّم عليها، تجد أثر القدم في كل حجر، وعدد الاقدام تسع، ويقال انها أثر قدم موسى عليه السلام. والله أعلم بحقيقة ذلك لا اله سواه). (محمد بن جبير المتوفى سنة ٦١٤، رحلة ابن جبير ص ١٩٧). وكان ياقوت الحموي قد ذكر بين المواضع الشريفة التي يستجاب فيها الدعاء في دمشق «مسجد القديم عند القطيعة، ويقال إن هنا قبر موسى عليه السلام». (معجم البلدان، ج٢، ص ٤٦٥)، ونظن أن المقصود هنا هو مسجد القدم (أو الاقدام).

المظاهر الوثنية تفسيراً يقبله الاسلام.[٥٥] وأدرك الفقهاء عبث التصدي بالمقاومة لاتجاهات العامة. وكان أن نجحت الشعوب في الحفاظ على مزاراتها القديمة، وأماكنها المقدسة، بعد أن أعادت نسبتها إلى نبي أو ولي اسلامي أو ربطتها بحدث ديني اسلامي. وفي نابلس مثلا عمود حجري مقدس أسمته العامة بقبر الشيخ العمود. وعلى هذا فان كثيراً ممن ذكر أنهم من أولياء الله الصالحين، لم يكونوا في الحقيقة إلّا قادة أو حكاماً أو عبّاداً قدماء، سابقين للاسلام، أو أنهم لم يكونوا شخصيات حقيقية في التاريخ.

وقد احلّ الإسلام كما هو معروف، النبي موسى عليه السلام مكانة عالية من الاجلال، فهو كليم الله وهو من أولي العزم من الرسل. الّا أنه، كما نسبت في أزمان متأخرة نسبياً معجزات شتى للنبي محمد عليه السلام، نسبت إلى النبي موسى، معجزات ردّدتها الأساطير القديمة أو نسجتها مخيلة الأفراد والجماعات، في مسعاهم للتقرب من الله عن طريق أنبيائه أو أوليائه. وفي الحق أن أكثر ذلك لا يمكن التوفيق بينه وبين روح الاسلام ونصه الذي يصرح بأن الأنبياء بشر، ولذلك فليس لهم القدرة على خرق قوانين الطبيعة.

وقد تحول تقديس النبي موسى لدى سواد الشعب الفلسطيني أحياناً إلى مبالغات متطرفة لا يقبلها العقل، ومع ذلك فان هذا كان يعكس عواطف دافئة من الاجلال لكليم الله وايماناً عميقاً بخوارقه ومعجزاته. وما من شأننا أن نناقش الحكايات التي تروى عن خوارق النبي بميزان العلم، فهي نتاج فترة زمنية طبيعية في تطور العقل البشري، حين كان الايمان بالخوارق هو الطريق الوحيد لمحاولة فهم الأشياء الغريبة أو لجلب المنافع ودرء الشرور.

وفي الكتب التي وصلت الينا من عصر المماليك والعصر العثماني كثير من الصور التي رسمها الوجدان الشعبي عن معجزات النبي موسى، ومنها الكثير مما هو متكرر ينقله الجيل عن الجيل الذي قبله، ويأخذه الكتّاب واحدهم عن الآخر.

من أوائل المعجزات التي تحدث عنها المؤلفون الخيالات والأشباح التي كانت ترى عند ضريح النبي موسى. وكان من أوائل من أشار إليها مجير الدين الحنبلي إذ قال: «وقد ظهر في هذا المكان أشياء من أنواع المعجزات منها أن عند الضريح الذي بداخل القبة لا يزال

(٥٥) حين أراد الخليفة المنصور نقل حجارة من أطلال العاصمة الفارسية القديمة برسيبولس لاستخدامها في بناء عاصمته الجديدة احتجّ وزيره الفارسي خالد بن برمك بأنهاكانت مصلّى علي بن أبي طالب! (انظر حسين احمد أمين، دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، ص ٩١).

يرى فوق المحراب أشباح ألوانهم مختلفة منهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لابس أبيض ومنهم لابس أخضر يصافح بعضهم بعضاً وغير ذلك من الصفات. وللناس في ذلك أقوال مختلفة فيقال إنهم ملائكة ويقال إنهم الصالحون. وينظرهم كل الناس من الرجال والنساء والأطفال ولا يخفون على أحد». [٥٦]

وبعد مجير الدين تتردد قصة الاشباح والخيالات هذه عند عبد الغني النابلسي (١١٥٠ - ١٢٤٣هـ / ١٦٤١ - ١٧٣١م)، ومصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي (١١٠٥ - ١١٧٨هـ / ١٦٩٣ - ١٧٤٦م)، وقد تحدّث عبد الغني النابلسي عنها بشيء من التفصيل وبذل الجهد في تفسيرها حتى خرج من ذلك الى القول بأنها أشباح الملائكة تتنزل بصور جسمانية لتكون دليلا على صحة قبر النبي موسى. [٥٧] واستشهد اللقيمي بأقوال عبد الغني النابلسي بشأن الخيالات والأشباح بوصفها دليلا على صحة القبر[٥٨]. وردد آخرون هذا التفسير للأشباح والخيالات، والذي ورد عن الحنبلي والنابلسي واللقيمي. [٥٩].

ومن الكرامات والمعجزات الأخرى التي ذكر أنها تحدث في المقام الزوابع والأعاصير التي كانت تعصف بالخيام فتقتلعها وتجتاح الناس فتشرّدهم في كل اتجاه. وقد علّل الحنبلي ثوران الزوابع والأعاصير بأنه «اذا دخل المسجد امرأة من الناس يكون عليها حيض أو جنابة أو فعل أحد حول المسجد منكراً من المعاصي يثور هواء في تلك البرية حتى لا يقدر الرجل على رؤية من بجانبه وتنقطع حبال الخيام وتقلع الخيام من مكانها. وغير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على أنه ﷺ مدفون هناك»[٦٠] وهذا التفسير لثوران العواصف

---

(٥٦) مجير الدين، الانس الجليل، ج١، ص ١٠٢.

(٥٧) عبد الغني النابلسي، الحضرة الانسية في الرحلة القدسية، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، ورقة ٧٤ - ٧٨ ومنه نسخة ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية رقمها ٨٢٠ (انظر ملحق هذا الكتاب).

(٥٨) اللقيمي، «موانح الانس برحلتي لوادي القدس»، مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٥٢٤٨، ورقة ٥٦ - ٥٧.

(٥٩) غني عن البيان أن هذه الأشباح ليست شيئاً آخر غير السراب الذي يشاهد عند اشتداد الحرّ كأنه ماء تنعكس فيه صور الأشياء المحيطة. وهو ناشيء عن انحراف أشعة الضوء لدى انتقالها من طبقات الهواء الكثيفة إلى تلك الأقل كثافة وبالعكس. ومعروف أن توزيع الضغط العادي في الجو، في الصحراء خاصة، يختل بسبب السخونة الشديدة لطبقات الهواء القريبة من الأرض. وينشأ عن ذلك أن الضوء الصادر عن الأجسام البعيدة يرتد مرة اخرى عن الأرض بسبب انكسار الأشعة وانعكاسها ويؤدي ذلك إلى ظهور صور منعكسة لامعة ومشوهة خادعة للنظر وموهومة.

(٦٠) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل، ج١، ص ١٠٣

نجده أيضاً عند شيخ الاسلام البرهان بن أبي شريف أخي الكمال بن أبي شريف أستاذ مجير الدين اذ ينقل القسطلاني عن برهان الدين قوله: «انه اذا وقع هناك فعل ما لا يجوز تحصل ظلمة واضطراب حتى يزال ذلك فتنجلي.»[٦١] وأخذ بذلك أيضاً عبد الغني النابلسي، وروى قصة سمعها في هذا الشأن، قال: «أخبرني رجل أنه كان مرّة في صحبة بعض العلماء الكبار في ذلك المزار سنة من السنين فثارت الريح الشديدة وتحرك العجاج الكثير واضطربت تلك الأماكن على العادة المعهودة فعرفوا أن شيئاً وقع ممن هو حاضر هناك من الزوار ففتّشوا على ذلك واذا رجل جاء عندهم من المكاريّة وأخبرهم أنه أكرى امرأة من بيت المقدس إلى السيد موسى مع الزوار دابة له وأنه طمع في إيقاع الفاحشة بها وصدر منهما ما عصا الله به وجاءت المرأة فاعترفت بذلك وتابا الى الله تعالى وأقلعا عن المعصية. ومعلوم أن ذلك الاقرار بالزنا لا يوجب الحد لعدم كونه عند حاكم شرعي وعدم تكراره أربع مرات كما هو مقرر في كتب الفقه...» ويضيف النابلسي: «ثم إن ذلك الرجل العالم سأل المرأة هل لها مانع من النكاح من الموانع الشرعية فلم يكن لها مانع فعقد النكاح بينهما وقرأوا الفاتحة لحضرت موسى عليه السلام ودعوا الله تعالى فما استتمّوا ذلك حتى انجلت تلك الحالة وسكن ذلك الريح وذلك العجاج الثاير وصار كأن الأمر لم يكن. وهذه أيضاً من الأمور الدالة على تحقيق أن قبر موسى عليه السلام هناك.»[٦٢].

وفضلا عن ظهور الاشباح والخيالات وعن هيوب العواصف، فقد اعتبر الناس من كرامات المكان اشتعال الحجارة الكائنة فيه وامكان استعمالها كوقود.. ومن هنا كان القول السائر «دستور ابن عمران اللي ناره من حجاره». غير أن الشيخ البكري الصديقي قد فسّر اشتعال الأحجار تفسيراً صحيحاً حين قال إن ذلك يحدث «لأن أرضه كبريتية الاجرام وبذا أحجارها توقد ويجعل منها تنوراً فيتأجج ويتوقّد». [٦٣]

ومعروف أن التلة التي يقوم عليها المقام تتكون من حجارة من الحمّر أو القار تحترق بسهولة وتنبعث منها رائحة أسفلتية كريهة. ولكن الشيخ البكري حدّثنا عن معجزة حدثت له شخصياً في المقام ألا وهي شفاؤه الفوري من الصداع الشديد الذي ألمّ به عندما رفع

---

(٦١) القسطلاني، ارشاد الساري، المجلد الخامس، ص ٣٨٨.

(٦٢) عبد الغني النابلسي، الحضرة الأنسية، المخطوط ورقة ٧٧ ـ ٧٨

(٦٣) مصطفى البكري الصديقي، الخمرة المحسية، ص (٤) عن نسخة منقولة بخط مؤلف هذا الكتاب (ك.ع) عن مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، رقم ٣٨٤).

الستر الذي يغطي الضريح ووضعه على رأسه»(٦٤)

ولم يفت الشيخ البكري أن يورد أيضاً كرامة كانت تحدث بعد انتهاء موسم الزيارة، وسمعها عن بعض الثقاة الأخيار قال: «بعد مضي الزوار من تلك الساحة الأنيسة والبقعة المباركة النفيسة تأتي طيور بيض بمناقير طوال يأخذون بها القاذورات ويرفعونها من تلك المحال، ويعقبهم لا محالة غمامة هطالة تغسل تلك الأرض بالطول والعرض». وعلق البكري على ما سمعه قائلا: «لا تستكثر هذه العجيبة وعلى مثل هذا السيد ليست بغريبة».(٦٥)

ويروي لنا الرحالة المغربي ابو سالم عبدالله العياشي الذي زار فلسطين سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٢م ما سمعه عن «كرامة وقعت في بعض الأزمنة القريبة.. وذلك أن المحل الذي هو فيه (أي المقام) ليس فيه عمران.. وعلى المزار أبواب عظيمة مغلقة لا يتمكن أحد من فتحها... ثم إن الستر الذي على قبره وكانت له قيمة عظيمة وجد مبيعاً في بعض أسواق الشام وعرفه الناس فسألوا عن بائعه فاذا هو أعرابي فقير فأخذ، وأتي به الى والي البلد، فبعث إلى المشهد فوجدوا الستر قد أخذ منه والأبواب على حالها مغلقة فأمر بعقوبة الاعرابي فأقر أنه هو الذي سرقه فسأله كيف تمكنت من أخذه مع غلق الأبواب، فقال... انه لما حان وقت موسم من مواسم السنة وأنا فقير ذو عيال ولا مال جئت الى المشهد فناديت يا نبي الله يا كليم الله إني فقير ومضطر قد أقبل الموسم ولا شيء عندي فأعطني ما أنفق على بناتي.. قال فمددت يدي إلى أول مغلق فانفتح، وكلما وقعت عيني على مغلق انفتح حتى وصلت إلى القبر وأخذت الستر. فلما خرجت غلقت الأبواب كما كانت. وظهر لهم أثر صدقه في ذلك فأطلقوه ولم يعاقبوه».(٦٦)

ومن الحكايات التي يحدثنا بها عبد الغني النابلسي الحكاية التالية التي وقعت عند زيارته المقام. قال: «وكان معنا رجل صالح من أهل مصر يقال له الشيخ علي بن علي الديصطي نسبة إلى ديصط.. قرية من قرى ريف مصر كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فقال اكتبوا من حفظي هذا الموال في هذا المكان... (فكتبوا ذلك الموال)..

---

(٦٤) المصدر نفسه ص ٣٥. (٦٥) المصدر نفسه، ص ٤٠ ـ ٤١.

(٦٦) عبدالله بن محمد العياشي المتوفى سنة ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م، رحلة الشيخ الامام أبي سالم عبدالله العياشي، ج٢، ص ٣١٨ ـ ٣١٩.

ثم ان ذلك الرجل دعا الله تعالى كما أخبرنا في ذلك المقام الشريف بأنه لا يعود إليه إلاّ وهو يعرف أن يقرأه بنفسه، ثم انه رجع معنا إلى دمشق الشام واشتغل في قراءة القرآن إلى أن فتح الله عليه في مدة يسيرة مقدار الأربعة أشهر وصار يعرف القرآن ثم اشتغل في حفظ القرآن عن ظهر قلب وهذا ببركة دعاية (دعائه) هناك في ذلك المقام المبارك». (٦٧)

وأخيراً يروي لنا الدكتور توفيق كنعان(٦٨) قصة يتبين منها أن الاعتقاد بكرامات النبي موسى كان متغلغلاً في الوجدان الشعبي في أوائل هذا القرن قال: «دخل بدوي المقام ذات مرة في غيبة الحراس ليسرق ستائر القبر. وعندما حاول الخروج من الشباك نفسه الذي دخل منه بسهولة اقتربت القضبان بعضها من بعض فعصرته عصراً شديداً مات على أثره. وفي الليلة نفسها ظهر النبي موسى إلى موسى يونس (القيم على المقام) وقال له ثلاث مرات: موسى اذهب وأزل الجثة من مقامي. وفي اليوم التالي ذهب موسى برفقة بعض الموظفين ووجد البدوي الميت». (٦٩)

******

(٦٧) النابلسي، الحضرة الانسية، ورقة ٨١.

(٦٨) توفي الدكتور كنعان سنة ١٩٦٤. وقد أوردنا ترجمة حياته بما في ذلك أهم مؤلفاته في الفصل السادس من هذا الكتاب.

(٦٩) T. Canaan, Mohammadan Saints and Sanctuaries in Palestine, p. 207.

الفصـــــل الثـاني

صفة مقام النبي موسى عليه السلام من الوجهة المعمارية

- تاريخ بناء المقام.
- تعميراته على مدى القرون
- صفة المقام في الوقت الحاضر
- هل كان هناك بناء قديم في مكان المقام؟

للملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ ـ ٦٧٦) سلطان مصر المملوكي الكبير، فضلا عن بطولاته الحربية الباهرة، أعمال عمرانية جليلة وحسنات عميمة في طول البلاد الشامية وعرضها. وهو قد أحب بيت المقدس وزارها أربع مرات سنة ٦٦١هـ وسنة ٦٦٢ وسنة ٦٦٤هـ وسنة ٦٦٨هـ ، وجدد بناء ما كان تهدم من قبة الصخرة، وجدد قبة السلسلة وزخرفها، ورتب برسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم، وأنشأ بجوار القدس خاناً كبيراً للمسافرين. وكان من مآثره أيضاً أنه بنى قبة ومسجداً على قبر النبي موسى عليه السلام قبلي أريحا ووقف عليه وقفاً سنة ٦٦٨.

ففي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، أدى الملك الظاهر بيبرس فريضة الحج وآثر أن يعرج في طريق العودة على فلسطين فقدم إليها سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٨م. ومرّ بيبرس في طريقه بدير السيق (دير مار سابا) في برية القدس، ثم زار من بعد قبر النبي موسى القريب من الدير المذكور فأصدر أمره بانشاء قبة ومسجد فوقه وخصص أوقافاً تنفق عليه. وقد ذكر زيارة بيبرس هذه كثير من المؤرخين.[1].

غير أن أهم مصدرين لدينا بشأن الزيارة وانشاء المقام انما هما النقش الماثل حتى الآن في المقام، وكذلك كتاب الوقف الذي انشأه بيبرس على المقام وهما مصدران أصيلان في غاية الأهمية. وسوف نتحدث عن كتاب الوقف ونورد نصّه الكامل لدى حديثنا عن أوقاف النبي موسى. أما الآن فسنتحدث عن نقش بيبرس الكائن في المقام نفسه.

---

(١) انظر في ذلك: الحنبلي، الانس الجليل ١/١٠٢ و٢/٨٧، وكذلك: النويري احمد بن عبد الوهاب المتوفى ٧٣٣هـ/١٣٣٣م، «نهاية الأرب في فنون الأدب» (مخطوط ليدن رقم .Or 2m ورقة ٢٩٤(ª)) وأبا الفداء، اسماعيل بن علي المتوفى ١٣٣١/٧٣٢، «المختصر في أخبار البشر»، المجلد الخامس، ص ٢٦ (تحقيق رايسكة (Reiske

نقش بيبرس ماثل حتى الآن على لوحة من الرخام في خارج الجدار الشرقي لغرفة الضريح . وهـو الجـدار الفـاصل بين غرفة الضريح والمسجد في مقام النبي موسى عليه السلام . وهذه اللوحة مكتوبة بالخط النسخي المملوكي وأطوالها ٩٠×٩٢سم . وتحت هذه اللوحة لوحة صغيرة من الرخام كتب عليها سطر واحد . فلنقرأ نص هذه اللوحة :

١ . بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . أمر بانشاء هذا المقام الكريم على ضريح موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم مولانا السلطان الملك الظاهر السيد الأ

٢ . جلّ العالم العادل المؤيّد المظفّر المنصور ركن الدنيا والدين سلطان

٣ . الإسلام والمسلمين سيّد الملوك والسلاطين فاتح الأمصار مبيد الفرنج والتتار مقتلع القلاع من أيدي الكفّار وارث الملك سلطان العرب

٤ . والعجم والترك

٥ . إسكندر الزمان صاحب القرآن مستر

٦ . دّ ضوال الإسلام من أيدي الطغيان ملك

٧ . البحرين مالك القبلتين خادم الحرمين الشريفين

٨ . الآمر ببيعة الخليفتين أبو الفتح بيبرس

٩ . قسيم أمير المؤمنين خلّد الله سلطانه وذلك

١٠ . بعد عود ركابه العزيز من الحجّ المبرور وتوجّهه

١١ . لزيارة القدس الشريف تقبّل الله منه في نيابة

١٢ . عبده ووليّه الأمير الكبير المثاغر جمال الدين

١٣ . آقوش النجيبي[٢] كافل المالك الشآميّة أعزّه الله .

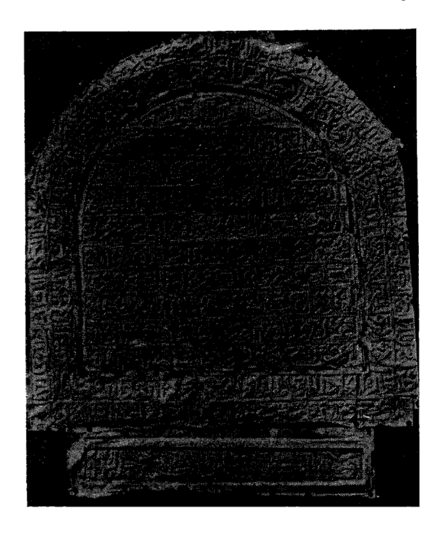
---

(٢) وردت نسبة جمال الدين آقوش «النجمي» أحياناً والنجيبي أحياناً أخرى. فالذهبي (دول الاسلام، ج٢، طبعـة حيدر اباد، ص ١٣٣) يدعوه النجيبي ، وأبو الفدا في تاريخه، تحقيق رايسكة ج٥، ص ٣٠ يدعوه النجمي . وورد «النجمي» أيضاً في وقفية بيبرس التي سنوردها بعد قليل، كما نقلها عبدالله مخلص.
كان جمال الدين آقوش مملوكاً للملك الصالح نجم الدين ايوب، ثم أصبح استاداراً له (أي مدبِّراً لشؤون قصره)، وانتقل الى خدمة الظاهر بيبرس في ١٩ ذي القعدة سنة ٦٥٨ (٢٦ اكتوبر ١٢٦٠) وأصبح استادارا له أيضاً. وفي سنة ٦٦٠ أصبح كافلا للمالك الشامية، أي نائباً للملك في الشام، ثم عزل في ربيع الأول سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م. وتوفي في ٥ ربيع الأول سنة ١٢٧٨/٦٧٧ ، وقد أناف على السبعين.
انظر : L.A. Mayer, Two Inscriptions of Baybers, Quarterly of the Dept. of Antiquities, Vol 2, no. 1 (1932), pp. 27-33.

١٤ . في شهور ثمان وستين وستمائة (من) الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوة (. . .)

١٥ . بولاية العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن رحال عفا الله عنه[٣] .

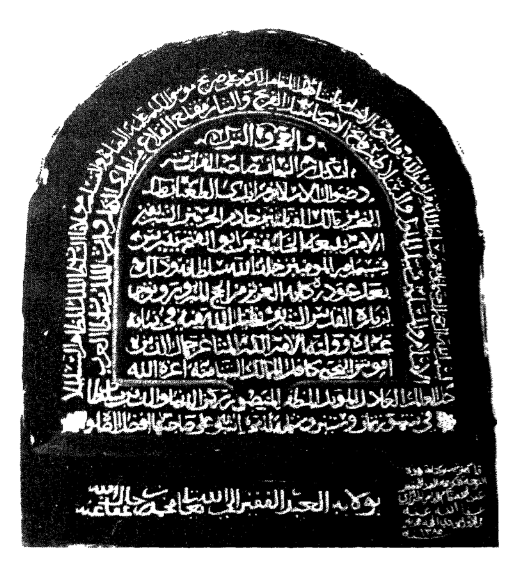
وفيما يلي صورة لهذا النقش :



وقد رسم هذه اللوحة المرحوم عبدالله قاسم الجزائري سنة ١٣٨٥هـ . وفيما يلي صورة لهذا الرسم :

---

(٣) تم تدقيق نص النقش بمساعدة النص الذي نشره ماير في مقاله المشار اليه اعلاه، واستفدنا من التعليقات التي وضعها ماير عليه .



والذي يبدو لنا، كما نستدل عليه من أقوال الكتبي في «فوات الوفيات» وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» التي سبقت الاشارة اليها، أن بيبرس بنى القبة التي فوق الضريح والمسجد المجاور لها، وهما اللذان يكونان المقام الأصلي، بيد أنه طرأ على هذا المقام الأصلي زيادات وتعميرات كثيرة في عصر المماليك والعصر العثماني. يقول مجير الدين «ثم بنى بعده (أي بعد بيبرس) أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر، ثم في سنة خمس وسبعين وثمانمائة (١٤٧٠م) وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته إلى سنة خمس وثمانين وثمانمائة (١٤٨٠م). ثم بنى به منارة بعد الثمانين والثمانمائة (١٤٧٥)»(٤).

(٤) مجير الدين، الانس الجليل، ١٠٢/١

وجرت في العصر العثماني تعميرات واضافات للمقام في سنة ١١٥٠/١٧٣٧، وفي سنة ١٢٣٥/١٨١٩، وفي سنة ١٣٠٣/١٨٨٥. ويشير إلى التعمير الأول نقش كتابي فوق المدخل الغربي الرئيسي لسور المقام.[٥] أما التعمير الثاني فقد تمّ باشارة من عبدالله باشا والي عكا وصيدا[٦]. ويشير إليه نقش على باب المقام نفسه (أي القبة والمسجد) يفيد أن عبدالله باشا عمّر المكان سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م[٧].

أما التعميرات والاضافات المعمارية التي حدثت سنة ١٣٠٣/١٨٨٥ فقد جرت بمبادرة مفتي الديار المقدسية السيد محمد طاهر بن مصطفى الحسيني[٨]. ويبدو أن حالة المقام قبل هذه التعميرات كانت سيئة. فقد وصفه تشارلز وارن، المهندس الذي كان يعمل مع صندوق استكشاف فلسطين، في السبعينات من القرن الماضي، بأنه كان في حالة خراب[٩]. وردّد القول نفسه العالم الأثري الفرنسي كليرمون جانو الذي زار المقام في السبعينات إذ قال أنه كان في حالة خراب تام.[١٠]

ولا شك أن هناك تعميرات واضافات أخرى كثيرة، صغيرة وكبيرة، تمّت في المقام طوال القرون السبعة الماضية، لا نهدف إلى استقصائها هنا، فهي تحتاج إلى بحث معماري تاريخي خاص.

وفي عهد العثمانيين اتخذ المقام صورته المعمارية النهائية وتحول بفعل الاضافات الكثيرة والتعميرات الواسعة إلى مجمع بنائي ضخم أصبح يتسع لعدد كبير من الزوار الذين كانوا يفدون اليه أيام الموسم.

صفة المقام في الوقت الحاضر

تحدثنا في الفصل الأول عن المنطقة الواقعة بين القدس وأريحا بصورة عامة، والتي يقع في الجزء الشرقي منها القريب من أريحا والبحر الميت مقام النبي موسى عليه السلام،

---

(٥) عبدالله كلبونة، تقرير مرفوع الى وزير الأوقاف بعمان (مقام النبي موسى - أريحا) بتاريخ ١/٨/٩٨٣، ص ٢.

(٦) كان عبدالله باشا والياً على عكا بين سنتي ١٢٣٤ و١٢٤٧/١٨١٨ و ١٨٣١.

(٧) T. Canaan, Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine, p. 194.

(٨) تقرير عبدالله كلبونة المشار اليه اعلاه، ص ١.

(٩) Charles Warren, Underground Jerusalem, p. 281.

(١٠) Clermont – Ganneau, Archeological Researches in Palestine, Vol II, p. 47.

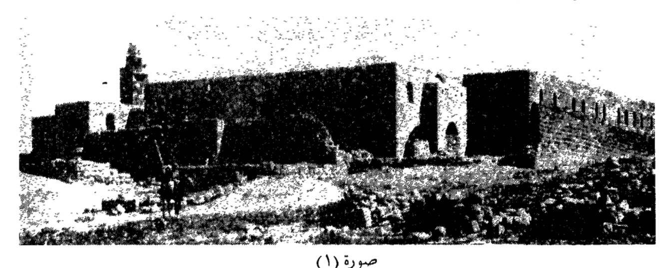
في محاذاة الكيلو متر ٢٨ على الطريق الرئيسي بين القدس وأريحا، وعلى بعد كيلومترات قليلة من هذا الطريق. وسنتحدث الآن عن منشآت المقام من وجهة معمارية ونؤيد حديثنا بصور فوتوغرافية ومخططات.

يقع المقام على تلة ترابية مخروطية الشكل، يتكون ترابها من صلصال وجير. وهي ليست حمراء اللون ولا هي بكثيب من الرمل، الّا أن منطقة مجاورة لها من الشمال هي منطقة الخان الأحمر، تتكون من تربة حمراء، وهذا في ظنّنا هو السبب الذي دعا إلى تسمية منطقة النبي موسى نفسها بالكثيب الأحمر.

إن الطريق الفرعي الذي يتجه إلى النبي موسى جنوباً من الطريق الرئيسي من القدس، يصل إلى مقام النبي موسى من جهة الغرب، ولذلك فان الزائر يصادف أول ما يصادف الباب الغربي للمقام، وهو الباب الرئيسي له.

وهذا الباب هو باب في سور المقام الغربي وذلك أن هناك سوراً يحيط بالمقام من جهاته الأربع، الغرب والشمال والشرق والجنوب ويضم المنشآت الكبيرة القائمة فيه، بحيث يبدو المقام من بعيد كقلعة من القلاع. وبين أيدينا الآن ثلاث صور للمقام أخذت في أزمنة مختلفة نوردها الآن:

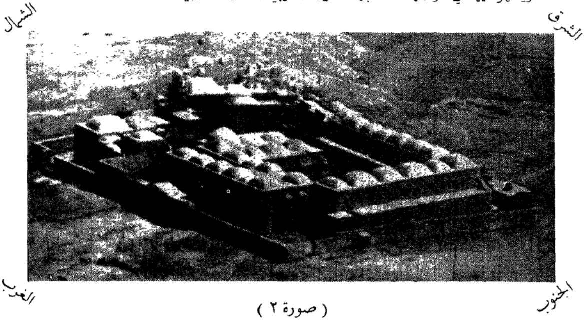
الصورة الأولى قديمة أخذت في أواخر القرن التاسع عشر، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وهي من ضمن مجموعة السلطان الخاصة [١١] وقد التقطت للمقام من الزاوية الجنوبية الغربية.



صورة (١)

(١١) عن كتاب: Jacob Landau, Abdul Hamid's Palestine, page, 69.

والصورة الثانية أخذت للمقام سنة ١٩٤٢ من الزاوية الجنوبية الغربية أيضاً، ويظهر فيها في مواجهة الكامبرا السور الجنوبي والسور الغربي



(صورة ٢)

أما الصورة الثالثة فهي صورة حديثة نسبياً أخذت للمقام في السبعينات من هذا القرن من جهة الشرق، ويظهر فيها في مواجهة الكاميرا السور الشرقي للمقام :

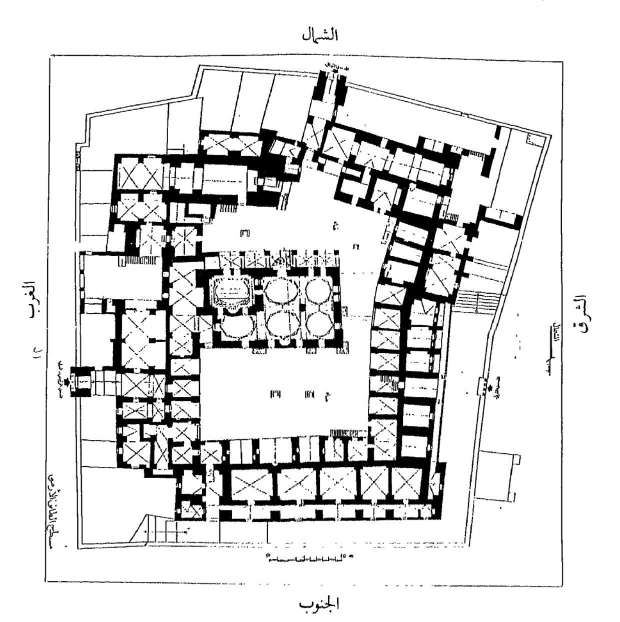
الغرب



الشرق

صورة (٣)

وهذه الصورة أوضح من سابقتيها، ويظهر فيها الطريق الفرعي المؤدي إلى المقام من جهة الغرب. ويظهر في الصور الثلاث السور الذي يحيط بالمقام، والذي يتخذ شكلا قريباً من المربع، مع بعض الانحناءات هنا وهناك خصوصاً عند الزاوية الشمالية الغربية. (انظر المخطط رقم ١ فيما يلي).



المخطط رقم ١
مسطح الطابق الأرضي

والأطوال التقريبية للأسوار هي كما يلي :

السور الشرقي ٦٨ متراً، السور الشمالي ٧٤ متراً، السور الغربي ٧٠ متراً، والسور الجنوبي ٥٥ متراً. أي أن هذا السور الأخير هو أقصرها، بينما تكاد الأسوار الثلاثة الأخرى تتساوى في الطول.

وتبلغ مساحة المسطح داخل الأسوار زهاء أربعة دونمات ونصف (٤٥٠٠ متر مربع). بينما يبلغ عدد الأبواب التي تُفضي إلى المقام خمسة: اثنان منها في السور الغربي (أحدها الباب الرئيسي) واثنان في السور الشمالي وواحد في السور الشرقي. وباستثناء الباب الغربي الرئيسي فان الأبواب كلها مغلقة الآن. وقبل أن ندخل المقام لنلق نظرة على الأسوار الأربعة بادئين بالسور الغربي. أهم معالم السور الغربي الباب الرئيسي للمقام، وهو يقع على بعد حوالي ٢٥ متراً من الجهة الجنوبية من هذا السور، غير أن هناك باباً آخر (وهو مغلق الآن) في الطرف الشمالي للسور أيضاً. وفيما يلي صورة للباب الغربي الرئيسي أخذت في أوائل الثمانينات.



الصورة (٤)

ويلاحظ وجود نقش كتابي فوق هذا الباب، وهو واحد من نقوش ثلاثة موجودة في المقام. ويشير هذا النقش إلى إضافات وترميمات جرت في المقام سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م.

ولننتقل بعد ذلك إلى السور الشمالي الذي تحف به الآن أكوام من الأتربة والأنقاض كما يظهر في الصورتين التاليتين لهذا السور.



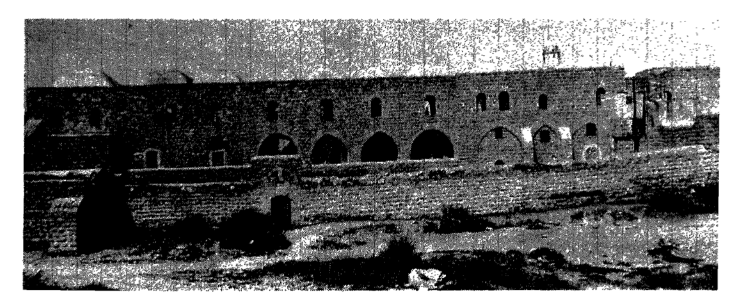
الصورة رقم (٥)، السور الشمالي



صورة رقم (٦) الطرف الشرقي من السور الشمالي

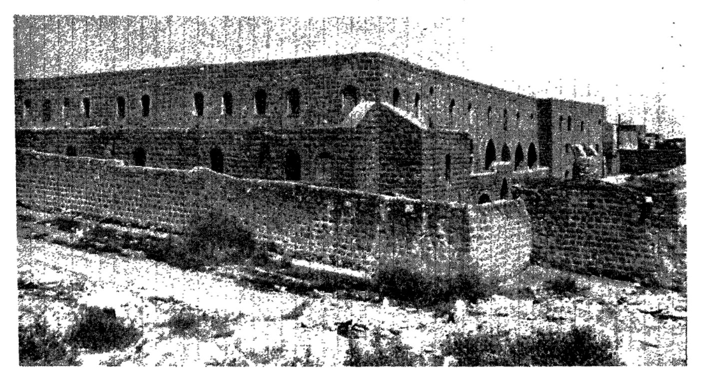
ويظهر بابان في السور: باب رئيسي وباب فرعي ، كما ذكرنا سابقاً .

وترينا الصورة التالية الصورة رقم (٧) السور الشرقي وفيه باب. وفي آخره من جهة الجنوب يظهر بناء صغير مربع خارج السور كان يستعمل فرناً للمقام .

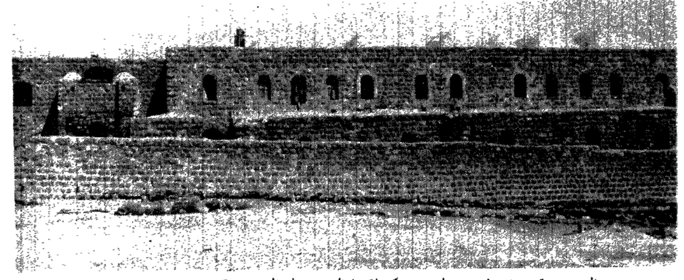


الصورة رقم (٧) / السور الشرقي

وتمثل الصورة رقم (٨) السورين الشرقي والجنوبي. أما الصورة رقم (٩) فترينا السور الجنوبي وحده. وليس في هذا السور أي باب.



الصورة رقم (٨) / السوران الشرقي والجنوبي



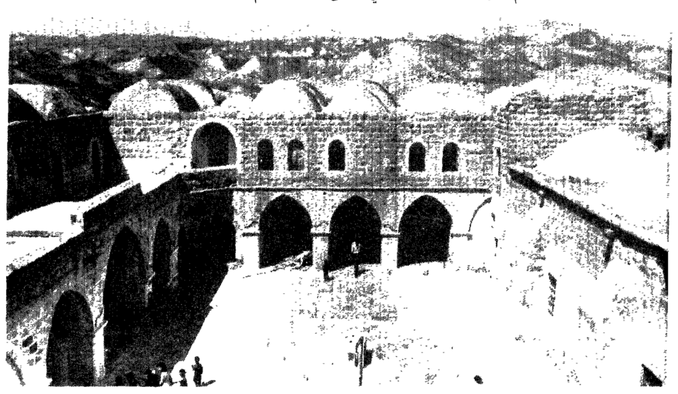
الصورة رقم (٩) السور الجنوبي (تكملة ما ظهر منه في الصورة رقم ٨).

ولننتقل بعد الحديث عن الأسوار إلى الحديث عمّا بداخلها من منشآت. وهذه المنشآت تقسم في الحقيقة الى قسمين. القسم الأول والأهم هو المقام نفسه (الضريح والمسجد) الذي يقع في الوسط ، والقسم الثاني، هو الغرف والمنشآت الأخرى المحيطة من الجهات الأربع كما يظهر لنا في المخطط رقم (١) التالي.

ولنبدأ الحديث عن المقام نفسه الذي يظهر في وسط المخطط : أي الضريح والمسجد الملاصق له، وتغطيها ست قباب، وتفصلها عن المباني والمنشآت الأخرى ثلاث ساحات من الجنوب والشرق والشمال.

ندخل إلى المقام من الباب الغربي الرئيسي الظاهر في المخطط ، ونسير في ممر يفضي إلى ساحة طولها حوالي ٢٢ متراً وعرضها ١٥ متراً وفي وسطها بئر ذو فتحتين. عندما ندخل الساحة يكون الضريح والمسجد على يسارنا والغرف على يميننا، ونجتاز هذه الساحة إلى ساحة أخرى، تقع شرقي الضريح والمسجد، وهذه تفضي بدورها إلى ساحة ثالثة تقع شمالها وفي هذه الساحة الأخيرة بئران.

واليكم صورة الساحة الأولى التي ندخل منها إلى المقام.



الصورة رقم (١٠) الساحة الرئيسية

في هذه الصورة يظهر الجدار الجنوبي للضريح والمسجد وفيه نوافذ عليها قضبان من حديد تظهر أيضاً في الصورة التالية :



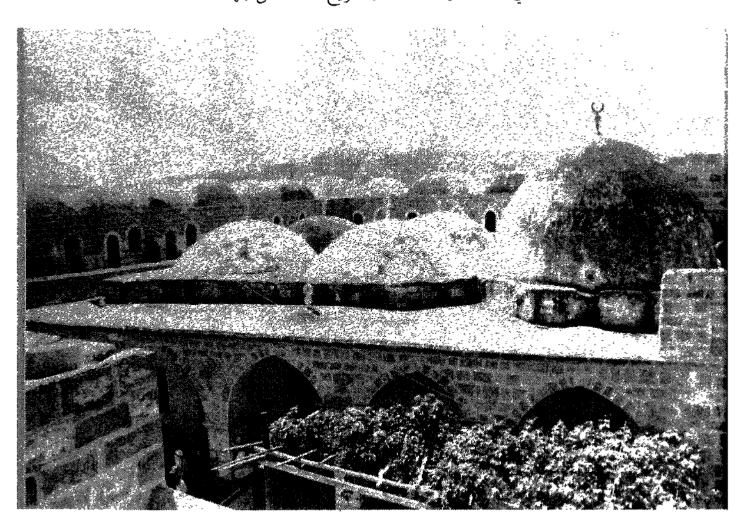
الصورة رقم (١١)

ولنتحدث الان عن الضريح والمسجد ببعض التفصيل :

نرى في المخطط (رقم ١)، كما أسلفنا، الساحات الثلاث المحيطة بالضريح والمسجد من الشمال والشرق والجنوب، كما نرى رواقاً يحف بمبنى المسجد والضريح من الناحية الشمالية. ويقع المدخل المؤدي لهما في منتصف هذا الرواق. ويلفت نظرنا فوق المدخل نقش يفيد أن عبدالله باشا والي صيدا وعكا (١٢٣٤ - ١٢٤٨/ ١٨١٨ - ١٨٣٢) قد عمر المقام سنة ١٢٣٥هـ/١٨١٩م. وعندما نجتاز المدخل يواجهنا المسجد، الذي يقع الضريح في زاويته الشمالية الغربية، أي أن غرفة الضريح تكون على يميننا بعد أن ندخل المسجد، وهي تشكل جزءاً صغيراً منه، إذ تبلغ مساحة المسجد (بما فيه غرفة الضريح). من الداخل حوالي ١٥٠ متراً مربعاً (١٠×١٥م)، بينما تبلغ مساحة غرفة الضريح ٣٠ متراً مربعاً ($\frac{1}{2}$ ٥ × ٥م). والضريح فيها على مستوى الأرض.

ونلاحظ أن غرفة الضريح لها قبة عالية تميزها عن القباب الخمس الضحلة التي تغطي سطح المسجد. ولهذه الغرفة نافذة واحدة ذات قضبان حديدية ولها باب صغير في

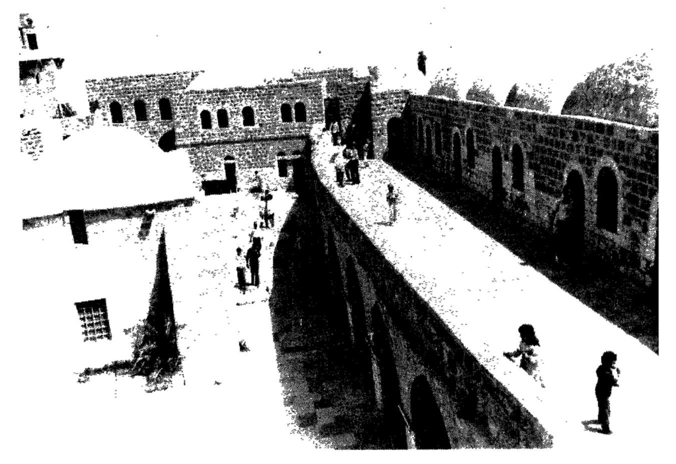
جدارها الشرقي ندخل منه إلى الضريح . وفي الطرف الجنوبي من هذا الباب نرى لوحة الرخام التي كتب عليها نقش التأسيس الذي يشير إلى بناء بيبرس للمقام ، والذي أوردنا نصه أعلاه . وفيما يلي ثلاث صور للمسجد والضريح أخذت من جهات مختلفة :



الصورة رقم (١٢) ونرى فيها منظر غرفة الضريح والمسجد
من جهة الشمال والرواق الذي يلاصقه من هذه الجهة



الصورة رقم (١٣) يظهر فيها الجداران الشمالي والشرقي للمقام
(الضريح والمسجد) وقبة الضريح العالية، والقباب الخمس التي تغطي المسجد.



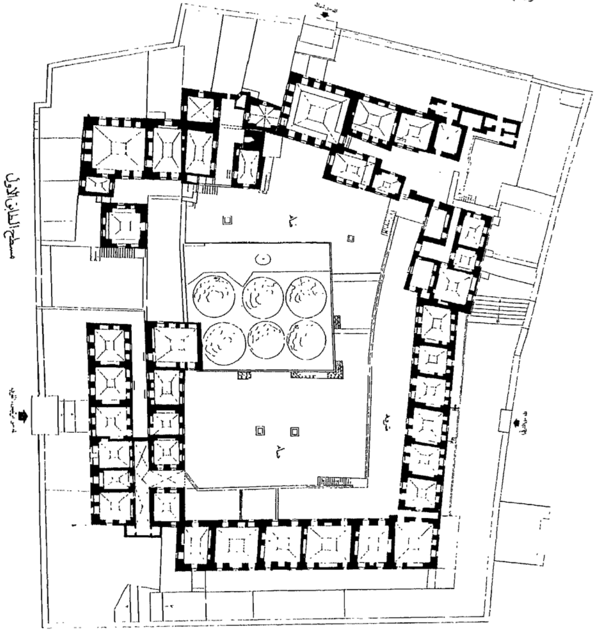
الصورة رقم (١٤) صف الغرف التي تحيط بالمقام (الضريح والمسجد) من جهة الشرق. وجزء من حائط المقام الجنوبي من جهته الشرقية.

ونتتقل الآن الى القسم الثاني، وهو المنشآت المحيطة بالضريح والمسجد من الجهات الأربع. ويتألف هذا القسم من غرف للنوم وقاعات ومطابخ وغرف للتخزين وفرن واسطبل ومنارة أو مئذنة ومرافق أخرى. ونبادر إلى القول إن هذه الغرف تقع في مبان من ثلاثة طوابق في الجهات الأربع: طابق أرضي (المخطط رقم ١)، وطابق أول (المخطط رقم ٢)، وطابق تسوية (المخطط رقم ٣).[١٢]

ويبلغ عدد الغرف ٣٠٠ غرفة.

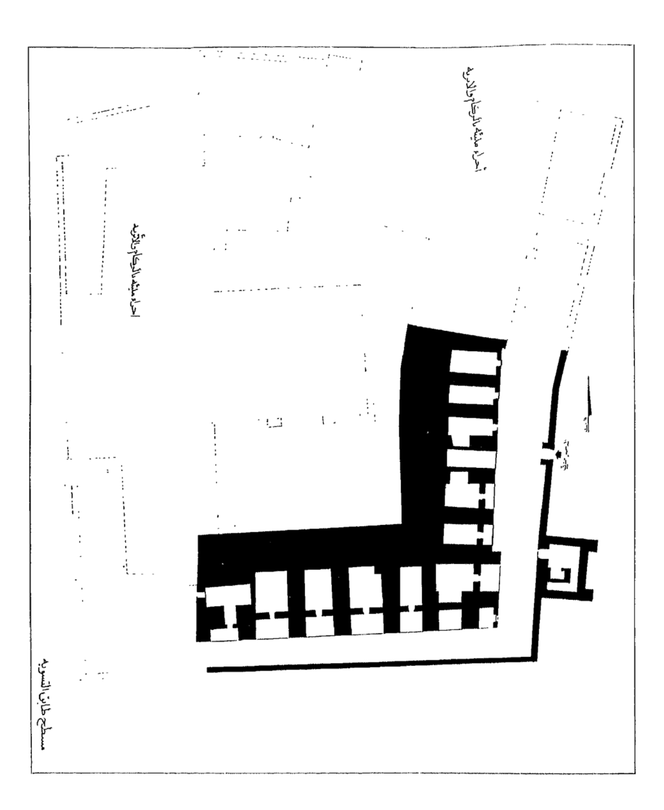
(١٢) هذه المخططات من اعداد ادارة الأوقاف بالقدس، وقد زودتنا بها مشكورة وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية بعمان، وقد قام بتصغيرها مكتب المهندس بلال حماد في عمان.

وفيما يلي صورتان للمخططين رقم (٢) ورقم (٣) (الطابق الأول وطابق التسوية).[١٣]



المخطط رقم ٢ : مسطح الطابق الأول

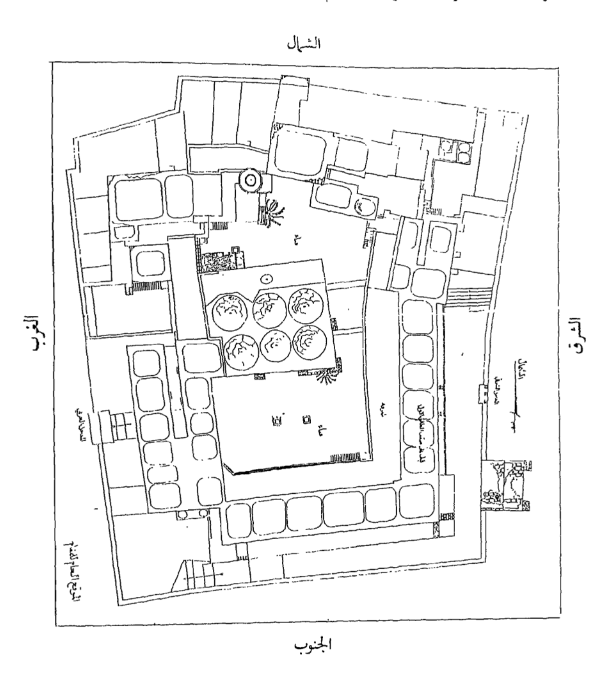
(١٣) مقياس الرسم في المخططات الأصلية هو (١ / ١٠٠) والرسامون : حسين كاتبة، وتوفيق الشريف، ومرشد الجمل. والمهندس : بسام الحلاق.
وقد تمّ الرفع عن الطبيعة في نيسان ١٩٨١م.

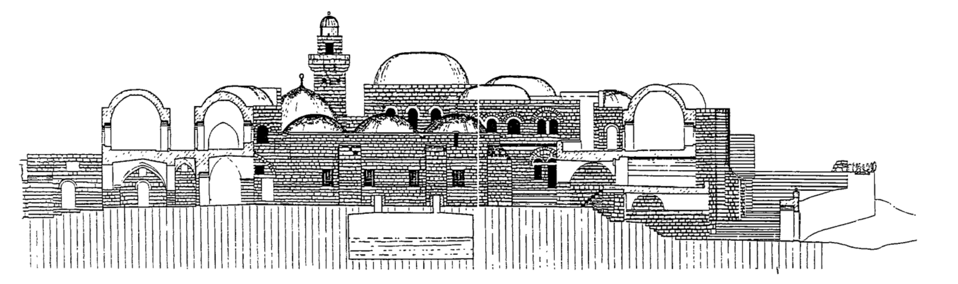


المخطط رقم ٣ مسطح طابق التسوية من الجهتين الجنوبية والشرقية

وإليكم فيما يلي مسطحاً جوياً لمنشآت المقام (المخطط رقم ٤)

وكذلك مقطعاً عرضياً له : [المخطط رقم ٥]





إدارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ـ القدس
قسم الآثار الاسلامية
مقام النبي موسى عليه السلام
قطاع في المدخل الغربي والشرقي
المهندس بسام الحلاق. الرسام حسين كاتبه
تم الرفع عن الطبيعة ١٩٨١

تتكون غرف الطابق الأرضي من صفين أو ثلاثة صفوف حول الساحة المكشوفة. وتفتح الغرف الأمامية على الساحة. وهناك في هذا الطابق مطبخان كبيران وغرف للتخزين واسطبلات وغرف لخزن الحطب بالاضافة إلى الغرف المخصصة لاقامة الزوار. وترتفع من هذا الطابق المئذنة التي بنيت حوالي سنة ٨٨٠هـ/١٤٣٦م. وهي تقع على بعد عدة أمتار من المدخل الشمالي، وعلى يمين الداخل منه وعلى مقربة من الزاوية الشمالية الغربية للمجمع البنائي. وتظهر المئذنة في شكل دائرة صغيرة تحيط بها دائرة أكبر على المخطط رقم (٤). وفيما يلي صورتان للمئذنة من داخل المقام ومن خارجه.



الصورة رقم (١٥) : صورة المئذنة من داخل المقام.



الصورة رقم (١٦) : صورة المئذنة من خارج المقام.

أما الطابق الأول فيتكون من حوالي ٥٠ غرفة من الغرف المخصصة للنوم ولاستقبال الزوار. ويصعد إلى هذا الطابق بواسطة سلالم متعددة مقامة في زوايا الساحة المكشوفة. وغرف هذا الطابق أصغر عموماً من غرف الطابق الأرضي وتغطيها قباب عددها ٣٥ قبة (عدا قباب الضريح والمسجد).

ويظهر من المخطط أن غرف الطابق الأول تطل على الساحة المكشوفة من الجهات الأربع، وأن الغرف الشرقية والجنوبية لا تطل على الساحة مباشرة بل ان أمامها ممراً علوياً مكشوفاً يشرف على الساحة. ويظهر كذلك أن هناك صفين من الغرف بينهما ممر في الجهة الغربية. والصف الأول من هذه الغرف وحده يطل على الساحة.

وبالنسبة لغرف التسوية يقول تقرير السيد عبدالله كلبونة الذي أشرنا إليه آنفاً ما يلي :

«أما غرف التسوية فهي مقامة من عدد من الدعامات الحجرية والعقود. وقد قسمت هذه الدعامات والعقود بقواطع بنائية وسقفت معظمها بأبنية متقاطعة، وقد سد كل منها من الجهات الثلاث بالقواطع (البنائية) باستثناء القسم المفتوح على الممر المكشوف المحصور بينها وبين سور المقام، وذلك من الجهة الشرقية والجنوبية. أما في الجهة الشمالية والغربية فان هذا النظام يكاد يختلف وذلك لما تمّ، كما يبدو، من إضافات معمارية وملاصقة. غرف هذه الجهات للجدار الشمالي والغربي من السور» (الصفحة ٣ من التقرير) ـ انظر المخطط رقم (٣).

وفي الجهة الشمالية الغربية من طابق التسوية يقع الاسطبل وهو «مستطيل الشكل مغطى بقبو نصف برميلي، وتشاهد به الآن بقايا أعلاف ومرابط للدواب» .[١٤]

هذه صورة عامة عن المنشآت القائمة في مقام النبي موسى. ويبقى أن نضيف أن هذه المنشآت هي في حاجة ماسة إلى التعمير والترميم الشامل. وكانت ادارة الأوقاف في القدس قد قدرت النفقات اللازمة لذلك سنة ١٩٨٢م، بحوالي تسعين ألف دينار.

ونود أن نشير في ختام حديثنا عن مقام النبي موسى الى مقامين صغيرين مجاورين له الأولى هو مقام حسن الراعي الذي يقع على هضبة إلى الجنوب الغربي من مقام النبي موسى. وتقول الروايات المتوارثة إنَّ الراعي حسن كان راعياً للنبي موسى، وكان حاضراً عند وفاته. «ويبلغ طول هذا الضريح ستة أمتار تقريباً وعرضه مترين وربعاً وعلوه أقل من متر ونصف بقليل. وتحاذيه ستة أعمدة، ثلاثة من الشمال وثلاثة من القبلة. . . ويحيط بها جدار من الطين. . ومما يلفت النظر أن لهذا المقام ثلاثة محاريب»[١٥].

ويذهب البعض إلى أن مقام الراعي هو المقام الحقيقي للنبي موسى.

أما المقام الثاني فيدعى مقام السيدة عائشة أم المؤمنين وهو يقع على مسافة نصف كيلو متر شرقي مقام النبي موسى. وقال العابدي سنة ١٩٤٥، ان هذا المقام «شيد قبل خمسين سنة»[١٦] أي في العقد الأخير من القرن التاسع عشر. ومن المعروف أن السيدة عائشة توفيت

---

(١٤) تقرير عبدالله كلبونة، ص ٤.

(١٥) محمود العابدي، من تاريخنا ـ المجموعة الرابعة، ص ١٠٩

(١٦) محمود العابدي، من تاريخنا، المجموعة الرابعة، ص ١٠٩، نقلا لمقال نشره العابدي، في جريدة الجهاد المقدسية سنة ١٩٤٥.

في المدينة المنورة ودفنت في البقيع.

ويبقى علينا أن نجيب على السؤال التالي وهو:

هل كان هناك بناء قديم في مكان مقام النبي موسى عليه السلام؟

أثار هذا السؤال عدد من الرحالة ورجال الدين والباحثين الغربيين، وذهب بعض هؤلاء الى أن مقام النبي موسى كان ديراً في الأصل أنشأه في القرن الخامس الميلادي القديس افتيميوس St. Euthymius . وأبرز من روّج هذه النظرية هو الأب ليفين Lievin de Hamme استناداً إلى الروايات الإغريقية القديمة. ويقول العالم الألماني فان كاسترن Van Kasteren إنه سمع هذا الزعم أيضاً من أحد رهبان دير مارسابا المجاور[١٧]، ولكنه لم يستطع التحقق من صحته. ولكن فان كاسترن يمضي قائلا: ان قبر افتيميوس الذي كان يحظى بالتبجيل قد اختفى. ألا يمكن أن يكون هذا القبر هو القبر الذي ينسب إلى النبي موسى؟ وبعد هذا التساؤل يرجح الكاتب المشار إليه أن دير افتيميوس كان في خان السهل المجاور للنبي موسى، وليس في موقع النبي موسى نفسه[١٨].

ويقول كونراد شيك انه يعتقد أن موقع النبي موسى كان يضم من قديم الزمان مكاناً للعبادة كان يلتقي فيه الناس، كما كان فيه بيعة انشئت في القرن الرابع أو الخامس إبان ازدهار الاستيطان في هذه البقعة. وافترض شيك، كما ذكرنا من قبل، أن مؤسس هذه البيعة أو الدير كان راهباً يُدعى موسى، وقد اختلط الأمر على المسلمين، فظنوه موسى النبي.[١٩].

ويذهب كليرمون جانو إلى مثل ما ذهب اليه شيك فيقول: لقد افترض أن مقام النبي موسى قد حلّ محل دير مسيحي قديم. وهذا أمر ممكن جداً، فالمظهر الخارجي للمسجد والمباني الملحقة تجعل المرء يميل إلى هذه الفكرة.[٢٠].

على أن الأمر لا يعدو، فيما يبدو، دائرة الحدس والتخمين، اذ لا يقدم الباحثون الثلاثة أي دليل مقنع على ما ذهبوا إليه... وقد عارضهم في ذلك ليوماير، وقال إن النظرية

---

(١٧) Van Kasteren, Aus der Umgegend von Jerusalem ZDPV, Vol X11 1 (1890) p. 91.

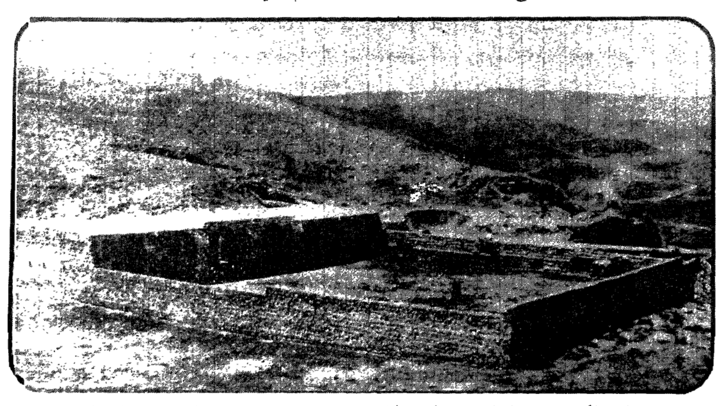
(١٨) المرجع السابق، ص ١١٨.

(١٩) C. Q Shick, Die Alten Lauren and Klöster in der Wuste Juda, Z.D.P.V Vol III (1880) p. 16

(٢٠) C- Ganneau, Archeological Researches in Palestine, Vol II, p. 51

التي تزعم أن العرب قد حولوا ديراً مسيحياً كان قائماً في ذلك المكان الى مسجد ومقام لا تصمد للتحقيق لعدة أسباب. فان نقش بيبرس يبدأ بعبارة «أنشأ هذا المقام»، وهي عبارة لم تكن تستعمل إلّا عند إنشاء بناء جديد كلية. واذا وجد هناك قطع من مبان قديمة في المقام فان هذه تكون قد نقلت اليه من مبان أخرى. ويشير ماير إلى ما كان قد ذكره العمري من أن المكان كان خلواً من أي بناء عندما بنى عليه بيبرس المقام»[٢١].

وقد حسم الأمر من جراء الحفريات التي جرت سنة ١٩٢٨ في الخان الأحمر الذي يقع في محاذاة الكيلو ١٦ إلى الجنوب عن طريق القدس أريحا. فقد كشفت هذه الحفريات مخطط الدير الذي انشأه القديس افتيميوس سنة ٤٢٨، وكذلك الكنيسة التي ضمّت قبره.[٢٢]. وهو يقع على بعد نحو ١٤ كيلومتراً غرب مقام النبي موسى.



الخان الأحمر، صورة له في اواخر القرن التاسع عشر عن Laudau, Abdul Hamid's Palestine

★★★★

(٢١) L. A. Mayer, Two Inscriptions of Baybars, p. 31.

(٢٢) E. Hoade, Guide to the Holy Land, p. 354

الفصـــــل الثـالـث

أوقاف النبي موسى عليه السلام

الأوقــاف كانت على الـدوام المصـدر الـرئيسي للانفـاق على المؤسسـات الـدينية والاجتماعية والتعليمية. ولعله من الصحيح القول بأن الدولة الاسلامية لم يكن لها أجهزة حكـومية محددة للقيام بالخـدمات الاجتماعية والصحية والثقافية. ومن هنا كان للأوقاف الدور الأساسي في هذه الميادين، وكان نظام الأوقاف بحق هو العمود الفقري للمؤسسات التعليمية والاجتماعية والدينية.

كان الواقف يقف المؤسسة نفسها ثم يقف عليها الأوقاف لصيانة مبانيها وتأثيثها، واقامة خدماتها والانفاق على العاملين فيها. وكلما كانت الأوقاف الموقوفة على المؤسسة أكبر كبرت امكانياتها وصارت أقدر على تحقيق أهدافها. واذا ضعفت الأوقاف او اندثرت خربت المؤسسـة وانـدثـرت. وكـانت أوقـاف الملوك والسلاطين هي الأكبر عادة، ولذلك كانت المؤسسـات السلطانية أغنى المؤسسات الوقفية، ومن أمثلتنا على ذلك في القدس أوقاف صلاح الـدين الأيوبي على الخـانقـاة والمدرسة المسمّاتين باسمه، ووقف الأمير تنكز نائب السلطان في الشام على الخانقاه المدرسة/ التنكزية، ووقف السلطان الأشرف قايتباي على المدرسة الاشرفية.

ومن أمثلة الأوقاف السلطانية البارزة أيضاً وقف الملك الظاهر بيبرس على مقام النبي موسى، للانفاق على المقام نفسه، صيانة واعماراً، وعلى إطعام الطعام لزائريه وايوائهم، وعلى دفع مرتبات العاملين فيه. وكان هذا الوقف شاسعاً ضمّ عدة قرى ومساحات كبيرة من الأراضي الزراعية بحيث كان كافياً للانفاق على المقام والموسم طوال مئات السنين.

ومن محاسن الصدف أننا عثرنا على كتاب الوقف الذي انشأه الملك الظاهر بيبرس على المقام، بعد بحث طويل، في مخطوط بعنوان «اعلام الإسلام في موطن الأنبياء فلسطين» كان يعده للنشر المرحوم العلامة عبدالله مخلص قبل نصف قرن، ولم يقيض له ذلك.

ومن المؤسف أن عبدالله مخلص المتوفى سنة ١٩٤٧، والذي كان مديراً عاماً للأوقاف في فلسطين، لم يذكر المصدر الذي نقل عنه كتاب الوقف، هل هو سجل من سجلات المحكمة الشرعية أم هو وثيقة أصلية، أم هو نسخة قديمة لكتاب الوقف وجدها في أوراق الأوقاف...؟

سنثبت أولا النص الكامل لكتاب الوقف ثم نعقب ببعض التعليقات عليه.

نص كتاب الوقف الذي أنشأه الملك الظاهر بيبرس بن عبدالله البندقداري الصالحي المتوفى سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧ - ١٢٧٨م على مقام النبي موسى عليه السلام★

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال رسول الله ﷺ «ليس لك من دنياك الّا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت». [1] وقال ﷺ «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الّا من ثلاث: علم ينتفع به وولد صالح يدعو له وصدقة جارية على يديه». [2] ولما كان أحسن الصدقات وأبر المبرات ما لا ينقطع أمده ولا ينتهي مدده، وهي الصدقة الجارية الباقية بقاء هذه الدار الفانية لا تكون مشروطة بالحياة ولا مقطوعة بالمات وذلك الوقف الذي تدوم فوايده وتبقى عوايده فيحيى ذكر واقفه عند صرف ريعه إلى مصارفه ويكون له عمراً ثانياً. ولقد شرف الله سبحانه وتعالى، تواتر على البرايا بره وتوالى، بشرف سلوك هذه الطريقة صاحب هذه المجلة الشرعية والوثيقة المرعية المرضية اليقينية مولانا السلطان الملك الظاهر العادل المؤيد المظفر المنصور ركن الدنيا والدين منقذ الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين فاتح الأمصار مبيد الافرنج والتتار مقتلع القلاع من أيدي الكفار وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك ملك الزمان صاحب القرآن مسترد ضوال[3] الاسلام من أيدي الطغيان ملك البحرين مالك القبلتين خادم الحرمين الشريفين الآمر ببيعة الخليفة[4] قسيم أمير المؤمنين خلّد الله سلطانه وذلك بعد عودة ركابه العزيز من الحج المبرور وتوجهه لزيارة القدس تقبل الله منه في منابه[5] فأنشأ أنواعاً من بقاع الخيرات السنية وأبنية الحسنات البهية فمن جملة ذلك المقام

★ مخطوط «اعلام الاسلام في موطن الانبياء فلسطين» للمرحوم عبدالله مخلص، الورقة ١٣١ وما بعدها.

(١) صحيح مسلم، زهد ٢
النسائي، وصايا ١.

(٢) مسلم، وصية ١٤، أبو داود، وصايا ١٤، الترمذي، أحكام ٢٦.

(٣) ضوال، جمع ضالة (مؤنث ضال) وهي الشيء المفقود الذي تسعى وراءه.

(٤) بيبرس هو الذي أقر خلفاء بني العباس بمصر بعد انقراض دولتهم ببغداد.

(٥) مناب: أناب إلى الله = رجع اليه وأقبل وتاب، والمناب هنا إذن الرجوع إلى الله والاقبال عليه. غير أننا لسنا مطمئنين إلى صحة هذه الكلمة في هذا الموضع. ونعتقد أن هناك بضع كلمات ناقصة في النص (انظر التعليقات التي تلي نص كتاب الوقف).

الكريم الذي أنشأه على ضريح موسى الكليم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم. ووقف حضرة الواقف العالي الشأن السامي المكان أفاض الله تعالى عليه في جميع الأزمان سجال البر والإحسان لمصالح هذا المقام الكريم المبارك عدة من أصناف الأوقاف بنية وافية وعزم كاف فمنها الأراضي والأملاك الجارية في ملكة وتحت تصرفه والتي ابتاعها من ماله الخاص، وهي جميع القرية المسماة بترمسعيا[٦] وجميع القرية المسماة بالمزرعة[٧] وجميع القرية المسماة بخربة أبي فلاح[٨] وجميع أرض قرية سور باهر[٩] وكلها من أعمال القدس الشريف ومنها جميع الطاحونة الواقعة على المياه المعروفة بواد القلط[١٠] وجميع مياه وأراضي هذا الوادي وجميع مياه وأراضي الفوّار[١١] وقرية أريحا بكاملها، ومنها جميع أراضي الغور الواقعة بين دير السيق[١٢] غرباً إلى زعترة[١٣] والبحيرة المنتنة[١٤] شرقاً من أعمال القدس الشريف أيضاً أرضها وترابها وحجرها وماءها وشجرها بجملة مالها من الحدود والمرافق والتوابع واللواحق والطرق والمسالك وساير ما لا بد منه لذلك ذكر أو لم يذكر سطر أو لم يسطر وقفاً صحيحاً شرعياً وحبساً صريحاً مرعياً وسبيلا محكماً مبرماً مرضياً. ولقد تحقق وصح وتبين شأنه واتضح حيث أقر واعترف مولانا الملك الظاهر بيبرس البندقداري بأنه وقف وسبل كافة ما ذكر مجمعاً أو مفصلا مما أعد للاستغلال من القرى والموقوفات بجميع حقوقها ومراسمها وحدودها مما يدخل تحت الوقف بمقتضى الشرع المطهر. أما البقاع المباركة المرقومة فقد وقفها وعينها

---

(٦) ترمسعيا: قرية شمال شرق رام الله على بعد ٢٣ كم منها، تقع قرب قرية سنجل. يذكر أهلها أنهم حجازيون من بني مرة. تملك ترمسعيا ١٧٦١١ دونماً (الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٨ ق٢ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٣).

(٧) المزرعة: المقصود ما يعرف اليوم بالمزرعة الشرقية شمال شرق رام الله على بعد ٣ كم من طريق القدس نابلس عند الكيلومتر ٣٣. وهي من قرى بني مرة أيضاً. (الدباغ، المصدر السابق، ص ٢٩٦).

(٨) خربة أبي فلاح: شمال شرق رام الله. مساحة القرية ١٩ دونماً وتملك ٨١٨٦ دونماً. مجاورة لترمسعيا والمزرعة الشرقية. (الدباغ، المصدر السابق، ص ٢٩٩).

(٩) سورباهر (صور باهر اليوم): قرية جنوبي القدس يحيط بها أراضي عرب السواحرة وعرب العبيدية وسلوان وبيت لحم، وبيت صفافا. كان عدد سكانها سنة ١٩٦١م: ٢٣٣٥ (الدباغ ص ١٦٩، ١٧٠).

(١٠) وادي القلط: واد يقع قرب اريحا تنتهي اليه المياه من تلال البيرة وعناتا والرام ثم تسير نحو الشرق إلى أن تنتهي بوادي الأردن.

(١١) عين الفوّار: تقع إلى الشمال الشرقي من قرية عناتا التي تقع خلف جبل الطور (الزيتون) إلى الشمال الشرقي من القدس.

(١٢) هو دير مار سابا، وقد مر ذكره.

(١٣) أظن أن هناك خطأ في النقل، والصحيح فيما أرى هو زغر (صوغر)، وهي قرية قديمة قرب البحر الميت.

(١٤) البحيرة المنتنة هي البحر الميت ومن اسمائها بحيرة زغر وبحيرة لوط.

ليتصرف عليها[١٥] في إطعام الطعام لزوار مقام النبي موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم إبان موسم الزيارة من كل عام وفي الانفاق على التربدارية[١٦] الموجودين في مقام هذا النبي الكريم. ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف. وقد نصب متولياً لاقامة مصالح كافة الموقوفات ورعاية مهمات هذه المسبلات من البناء والتعمير والاستغلال والقبض والبسط والحفظ والضبط وأمور التسجيل عين العلماء والمدرسين الكرام بدر سما المعالي الفخام صدر أساطين الموالي العظام قدوة الصلحا الشيخ الشريف عبدالله بن يونس[١٧] وقد رام مولانا الملك الظاهر بيبرس سيد ملوك الأرض على الاجماع المخصوص بملك أشرف البقاع أن يرجع عن وقفه هذا[١٨] ويرد الموقوفات إلى ملكه القديم فعارضه المتولى المرقوم وتحاكما إلى المولى الفاضل فخر الاسلام وشمس الائمة مظهر كلمة الله العليا الحاكم الموقع على الكتاب بتوقيعه الشريف المستطاب لا زال عقد المسائل محلولة بأسنان أقلامه فنظر في محل النزاع وشاهد في جانب المتولي رجحاناً قوياً وعاين في يده برهاناً جلياً وحكم بصحة هذه الأوقاف ولزومها على الشرايط المسطورة على رأى من يراه من الأئمة رضوان الله عليهم حكماً صحيحاً شرعياً ووقفاً صريحاً مرعياً فصار وقفاً لازماً مسجلا لا يجوز بعد ذلك تغييره وتبديله «فمن بدّله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم»[١٩]. وأجر الواقف على الله جرى ذلك وحرر في أواسط رجب سنة ثمان وستين وستمائة.

شهـــود الحـــال

جمال الدين بن أقوش النجمي[٢٠]	محمد بن عبدالله
عبد مولانا الملك وولي السلطان	وليّ مولانا السلطان.

(١٥) كذا في الأصل، ولعل وجه الصواب أن يقال: «ليصرف ريعها».

(١٦) التربدارية: القيّمون على التربة.

(١٧) هو جد آل يونس في القدس الشريف، فيما نعتقد، وقد تحدثنا عنه في الفصل الأول.

(١٨) لما كان الامام أبو حنيفة دون تلامذته وباقي الأئمة يبيح للواقف نسخ الوقف والرجوع عنه فان الواقف كان يقيم دعوى شكلية على الناظر أو متولي تسجيل الوقف لاستعادة العقار الموقوف الى ملكيته على أساس أن الوقف الذي أعلنه غير لازم ويمكن الرجوع عنه. ولدى نظر الدعوى كان القاضي يثبت الوقف استناداً على رأي الامام أبي يوسف وغيره من الأئمة الذين كانوا يرون عدم جواز رجوع الواقف عن وقفه، وبذلك كان يتأكد الوقف وتثبت الوقفية.

(١٩) «فمن بدله ... سميع عليم»، الآية ١٨١ من سورة البقرة.

(٢٠) أظن الصحيح هو النجيبي، وقد سبق ذكره.

(وقد كتب باعلا كتاب الوقف هذا وعلى الجانب اليسار منه: صدر من العبد الفقير إليه سبحانه وتعالى الخوجة جمال الدين بن ربيع[٢١] المولى خلافة بمدينة القدس عفي عنه).

بعض التعليقات على الكتاب :

أولا : يبدأ كتاب الوقف بذكر دواعي الأوقاف وفوائدها عامة، ثم يذكر اسم السلطان الواقف وألقابه. وهي الألقاب التي نقرأها في النقوش والوقفيات التي تتعلق بالملك الظاهر بيبرس جملة، والتي تشبه الألقاب الواردة في نقش بيبرس على المقام، بل تكاد تتطابق معه مع اختلافات بسيطة.

ثانياً : جملة: «تقبل الله منه في منابه» الواردة في كتاب الوقف تعيد إلى الذاكرة الجملة الواردة في النقش: وهي «تقبل الله منه في نيابة عبده ووليه الأمير الكبير المثاغر جمال الدين أقوش النجيبي (أو النجمي) كافل المالك الشامية أعزه الله».
ولما كانت كلمة «منابه» غير مألوفة فهل تكون تصحيفاً لكلمة «نيابة» مع سقوط السطر الذي يذكر اسم الأمير جمال الدين أقوش من نص كتاب الوقف؟ نقول إن هذا استنتاج محتمل فحسب، ولا نقطع بصحته.

ثالثاً : تتضح ضخامة الوقف من كونه يضم أربع قرى من أعمال القدس الشريف بالاضافة الى قرية أريحا، وأراضي وأمواها شاسعة في وادي القلط والفوّار، وجميع أراضي الغور الممتدة بين دير السيق والبحر الميت.

رابعاً : أهداف الوقف: «اطعام الطعام لزوار مقام النبي موسى الكليم... ابان موسم الزيارة من كل عام والانفاق على التربدارية» (والمقصود العاملون في المقام).

خامساً: المتولى الأول المعين بمقتضى كتاب الوقف هو الشيخ الشريف عبدالله بن يونس.
ولعله من المعقول أن نستنتج أن عبدالله بن يونس هذا هو الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي، الذي روى العمري عن علاء الدين بن الكلاس أنه زار قبر النبي

---

(٢١) يقول الانس الجليل (٢/٣١٧، ٣٣٧، ٣٣٨)، إن جمال الدين بن ربيع (ابن ربيع = العسلي اليوم) كان أمين الحكم في القدس (أي متولى شؤون الايتام في محكمة القدس) وهي وظيفة تولاها سنة ٨٨١، وقد توفي في ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٩٢. /١٤٨٦م. وتظهر الوقفية أن ابن ربيع تولى قضاء القدس أيضاً. أما لقب الخوجة (الخواجة) الذي يسبق اسمه فكان يطلق على المعلم أو التاجر. ومن الواضح أن الملاحظة المكتوبة بأعلى كتاب الوقف حول صدور كتاب الوقف عن جمال الدين بن ربيع لا تعني كتاب الوقف الأصلي لبيبرس، وانما كتاب وقف يثبّت كتاب الوقف الأصلي صدر في أواخر القرن التاسع الهجري (أي بعد كتاب الوقف الأصلي بأكثر من مائتي سنة). وكان من عادة القضاة أن يثبتوا كتب الوقف الأصلية، ويشهدوا بصحتها، عندما ترفع لهم قضايا تتعلق بالوقف، قبل اصدار حكم في القضية التي بين أيديهم.

موسى قبل أن تبنى فوقه قبة ورأى في منامه النبي موسى الذي بشره بالزواج من امرأة من نسل الرسول (انظر ص . .) ولما كان عبدالله بن يونس يذكر في روايته بناء المقام فهو إذن شهد بناءه . ومن المعقول أن يكون قد عيّن أول متول على أوقافه . (وربما كان في الثمانين من عمره اذاك).

وسنرى أن كلمة «ابن يونس» تتسلسل في سلسلة من المتولين في القرون التالية . وعلى ضوء هذا يحق لنا أن نستنتج أن آل يونس في القدس، الذين أصبح اسمهم آل يونس الحسيني فيما بعد، هم أعقاب الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي المشار إليه.

وعلى ضخامة أوقاف الظاهر بيبرس على مقام النبي موسى عليه السلام، فانها لم تكن الأوقاف الوحيدة على المقام بطبيعة الحال فقد تنافس المسلمون من بعد طوال العصر المملوكي والعصر العثماني على إنشاء أوقاف كثيرة على مصالح المقام مما جعل المقام في العصر العثماني مؤسسة من أكبر المؤسسات الوقفية في فلسطين. ولدينا بضع وثائق في هذا الشأن. تتعلق بالأعيان التي وقفت على المقام بعد وقف بيبرس وكذلك بالعاملين بالمقام من حيث وظائفهم وعددهم وبشؤون التولية على المقام.

فبالنسبة للأعيان الموقوفة على سيدنا موسى يفيدنا الدفتر ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية (وتاريخ هذا الدفتر حوالي سنة ٩٦٠ هـ) ما يلي:

أوقاف لواء قدس شريف ق (أي وقفية) ٢٩ وقف سيدنا موسى نبي عليه السلام

- عن مزرعة العياض تابع مزبور ٨ ط (ط = قيراط)
- قرية ترمس عيا تابع م (أي مزبور) ٨ ط ١١٣ (أي دفتر ١١٣) - طرمس عيا.
- عن قرية صور باهر تابع م. حصة (٣٤٢ = دفتر ٣٤٢) من العشر ١٢ ط.
- عن قرية ريحا تابع قدس (١) فدان مقسوم ومفروز.
- عن قرية كفرين تابع غور در (أي في) عجلون (١) فدان مفروز ومقسوم.
- عن قرية طور زيتا تابع قدس حصة (٣٤٢) من العشر ١٢ ط .
- قطعة أرض تعرف بقطعة موسى ع. م (عليه السلام) في قرب قرية جرايا (١٣٣) تابع نابلوس (ك) تماماً (أي القطعة كلها).
- حاكورة الصبانة تعرف بابن أبو الحسن الفاغور در نفسه نابلوس تماماً ١٢/٣٤٢ (الدفتر ٣٤٢ الصفحة ١٢[٢٢]

(٢٢) منظمة المؤتمر الاسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين ص ٣٢.

ويظهر لنا من هذه الوثيقة أن هناك كثيراً من الأوقاف الجديدة المضافة إلى الوقف الأصلي، في لواء عجلون ولواء نابلس.

ونجد في الدفتر ٥٢٢ أيضاً، وقفية اخرى رقمها ٢٢، ونقرأ فيها ما يلي :

وقف تربة سيدنا موسى ويونس ولوط عليهم السلام

- قرية فاغور[٢٣] (١٢٢) تابع قدس تماماً.
- مزرعة واد فوكين تابع قدس تماماً[٢٤].

ويظهر من هذا أن القرية والمزرعة المذكورتين اعلاه كانتا وقفاً مشتركاً على مقامات الأنبياء الثلاثة المذكورين أعلاه.

وهنـاك وقفيات كثيرة سجلها أفراد عاديون لمصالح النبي موسى عليه السلام عبر القرون. وكان كثير منها ينص على أن يكون الوقف على الواقف وذريته واقربائه أولا ثم يؤول بعد انقراضهم على مصالح النبي موسى. ونكتفي بذكر مثالين فقط من بين عشرات:

في الصفحة ١٩٣ من السجل ٣٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية في القدس نقرأ ما يلي:

السيدة خانم ابنة السيد محمد طاهر افندي الحسيني[٢٥] مفتي القدس سابقاً اشترت دارا واقعة بخط مرزبان المشتملة على علوي وسفلي ثم وقفت... الدار المذكورة ودكانين بخان الزيت كائنتين شمال حوش ابو الشامات.. على نفسها وعلى زوجها ثم على انجالها الذكور والاناث ثم على أولادها وأحفادها وبعد انقراضهم على ذرية الحاج حسن افندي

---

(٢٣) تقع خربة فاغور عند الكيلو ١٥ على الطريق بين القدس والخليل، غير بعيد عن قرية العروب.
(E. Hoade, Guide to the Holy Land p. 337)
أما هتروت وعبد الفتاح فيقولان في كتابهما Historical Geography of Palestine, p. 122 إن قرية فاغور «لم تعد موجودة الآن» وإن عدد سكانها في أواسط القرن السادس عشر كان حوالي ٣٠٠ نسمة.

(٢٤) أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، ص ٢٨

(٢٥) محمد طاهر الحسيني المشار اليه توفي سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٦م، وكـان مفتي الحنفية لثلاثة عقود من السنين في النصف الأول من القـرن التاسع عشر. واسمه الكامل محمد طاهر بن عبد الصمد بن عبد اللطيف الحسيني. والجد عبد اللطيف كان نقيب الاشراف في القدس في القرن الثاني عشر. (عادل مناع/ أعلام فلسطين، ص ١١٢).

الحسيني والسيد محمد طاهر الحسيني، وبعد انقراضها يعود وقفاً على سماط[٢٦] سيدنا موسى الكليم. . . واذا آل الوقف لسماط سيدنا موسى الكليم فيكون تولية الوقف لمتولى وقف سيدنا موسى. تاريخ الوقفية ١٥ رجب سنة ١٢٧٧هـ. (١٨٦١م).

أما الوقفية الثانية فقد عثرنا عليها في صفحة ١٠٢ من السجل ٢٦٩ (سنة ١٢٠٣) من سجلات المحكمة الشرعية. وبموجب هذه الوقفية وقف عبدالله بن عبد اللطيف الحسيني نقيب الاشراف بالقدس عقارات (بيّارة ودواوين ودكاكين) بيافا على نفسه ثم على اخيه حسن ثم على أولاده أي أولاد الواقف وذريته، فاذا انقرضوا عاد وقفاً على مصالح سيدنا موسى الكليم (تاريخ الوقفية اوايل ربيع الثاني سنة ١٢٠٣) (١٧٨٨/ ٨٩م).

ومن الطريف أن نذكر أن الشيخ محمد الخليلي عالم القدس والخليل المشهور المتوفى سنة ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م أنشأ بعض الغرف في مباني المقام نفسه ووقفها على نفسه وذريته لينزلوا فيها أيام الموسم وغيره. وكان ذلك باذن من المتولين على المقام، فقد وجدنا في وقفية الشيخ الخليلي المؤرخة في سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م النص التالي:

«و(وقف) جميع الطبقتين المسقفتين بالخشب والقصب الواقعتين في حرم كليم الله موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وقد بناهما الواقف بالاجازة من المتولين على أوقافه وهما المرحومان الشيخ موسى أفندي والشيخ اسحق أفندي، وكذلك الأوضة الواقعة تحت الدرجة التي عند الباب الشمالي المقابلة لباب المسجد الكليمي المسقوفة بالخشب والقصب بجميع المنافع والأنقاض والأبواب والدرجة التي يصعد منها إلى الطبقتين والساحة بين الطبقتين التي فيها المطبخ وسائر المنافع والمرافق. شرط الواقف وقفها على الموقوف عليهم وقفه المزبور أعلاه، فاذا نزل أحدهم في الموسم أو غيره فهو أحق في النزول فيها، وإن لم ينزل فلا يسكن فيها إلا من أخذ إذناً من الناظر على الوقف كائناً من كان»[٢٧].

وفيما يتعلق بالعاملين في مقام النبي موسى عليه السلام فقد عثرنا في السجل ٦٨ (من ١١ رجب ٩٩٥ - ربيع الأول ٩٩٧) من سجلات المحكمة الشرعية في القدس على قائمة باسمائهم وأسماء وظائفهم في أواخر القرن العاشر الهجري. ونحن ندرج فيما يلي ما ورد في الصفحات ٥٠ و٥١ و٥٢ من السجل المذكور:

---

(٢٦) السماط: ما يبسط ليوضع عليه الطعام، والمقصود الطعام نفسه.

(٢٧) الشيخ محمد الخليلي، وثيقة مقدسية تاريخيـــة، تحقيق د. اسحق موسى الحسيني و د. أمين سعيد أبو ليل، ص ٤٢.

سجـــل ٦٨
١١ رجـب ٩٩٥ - ربيع الأول ٩٩٧
ص ٥٠ - ٥٢

جهـات[٢٨] وقف موسى الكليم عليه السلام

شيخ المشايخ شيخ ابراهيم
ناظر وشيخ حضرة موسى ع م[٢٩]
بر موجب[٣٠] بـراه[٣٢]
جديد مورخة في ١٧ صفـر
سنة ٩٧٦

سيد أحمد كاتب وقف في يوم ٣[٣١]
بموجب تذكـرة[٣٣]
جديد مورخة في أوايل قعدة
سنة ١٩٧٤

فتح الدين بن بدر الدين
ابن غضية خادم جامع حضرة
موسى ع م
في يوم ١
بر موجب براه جديد
مؤرخة في ٢٢ صفر سنة ٩٧٦.

بدر الدين بن غضيّة
فرّاش وخادم وبواب
في يوم ٢
برموجب بـــراه
جديد مورخـــة
في ١٧ صفر سنة ٩٧٦

علاء الدين غضيّة
جابـــي
في يوم ٢
بر موجب بـراه
جديد مورخـــة
١٧ صفر سنة ٩٧٦

شرف الدين بن علاء الدين
مـــؤذن
في يوم ١
بر موجب تقريـــر
قاضـي مـــورخ
٢ صفر سنة ٩٧٧

صالح بن غضيّة خادم
في يـــوم ١
برموجب براة جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦.

صالح بن غضية أنبار دار[٣٤]
في يـــوم ١
بر موجب براة جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦.

موسى بن غضيـة خادم
في يـــوم ١
بر موجب براة جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦.

---

(٢٨) جهات : وظائف.
(٢٩) ع. م = عليه السلام.
(٣٠) برموجب = بموجب.
(٣١) في يوم ٣ : أي ٣ أقجة، وهي وحدة العملـة الفضية العثمانية الرئيسية، في اليوم.
(٣٢) و (٣٣) البراة أو البراءة تصدر عن السلطان، والتذكرة عن الوالي.
(٣٤) مأمور مستودعات.

موسى بن غضيّة
بواب وخادم
في يوم ١
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦.

شيخ ابراهيم
في شهر قرق[٣٥]
أقجة
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦

عبد الرزاق بن غضية
بواب وخادم
أيده ٢٥[٣٦]
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦

شيخ محمد خادم
في يوم ١
بر موجب براة جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦

احمد بن غضيّة
فراش وشعّال ايده ٤٠
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦

موسى بن غضيّة
فراش يلده[٣٧] يوز[٣٨] أقجة
بر موجب براه جديد
مورخة في عشري صفر
سنة ٩٧٦

عبد القادر خادم
تربة شريفة في يوم ٢
بر موجب براة جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦

محمد خادم في
يوم ١
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦

نور الدين بن شيخ
علي موذن في يوم ١
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ صفر
سنة ٩٧٦

زكريا خليفة في م[٣٩] ٢
بر موجب براه جديد
مورخة في غرة ربيع
الأول سنة ٩٧٦

شيخ شرف الدين في يوم ٢
بر موجب تذكرة جديد
مورخة في أوايل قعدة
سنة ٩٧٤

شيخ ولي الدين في يوم ٢
بر موجب تذكرة جديد
مورخة بأوايل قعدة
سنة ٩٧٤.

شمس الدين محمد بن سالم
في يوم
بر موجب تذكرة جديد
مورخة في أواسط الحجة
سنة ٩٧٦

عبدالله بصري
في يوم
بر موجب براه جديد
مورخة في ٢١ الحجة
سنة ٩٧٥

يحيى بن محمد حواش
في يوم ٢
بر موجب تقرير قاضي
مؤرخ في ٤ الحجة
سنة ٩٧٧
وعرض مورخة في[٤٠] ثم أبرز
براة جديد مورخة في ٦ شهر
ربيع الآخر سنة ٩٧٧.

---

(٣٥) قرق = ٤٠. (٣٦) أيده = شهرياً. (٣٧) يلده = سنوياً. (٣٨) يوز = ١٠٠. (٣٩) م = يوم.
(٤٠) بياض بعد «في».

جمال الدين
في يـوم ٢
بر موجب تذكرة جديد
مورخ في اوايل قعدة
سنة ٩٧٤

نور الديـن
في يـوم ٢
برموجْب براه جديد
مورخة في ١١ ربيع الآخر
سنة ٩٧٢

ابراهيم بن محمد ديب
في يـوم ٢
بر موجب براه جديد
مورخة في ١١ ربيع الآخر
سنة ٩٧٥

شيخ محمد بن عفيف الدين
فـي يـوم ٢
بر موجب براه جديد
مورخ في ١١ ربيع الآخر
سنة ٩٧٥

بجانب عبد الحق بن جماعة الله
صالح بن محي الدين
فـي يـوم ٢
بر موجب براه جديد
مورخة في ٦ شعبان
سنة ٩٧٦

ابراهيم بن حسام
فـي يـوم ٢
بر موجب تذكرة جديد
مورخة بأوايل قعدة
سنة ٩٧٦

علي بن عبد القادر
في يوم ٢
بر موجب تذكرة جديد
مورخة في أول شهر شعبان
سنة ٩٧٤
ثم أبرز براة جديد مورخة في
١٩ شهر محرم سنة ٩٧٥

شيخ محمـد
في يوم ٢
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٣ صفـر
سنة ٩٧٥

شيخ محمد صعيـدي
في يوم ٢
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ صفـر
سنة ٩٧٦

شيخ محمد بن أبي بكر
في يوم ٢
بر موجب براه جديد
مورخة في ٢٦ الحجة
سنة ٩٧٤

علي ابن أبي اللطف
في يوم ٢
بر موجب براه جديد
مورخة في ٢١ حجة
سنة ٩٧٤

شيخ أبو اللطف
في يوم ٢
بر موجب براه جديد
مورخة في ٢٦ الحجة
سنة ٩٧٤

جمال الدين بن محمد
بن نسيبـة
في يـوم ٢
بر موجب تقرير قاضي
مورخ في ١٤ القعـدة
سنة ٩٧٦

عبـد القـادر
مولانا زكريا ابن أمير علي
في يـوم ٢
بر موجب تذكرة جديد
مورخة بأوايل رجـب
سنة ٩٧٦

سيد محمد بن سيـد
كريـم الديـن
في يـوم ٢
بذكر أخيـه
سيـد احمـد

سيد محمد ابن سيد كريم الدين
في يوم ٢
بذكر اخيه سيد احمد

علي حاج قاسم نفطجي
في يوم ٣
بر موجب براه جديد
مورخة في ٥ ربيع الأول
سنة ٩٧٦

شيخ موسى غضيّة
في م ١
بر موجب براه جديد
مورخة في ٢١ الحجة
سنة ٩٧٥.

أبو العون حافظ اجزا
في يوم ١
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٣ محرم
سنة ٩٧٥

شيخ أبو العون مفرق اجزا
في يوم ٢
بر موجب
عرض صحيح

أبو العون مفرق اجزا شريفة
في يوم ٣
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ صفر سنة ٩٧٦

احمد كاتب وقف قمامة
في يوم ١٥
بر موجب براه جديد
مورخة في ١٧ ربيع الأول
سنة ٩٧٥

وفيما يلي بعض الملاحظات والتعليقات على هذه الوثيقة :

نلاحظ أن الوثيقة تذكر اسماء العاملين في مقام النبي موسى في أواخر القرن العاشر/ السادس عشر، وأسماء الوظائف التي كانوا يشغلونها والوثيقة التي تم بموجبها التعيين سواء كانت براة (أو براءة) من السلطان أو تذكرة من الوالي أو تقريراً من قاض.

ويبلغ عدد العاملين المذكورين في الوثيقة ٤٦ شخصاً يتقاضون اجورهم من الوقف بالاضافة إلى متولي الوقف الذين لم تذكرهم الوثيقة. وعدد العاملين كبير نسبياً. ونذكر بهذه المناسبة أن عدد العاملين في العمارة التي اقامتها خاصكي سلطان في القدس (التكية) كان خمسين موظفاً. وقد كانت التكية أكبر منشأة خيرية في فلسطين. ومن هذه المقارنة نتبين أن مقام النبي موسى كان يضم جهازاً كبيراً من العاملين أيضاً. وبطبيعة الحال لا يمكن مقارنة أي من المؤسستين ـ التكية والمقام ـ بالحرم القدسي الشريف الذي كان يعمل فيه في القرن

الحادي عشر، كما يقول السائح التركي اوليا جلبي، زهاء ٨٠٠ موظف[٤١].

أما أنواع الوظائف في جهاز المقام فهي كما يلي :

شيخ مشايخ، كاتب وقف، خادم جامع، فراش بواب، مؤذن، أنبار دار (مأمور مستودعات)، شعال، خادم تربة، خادم، نفطجي (من نفط). حافظ أجزا، مفرق اجزا، كاتب وقف قمامة.

ونلاحظ أن هناك ٢٣ شخصاً ذكرت اسماؤهم دون ذكر اسماء وظائفهم، أي أنهم معيّنون بلا وظيفة محددة، في حين أن هناك ٨ وظائف (منها مثلا: خادم، مؤذن، فراش وبواب ومفرق أجزا) معيّن لكل منها أكثر من شخص واحد أي هناك عدة أشخاص يعملون في وظيفة تحمل الأسم نفسه. وهناك من جهة أخرى أشخاص يشغلون أكثر من وظيفة واحـدة. ويبدو أن آل غضيّة (آل جودة اليوم) كان لهم في ذلك الوقت السهم الأوفر في وظـائف النبي موسى، فهنـاك من بين العاملين الذين وردت اسماؤهم كاملة أحد عشر شخصاً من آل غضية.

ويبدو لنا، على الرغم من هذه الوثيقة، أنها لم تكن تضم جميع العاملين بالفعل في المقام إذ يؤخذ من بعض سجلات المحكمة الشرعية في القدس أن عدد قراء القرآن الكريم في مقام النبي موسى بلغ سنة ٩٧٥هـ/١٦٦١م ٢٦ قارئاً[٤٢]، وهو عدد كبير خصوصاً إذا عرفنا أن عدد القراء في مساجد الترب في مدينة القدس كان يتراوح بين قارىء واحد وثلاثة قراء. ويبدو أن معاليم القراء كانت تدفع من مخصصات الصرة الرومية التي كانت ترد لأهل القدس في كل سنة من مدينة استانبول، لا من الأوقاف مباشرة، ولذلك فلم يظهر القراء في السجل رقم ٦٨. ويتبين من وثيقة من وثائق المحكمة الشرعية بالقدس أنه كان هنالك بين جماعات المستحقين بالصرّة جماعة تدعى «جماعات قرا أجزا شريفة بمقام سيدنا موسى الكليم». ونعـرف من وثيقـة ثانية أنه كان يدفع من الصرة الرومية معاليم لقراء الأجزاء

---

(٤١) أوليا جلبـي :
Evliya Tschelebi's Travels in Palestine, translated by St. H. Stephan, The Quarterly of the Dept. of Antiquities in Palestine, Vol. IX no. 1, p. 44 (1939).

(٤٢) محمد احمد سليم اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن السادس عشر، رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٦، ص ٣٤٧.

الشريفة عند ضريح سيدنا موسى الكليم في ربعة تدعى بربعة الكليمية وأن «ايقاف ذلك وترتيبه» منسوب للمرحومة «والدة سلطان». والمقصود والدة السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان القانوني، والمعروفة باسم خُرّم وبلقب خاصكي سلطان. وقد تكون الإشارة في الوثيقة الثانية أيضاً إلى «جماعت قرا اجزا شريفة بمقام سيدنا موسى الكليم» المذكورة في الوثيقة الأولى. ونورد في ما يلي نص هاتين الوثيقتين:

الوثيقة الأولى

وثيقة من أوراق آل جودة مسجلة في المحكمة الشرعية في القدس سنة ١١٧١.[٤٣]

صدر التقرير من الفقير السيد محمد القاضى
بالقدس الشريف
(ختم القاضى).

سبب تحرير الحروف هو أنه بالمجلس الشرعي المحرر المرعى أجله تعالى قرر مولانا وسيدنا العالم الكبير العامل النحرير محرر دقايق الفقه والتفسير مقرر قواعدهما أحسن تقرير أقضى قضاة الاسلام أولى ولاة الأنام صدر أساطين الموالي العظام بدر سماء المعالي الفخام فرع الشجرة الزكية طراز العصابة الكريمة الهاشمية الحاكم الشرعي المولى الموقع خطه الكريم أعلاه دام فضله وزاد علاه حامل هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المعتبر المرعي مفخر الأفاضل والسادات الكرام السيد جودالله أفندي ريس السادة المؤذنين بالحرم الشريف القدسي في ثلاثة ذهب سلطاني ونصفت سلطاني وربع سلطاني من الصرّة الرومية الواردة في كل سنة من قسطنطينية المحمية إلى أهالي القدس الشريف السنية من جماعت قرا أجزاء شريفة بمقام سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه وعلى ساير الأنبياء والمدرسين[٤٤]

---

(٤٣) كامل جميل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، مجلد ٢، ص ٢٧٨.

(٤٤) خطأ: المراد المرسلين.

صلوات الملك الجليل وفي نصف سلطاني وربع سلطاني من الصرّة المزبورة من جماعت قرا أجزا والدة سلطان عليها من الله تعالى الرحمة والرضوان وفي سلطاني ذهبا من الصرة المزبورة من جماعة مبلغين حرم شريف عوضاً عن ولدى أخيه هما السيد طه والسيد فتح الله بحكم وفاتهما إلى رحمة الله تعالى وانحلال ذلك عنهما الأيل إليهما ذلك بموجب ثلاث براة شريفة سلطانية وأذن مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي للسيد جود الله أفندي المقرر المزبور بمباشرة وأداء خدمة المذكور أعلاه وقبض معلومها وقدره في كل سنة خمسة ذهب سلطانياً ونصف من الصرّة المذكورة وبالاستنابة عند الحاجة تقريراً وإذناً صحيحين شرعيين مقبولين شرعاً تحريراً في رابع عشر شوال نسة إحدى وسبعين وماية وألف.

شهــــــــــود الحـــــــــال

الفقير ابراهيم الخالدي — الفقير علي الشهابي — الفقير . . . الله الخالدي

الفقير الحاج محمد الخالدي — الفقير حسن الخالدي — الفقير فيض الله الخالدي

كاتبــه الدقـــاق

الوثيقــة الثانيـــة

عن السجل ١٩٦ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس

سنة ١١٠٥هـ، الصفحة ١٠٨

قرر مولانا وسيدنا قدوة قضاة الاسلام ذخر ولاة الأنام زبدة المدرسين العظام الحاكم الشرعي حامل هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المرعي فخر السادات السيد شرف الدين بن المرحوم السيد أبي النصر نصف وظيفة قراءة الجزء الشريف من كلام الله تعالى المنيف عند ضريح سيدنـا موسى الكليم على نبينا وعليه صلاة الملك الرحيم، المنسوبة ايقـاف ذلـك وتـرتيبـه للمرحومة والدة سلطان طاب ثراها المعروفة الربعة المرقومة بربعة الكليمية بها لذلك من المعلوم وقدره في كل سنة ثلاثة سلطانية ذهباً من الصرة الرومية الواردة

في كل سنة من القسطنطينية المحمية إلى القدس الشريف، شركة الشيخ نور الدين غضية، بحق النصف الباقي عوضاً عن فخر المشايخ المكرمين الشيخ علي بن المرحوم الشيخ محمد غضيّة بحكم فراغه له عن ذلك في يوم تاريخه أدناه بحسن اختياره ورضاه الأيل ذلك للقارىء المذكور بمقتضى برآءة شريفة مؤرخة في ثامن عشرى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وألف، وأذن مولانا الحاكم الشرعي المشار إليه خلّد الله نعمه عليه للسيد شرف الدين المقرر المذكور بمباشرة نصف الوظيفة المزبورة وبقبض معلومها المعين أعلاه، وبالاستنابة عند الحاجة تقريراً واذناً صحيحين شرعيين مقبولين شرعاً، وتعوض الفارغ المزبور من المفروغ له عن نظير فراغه له عن ذلك اثنان وأربعون غرشاً عددية قبضها بيده بالحضرة والمعاينة قبضاً شرعياً وأشهد على نفسه الفارغ أن المتجمد عن سنة تاريخه للمفروغ له؟ أشهاداً شرعياً، تحريراً في أوائل جمادى الأولى سنة خمس ومئة وألف.

ويتبين من هاتين الوثيقتين أن الوظائف في مقام النبي موسى ـ شأنها شأن الوظائف عموماً ـ كانت تورّث، كما كانت تباع، وفق الاجراء المعروف بالفراغ أو التنازل.

وقد ترتب على ذلك أن الوظيفة الواحدة كانت تنقسم بالتالي بين العديد من الأشخاص. ونحن نعرف أيضاً أن كثيراً من الوظائف كانت شكلية ولم يكن مشغلوها يؤدون أي عمل في أكثر الأحيان. وتقدم الحجة التالية المؤرخة في سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٣م، مثالا على تفتيت الوظائف، فقد ورث أحد الأشخاص نصف ثُمْن وظيفة خدمة سيدنا موسى الكليم:

[قرر الحاكم الشرعي المومى إليه لحاملي هذا الكتاب الشرعي أولاد المرحوم فخر أقرانه سليمان بشة ابن عبدالله تابع سيد السادات المعظمين السيد عبد الغني أفندي شيخ الحرم القدسي حالا نصف ثمن وظيفة خدمة سيدنا موسى الكليم عليه الصلاة والسلام وثمن وظيفة خدمة النبيين الجليلين سيدنا لوط وسيدنا يونس عليهما صلاة الملك الودود بما لذلك من المعلوم وقدره في كلي يوم عثماني عوضاً عن والدهم المذكور بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى وانحلال ذلك عنه واذن مولانا الحاكم الشرعي المومي لجنابه أعلاه للمقررين المذكورين بمباشرة الوظيفتين المرقومتين وبقبض معلومها المعين اعلاه وبالاستنابة عند الحاجة تقريراً وإذنا صحيحين مقبولين شرعاً. تحريراً في ثاني عشر رجب الحرام سنة أربع ومائة وألف.][٤٥]

---

(٤٥) سجل ١٩٤، ص ٣٩٥ (من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس).

ونتتقل الآن إلى تولية أوقاف النبي موسى عليه السلام. لقد مرّ معنا في كتاب وقف بيبرس على مقام النبي موسى أن بيبرس «نصب متولياً لاقامة مصالح كافة الموقوفات ورعاية مهمات هذه المسبلات من البناء والتعمير والاستغلال والقبض والبسط والحفظ والضبط وأمور التسجيل عين العلماء والمدرسين الكرام بدر سما المعالي الفخام صدر أساطين الموالى العظام قدوة الصلحا الشيخ الشريف عبدالله بن يونس». وقد مرّ معنا ذكر الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي الذي قال العمري إنه رأى النبي موسى في المنام في موضع المقام وتحدث اليه فتأكدت لديه بذلك صحة القبر.

وليس لدينا بعد ذلك معلومات تتصل بالتولية على المقام فيما تلا ذلك في العصر المملوكي بيد أن ما لدينا من الوثائق العثمانية يُظهر أن التولية على المقام كانت في عهدة آل يونس (أو آل الشيخ يونس).

وقد نستنتج من ذلك أن التولية كانت كذلك طوال العصر المملوكي أيضاً. ومن بين الوثائق العثمانية المشار إليها براءة سلطانية مكتوبة باللغة التركية ومؤرخة في ٥ صفر سنة ١١١٩. وذكر المرحوم عبدالله مخلص أن البراءة المشار إليها كانت في حوزة آل يونس. وقد رآها وترجمها الى العربية وفيما يلي ترجمتها:

«هــو المعيـــــــن

بناء على فراغ تولية الأوقاف الشريفة لسيدنا موسى كليم الله صلوات الله علي نبينا وعليه الـواقعة بلواء القدس الشريف وهي خربة ابي فلاح وواد فوكين والأراضي الواقعة بجوار المقام الشريف المحدود قبلة واد الضبر، شمالا الكثيب الأحمر والفوار والعوجة شرقاً، بحيرة لوط غرباً دير السيق فقد وجد أن المستحق لها هو قدوة الصلحاء السالكين الشيخ محمد بن نورالله ابن الشيخ يونس زيد صلاحه فعيّنا حامل هذا التوقيع السلطاني الرفيع الشان متولياً على الأوقاف المزبورة على أن لا يمانعه أحد أو يزاحمه فرد أو يتعرض إليه. هكذا فليعتمد في خامس صفر سنة ألف وتسعة عشر ومائة.

محروسة القسطنطينية»

وعلق عبدالله مخلص على البراءة فقال إن الطغراء السلطانية التي تتوج بها البروات عادة، وتكتب في وسط الورقة، وردت في آخر البراءة ثم قال: ولم نجد تعليلا لهذه المخالفة في جعل الطغراء في ذيل البرات بدلا من جعلها في أعلاها سوى الظن بأن رجالات الديوان

السلطاني رأوا من لزوم الأدب مع سيدنا موسى الكليم أن لا يضع السلطان توقيعه فوق اسمه الكريم وهو في منتهى الذوق وحسن العقيدة الوافرة لنبي الله العظيم.[٤٦].

ولدينا من الوثائق العثمانية أيضاً وثيقة أخرى تاريخها سنة ١١١٥ هجرية، أي قبل البراءة السابقة الذكر بأربع سنوات تفيد أن القاضي أذن في سنة ١١١٤ للشيخ نور الله أفندي ويونس أفندي واسحق أفندي بوصفهم متولين ونظاراً على أوقاف سيدنا موسى بعمل السماط للموسم والاستدانة لهذا الغرض والرجوع إلى جهة الوقف.[٤٧].

ويرجح أن الشيخ نور الله الوارد اسمه في هذه الوثيقة الشرعية هو والد محمد (بن نور الله) الوارد اسمه في البراءة السلطانية.

ولدينا وثيقة ثالثة مؤرخة في سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م هي وقفية الشيخ محمد الخليلي التي تشير إلى متولّيَي وقف النبي موسى «المرحومين موسى افندي واسحق أفندي»[٤٨]. واسحق افندي هو بالطبع المتولي الذي ورد اسمه في الوثيقة السابقة. وجميع هؤلاء المتولين هم من آل يونس كما هو ظاهر.

إلّا أن تولية أوقاف النبي موسى (ونظارة الموسم) لم تبق في عهدة آل يونس وحدهم. فمن أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي نرى أن التولية أصبحت مشتركة بين آل يونس وآل الحسيني. ومن ذيول هذا الاشتراك أن إدارة موسم النبي موسى كانت في القرن التاسع عشر في عهدة آل الحسني وتسلسلت فيهم حتى نهاية الانتداب البريطاني. ومن ذيولها كذلك أنه أصبح لكل عائلة من هاتين العائلتين مطبخ خاص بها يطبخ الطعام للزوار، وأصبحت كل عائلة تعيّن حارساً من قبلها للمقام.

في أوائل القرن التاسع عشر (ربما في العقد الثاني منه) قام الشيخ حسن العطار[٤٩] بزيارة إلى بلاد الشام وزار بيت المقدس، ونزل فيها في بيت نقيب الاشراف السيد عمر بن

---

(٤٦) عبدالله مخلص، مخطوط «أعلام الاسلام في موطن الانبياء فلسطين»، ج١، ص ١٣٤.

(٤٧) السجل ٢٠٢، من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس (سنة ١١١٥)، ص ٦٦.

(٤٨) الشيخ محمد الخليلي، وثيقة مقدسية تاريخية، ص ٤٢.

(٤٩) الشيخ حسن بن محمد العطار، أصله من المغرب، وولد في القاهرة سنة ١١٨٠/١٧٦٦م. وبعد الاحتلال الفرنسي لمصر (سنة ١٧٩٨) بوقت قصير ارتحل إلى الشام وأقام في دمشق وتجول في بلاد كثيرة ثم رجع إلى مصر فتولى التدريس في الأزهر وتولى رياسته سنة ١٢٤٦/١٨٢٨م، وتوفي سنة ١٢٥٠/١٨٣٤. (خليل مردم بك، «أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع»، ط٢، ص ١٥٥ ـ ١٥٦).

عبد السلام الحسيني[٥٠] ووصف رحلته إلى القدس فقال: «فنزلت في دار السيد عمر أفندي وليس ثمة دار آهلة للواردين سواها. وكان المذكور معزولا عن نقابة الاشراف، وله عادة ورثها عن سلفه الأقدمين عمل الموسم الموسوي بالتوجه لضريح السيد موسى الكليم فيبذل الهمة مالا وبدناً في إقامة شعائر الموسم واطعام الطعام إلى انقضاء الموسم، فاتفق أن جاء المنصب قبل الموسم بيومين وعزل المتولي الذي كان لا يستحق هذه الوظيفة الشريفة». [٥١].

ويظهر أن نقابة الاشراف ونظارة الموسم والتولية على أوقافه كانت قد أصبحت وظائف مرتبطة عملياً بشخص واحد من آل الحسيني. وأصبح معروفاً في القدس في القرن الماضي على أية حال أن تولية أوقاف النبي موسى هي في عهدة آل الحسيني[٥٢].

لكن الواقع، كما قلنا، هو أن التولية أصبحت مشتركة بين آل الحسيني وآل يونس. ولا نعرف السنة التي حدث فيها ذلك. ولكننا نعتقد أن ذلك تمّ في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وهي فترة تميزت بزيادة نفوذ آل الحسيني في القدس وفلسطين بأسرها. وكان من أبرز مؤسسي مكانة آل الحسيني السيد عبد اللطيف بن عبدالله بن عبد اللطيف المتوفى سنة ١١٨٨/ ١٧٧٤ ـ ١٧٧٥. وقد تولى أبناؤه عبدالله وحسن وعبد الصمد ومصطفى وأحفادهم مناصب الافتاء ونقابة الأشراف ومشيخة الموسم غالباً منذ أواخر القرن الثاني عشر/ الثامن عشر حتى القرن الرابع عشر/ العشرين. [٥٣].

ولعله من الطبيعي في تلك الظروف أن يمتد نفوذ آل الحسيني ليشمل، من بين أشياء

---

(٥٠) هو عمر بن عبد السلام بن عبدالله بن عبد اللطيف الحسيني. كان جده وجد أبيه نقيبين للاشراف في القدس، وورث عنهما وظيفة النقابة، وأصبح نقيباً للاشراف سنة ١٢١٤/ ١٨٠٠، وبقي فيها أكثر من ثلاثة عقود، ويبدو أنه عزل أثناءها من هذه الوظيفة فترة قصيرة، ولكنه عزل نهائياً وخلفه ابنه محمد علي سنة ١٨٣٤، بعد أن نفي إلى مصر إبان الثورة على المصريين. توفي سنة ١٢٦٦/ ١٢٥٠، (عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠ ـ ١٩١٨، ص ١١٩ ـ ١٢٢).

(٥١) علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، ص ٣٩، وعادل مناع، أعلام فلسطين، ص ١٢٠.

(٥٢) انظر أيضاً: Gabriel Baer, "Jerusalem's Notables and the Waqf" في كتاب:
Palestine in the Late Ottoman Period, ed. by D. Kushner, p. 112.

(٥٣) انظر بشكل خاص:
Butrus Abu-Manneh, The Husaynis, The Rise of a Notable Family in 18th Century Palestine. في كتاب
Palestine in the Late Ottoman Period السابق الذكر، ص ٩٣ ـ ١٠٨. وكذلك: حسن بن عبد اللطيف الحسيني «تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر» ص ٣١٧ ـ ٣٣٠.

أخرى، الاشراف على أوقاف النبي موسى ونظارة موسمه، خصوصاً بعد أن اكتسب الموسم طابعاً جماهيرياً أوسع. أثناء القرن الثالث عشر/ التاسع عشر وازدادت أهميته باضطراد.

وقد أيّد ما ذهب اليه ظني حول ظروف اقتسام التولية ونظارة الموسم بين آل يونس وآل الحسيني السيد وفيق يونس الحسيني واضاف بعض التفصيلات نقلا عما سمعه من أسلافه من عائلة يونس فقال:

لقد ظل أمر تولية أوقاف النبي موسى في آل يونس وحدهم حتى بداية القرن التاسع عشر وربما أواخر القرن الثامن عشر. وفي تلك الأوقات كان حبل الأمن مضطرباً في منطقة مقام النبي موسى، وكانت منطقة المقام والطريق المؤدى إليه من القدس عرضة باستمرار لهجمات البدو وقطاع الطرق فأصبح من المتعذر على آل يونس القيام بواجباتهم تجاه المقام بوصفهم متولين على أوقاف النبي موسى، وعلى الموسم. ولما كان آل الحسيني في ذلك الوقت في طليعة العائلات المتنفذة في مدينة القدس وكانوا على صلات قوية بالولاة والحكام العثمانيين فقد ارتأى آل يونس الاعتماد على نفوذ آل الحسيني ليتمكنوا من القيام بواجبات التولية وأداء شعائر الموسم، وهكذا تنازل آل يونس عن نصف وظيفة التولية إلى آل الحسيني، وصدر على الأثر فرمان سلطاني من استانبول باقتسام التولية بين العائلتين. (٥٤).

وفي ختام حديثنا عن أوقاف النبي موسى نتحدث عن ريع الأوقاف. ونقول بالاجمال إن ريع هذه الأوقاف كان كبيراً لكثرة الموقوفات من قرى وأراضٍ زراعية ودور وعقارات أخرى مختلفة ولكن ليست لدينا من المعطيات الرقمية عنها إلّا القليل: ومن هذه ما ورد في المجلد ١٩ من مجلدات الدفاتر المهمة العثمانية ـ مهمة دفترلري ـ في الوثيقة ١٢١، المؤرخة في ١٩ محرم ٩٨٠هـ ١ حزيران ١٥٧٢م ـ وهي فرمان موجه من السلطان العثماني إلى حاكم سنجق القدس وقاضيها ومتولي الأوقاف السلطانية ويفيدنا هذا الفرمان أن ريع أوقاف النبي موسى والنبي يونس والنبي لوط كان يبلغ ١٢١٩٠ أقجة في السنة(٥٥). ولا شك أن القسم الأعظم من الريع كان يخص وقف النبي موسى، أكبر هذه الأوقاف جميعاً.

ويبدو أن دخل الأوقاف كان ينخفض باضطراد خصوصاً في القرن الحادي عشر/

---

(٥٤) من حديث السيد وفيق يونس الحسيني للمؤلف، اوائل ١٩٨٩م.

(٥٥) U. Heyd, Ottoman Documents on Palestine, p. 158.

قد نأخذ فكرة عن قيمة الاقجة الفعلية في القرن العاشر الهجري من ملاحظة أن متوسط دخل العاملين في مقام النبي موسى، في ذلك القرن كان ٦٠ أقجة شهرياً.

السابع عشر وما بعده نظراً لاضمحلال القرى والمزارع، وتدهور الأوضاع الاقتصادية في الشطر الأخير من الحكم العثماني.

أمـا في زمن الانتداب البريطاني فنعرف من المرحوم عبدالله مخلص أن ريع أوقاف النبي موسى السنوي في سنة ١٩٤٢ كان نحو ٧٥٠ جنيهاً فلسطينياً. ولم يكن هذا الريع يكفي أحياناً للانفاق على الموسم والمقام فكانت إدارة الأوقاف تضطر إلى تأمين الزيادة. [٥٦].

أما الوضع الحالي لأوقاف النبي موسى فقد توجهنا بسؤال عنه إلى وزير الأوقاف في عمان فتكرم بسؤال إدارة الأوقاف بالقدس وزودني بصورة عن كتاب بعث به إليه مدير أوقاف القدس بهذا الشأن (بتاريخ ١٤٠٦/٢/٥، الموافق ١٩٨٥/١٠/٥) وجاء فيه ما يلي :

[سماحة وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه

إشارة لكتابكم ذي الرقم ٩٢/أملاك/٩٢٧٧، تاريخ ١٩٨٥/٩/٢٤ .

أرجو أن أبين المطلوب عن مقام النبي موسى عليه السلام فيما يلي :

أ ان الأعيان الموقوفة على مقام النبي موسى عليه السلام حسب ملفات وسجلات الواردات بدائرة أوقاف القدس هي :

١ - بيت مؤلف من ثلاث غرف ومنافع في عقبة التكية بالقدس وهو بايجارة السيد أحمد توفيق عليان.

٢ - أراضي بدير حجلة والزور وهي مساحة أرض زراعية تقع في أريحا وبحدود خمسة آلاف دونم تم تأجير ٢٥٠٠ دونم منها تقريباً وبأجرة قدرها ديناراً أردنياً واحداً لكل دونم.

٣ - أرض الخديوي ومساحتها ٢٠ دونماً تقريباً منها ١٢ دونماً عليها مساكن لأهالي دير ياسين وبأجور تقدر بمجموعها بمئة دينار سنوياً وثمانية دونمات (بيارة) بايجارة السيد احمد التيجاني باجرة سنوية قدرها ١٥٠ ديناراً.

٤ - موقع الخيران الشمالي مقابل مخيم عقبة جبر ومساحتها (٧٥٫٧٥٣) دونماً (خمسة)

---

(٥٦) عبدالله مخلص، مدير الأوقاف العام سابقاً في فلسطين، في مقاله : كيف ومتى بدأ موسم النبي موسى عليه السلام، مجلة هنا القدس، العدد ٦، السنة ٣، بتاريخ ١٩٤٢/٣/٢٩، ص ١١.

وسبعين دونماً و٧٥٣ متراً مربعاً) مؤجرة لجمعية البر بأبناء الشهداء لمشروع زراعي منذ ١٩٨٠ بأجرة سنوية قدرها (٢٥) ديناراً.

ب ـ إن الموظف الوحيد الذي يعمل في مقام النبي موسى عليه السلام هو : السيد محمد اسماعيل الجمل وهو يعمل حارساً للمقام.]

ويتبين من مقارنة ما ورد في هذه الرسالة بالأوقاف الكثيرة التي وقفت على مقام النبي موسى من قديم الزمان وعلى توالي العصور، كما ذكرنا سابقاً، أن كثيراً من أوقاف النبي موسى قد درست، وأن كثيراً من أراضيها قد انتقلت إلى أيدي أفراد أو عائلات في المناطق المختلف بقضاء أريحا وقضاء رام الله وغيرهما، وأصبحت الآن أملاكاً خاصة، شأنها في ذلك شأن العديد من الأوقاف الخيرية في غير مكان من فلسطين وغيرها من البلدان.

******

القسم الثاني

موسم النبي موسى

تاريخ الموسم

ووصف رسومه واحتفالاته

الفصـــــل الرابع

الجذور التاريخيـــة
لموسم النبي موسى عليه السـلام

المـواسم والأعياد قديمـة قدم التـاريخ البشري ، وكـانت تتخذ في بداياتها شكل الاحتفـالات الدينية التي استهدفت احياء حدث من الأحداث أو الاحتفاء بمناسبة من المناسبات . ومهما كان الشكل الذي اتخذته الأعياد ، فقد كانت تنبثق من حاجات الناس الاجتماعية والاقتصادية وتلبي مطالب اجتماعية . وهي بدورها تكسب المجتمعات تماسكاً ضرورياً للاستمرار وتمدّ الفرد بطاقة متجددة وقدرة على العمل والانتاج . وغني عن البيان أن الراحة والاستجمام من العمل ضروريان لمتابعة مسيرة الحياة بجد ودأب .

وتقـترن الأعياد بالأكـل والشرب والغنـاء والـرقص ومختلف صنوف الترفيه وأنواع الألعـاب ، وكثـير منها كان يعقب مواسم الصيام ، فيتأتى للفرد بذلك نوع من الوسطية والاتزان بين التقشف والشظف وبين الدعة والرفاهية ، بين الجد وبين اللعب . واذ اتخذت الأعياد القديمة شكلا دينياً ونشأت كجزء من الشعائر الدينية فقد أسبغت الأديان عليها رموزاً وطقوساً كان ينبغي مراعاتها والالتزام بها .

غير أنه لا بد لنا أن نلاحظ من جهة أخرى أن الأعياد ارتبطت من حيث الأساس ومنذ القديم بأسباب اقتصادية مختلفة وخاصة بالزراعة . فالاعتراف بأهمية اختلاف الفصول بالنسبة للمحاصيل الزراعية أدى إلى قيام أعياد مخصوصة في فصول السنة المختلفة ، وعلى الأخص في فصل الربيع الذي هو فصل الوفرة والنماء ، ولذلك نشأت طقوس وممارسات دينية مرتبـطة بها ، وعلى أساس الاعتقاد بأن وفرة الطعام تعتمد على القوى المقدسة التي تخضع لها القوى الطبيعية فيما يتعلق بالنباتات والحيوانات والأحوال الجوية والأنهار.[1]

وتقول الموسوعة البريطانية : ان التوسّل (أو التوصل) الى القوى المقدسة كان يتم إدراكـه (والمحـافظة عليه) بشفاعة شخصيات دينية معينة . . وفي وقت محدد في التاريخ البشري القديم (حوالي ٨٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ ق.م في الشرق الأدنى القديم) وبعد أن ربطت

---

(١) انظر البحث القيم الذي نشرته الموسوعة البريطانية بعنوان "Feast and Festival"
The New Encyclopaedia Britannica - Micropaedia – vol. 7, 1981, pp. 197-202.

فصول السنة بالزراعة والحصاد خصصت أيام معينة أو فترات معينة على الأرجح للصوم (نظراً لقلة المحاصيل الغذائية) أو للتعييد (نظراً لزيادة المحاصيل الغذائية). وخصّصت أيام معينة في هذه الفترات للقيام بشعائر دينية (من ضمنها الاعياد غالباً) يُحتفل فيها بتجدد فصول الطبيعة، وتسبغ عليها مفاهيم التجديد الروحي للفرد أو للمجتمع. ومن هذا المنطلق كثرت في الأزمنة الغابرة الاحتفالات المرتبطة بفصول السنة المختلفة وخصوصاً فصل الربيع، الذي تتجدد فيه الطبيعة وتكسى حُلة من النضرة وتغل فيه الأرض الغلال الوفيرة. وهناك سلسلة طويلة من أعياد الربيع عند مختلف الأمم ولدى الكثير من الأديان والثقافات القديمة، وهي تتضمن فيما تتضمنه الابتهال إلى الآلهة (أو الى شخصيات مقدسة يتقرب بها إلى رضائها) وتقديم القرابين والأضحيات لها، وكذلك الفرح والابتهاج والاحتفال بما أسبغته على البشر من خير عميم في فصل الربيع. وكان ذلك يقترن على الدوام برسوم وشعائر وممارسات متعددة ومعقّدة. فعند الزورواستريين (الزردشتيين) الفرس نشأ احتفال السنة الجديدة المعروف بالنيروز في فصل الربيع (وكانت سنتهم تبدأ في هذا الفصل) ليعبر عن الاحتفال البهيج بالحياة الجديدة في الطبيعة وعن بعث الأجسام بعد موتها إثر هزيمة أهريمان (إله الشرّ). وفي مصر القديمة كانت تقام احتفالات بتجدد فصول السنة وترتبط بتقديم الأضاحي والأكل والشرب والألعاب التمثيلية والكرنفالية. وكانت هذه الاحتفالات الدينية تتضمن تصورات وطقوساً شاعت فيما بعد في الديانات الرومانية الاغريقية وكذلك في الديانات السامية وخاصة الديانة اليهودية القديمة والديانة المسيحية، وانتقلت عناصر منها إلى الاحتفالات الاسلامية.

ونذكر من هذه الاحتفالات الدينية المصرية القديمة الاحتفال الذي كُرّس للاله مِن (Min) والذي كان يقام بمناسبة شهر الحصاد (نيسان) وتنظم فيه المواكب وترتّل التراتيل وتؤدى الرقصات ابتهاجاً بتجدد الطبيعة، [وهو عيد شم النسيم اليوم].

وفي بابل أيضاً كان يقام الاحتفال بالسنة الجديدة في شهر نيسان، وكان هذا الاحتفال يمتدّ من عشرة أيام الى اثني عشر يوماً، وتذبح فيه في اليوم الخامس شاة يلقى برأسها في النهر وبجسمها في البراري، رمزاً لتخليص المجتمع من قوى الظلام (ويشبه هذا شعيرة القربان عند اليهود القدماء، والتي تنقل فيها خطايا المجتمع إلى عنزة تلقى في البراري بعيداً عن الناس).

ومن بين أعياد الربيع عند الأمم الأخرى عيد مارس (آذار) عند الرومان وعيد ديونيسيوس وادرياني عند اليونان الذي يحيي اسطورة ترمز إلى البعث وصحوة الربيع.

ومن أعياد الربيع القديمة في بلاد الشام عيد كان يحتفل به الأنباط في شهر نيسان تكريماً لالهم (ذو الشّرى) ، ويطلق مؤرخو الرومان على هذا العيد اسم Acta Dusaria

وكانت شعائر هذه الأعياد وتقاليدها تنتقل من أمة إلى أمة ومن دين الى دين بعد تغيير وتحوير يناسب الظروف والتقاليد السائدة في الأمم المختلفة . . وعندما كان ينتصر دين من الأديان في نزاعه مع الأديان الأخرى كان يتبنى في كثير من الأحيان عناصر من أعياد الأديان المقهورة واحتفالاتها . وكان هذا أمراً شائع الحدوث عند الديانات العالمية القديمة والحديثة . وحتى في الأزمنة الحديثة وفي الأعياد العلمانية ، نلاحظ أحياناً شيئاً من ذلك . فعيد العمّال في أول أيار يرتدّ في أصوله القديمة إلى احتفال بالخصوبة التي يأتي بها الربيع كان يقام في العصر الهليني ، ويدعى احتفال الأم العظمى (Magna Mater) .

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أن أصول عيد الميلاد المسيحي الذي يقع في ٢٥ كانون أول من كل عام ترجع إلى عيد شتوي كان يقميه الرومان من ١٧ الى ٢٤ من كانون الأول ويعطلون فيه ويحتفلون فيه احتفالا صاخباً ، وإلى عيد إيراني قديم هو عيد مِثرا اله النور ، وكان يحتفل فيه في ٢٥ كانون الأول في كل عام .

وكمثال بارز على انتقال شعائر الأعياد واحتفالاتها من أمة الى أخرى ومن دين الى دين نذكر عيد الفصح عند اليهود ، الذي يسمّونه بيسح : (Passover) ، وهو أحد الأعياد اليهودية الرئيسية ويحتفل به ابتداء من ليلة البدر الأولى في شهر الربيع . ويضم احتفالا بحصاد فصل الربيع .

تقول موسوعة Meyer الألمانية عنه :

«أصله بلا شك عيد ربيع بدوي ولكنه نقل الى الديانة اليهودية منذ وقت قديم ذكرى لخروج اليهود من مصر»[٢] (زمن النبي موسى) ونقول : غير مستبعد أن يكون اليهود قد تأثروا أيضاً باحتفالاتهم في هذا العيد بأعياد الربيع في مصر القديمة وبابل وسواهما .

ومن الأعياد اليهودية في فصل الربيع نذكر أيضاً عيد البوريم الذي يحيي فيه اليهود ذكرى فشل محاولة استئصالهم في الامبراطورية الفارسية سنة ٤٧٣ ق . م ، كما جاء في سفر استير . وهذا العيد الذي يحتفل به في ١٤ / ١٥ آذار العبري (شباط ـ آذار) منقول عن عيد

---

(٢) مـادة Passah في Meyers Neues Lexikon, Band, 6 (Leipzig, 1963)

بابلي يمثل انتصار الربيع على الشتاء.[٣].

وعيد الفصح في المسيحية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعيد الفصح عند اليهود، بل إن عيد بيسح اليهودي قد أخلى مكانه في المسيحية لعيد الفصح Easter و Ostern[٤]. وبالاضافة إلى المؤثرات اليهودية في عيد الفصح عند المسيحية هنالك مؤثرات جرمانية.

تقول موسوعة مأير:

«عيد الفصح أصله عيد جرماني وثني سمي كذلك باسم الهة الربيع الجرمانية Ostara ثم جعله المسيحيون عيداً لقيام المسيح. ويرتبط بعيد الفصح عادات وأعراف سابقة للمسيحية. ومنذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥ب. م. حدد تاريخ عيد الفصح في يوم الأحد الأول الذي يأتي بعد البدر الأول بعد وقوع الاعتدال الربيعي. أي أنه كان يحسب وفق حركات القمر الطبيعية ضمن السنة الشمسية»[٥].

وهكذا يمكن أن يقع في أي وقت بين ٢٢ آذار و ٢٥ نيسان.

ومعروف أن عيد الفصح هو أكبر الأعياد المسيحية فهو عيد اخراج الحي من الميت، عيد قيامة السيد المسيح من قبره، حسب العقيدة المسيحية.

وضمن هذه السلسلة من أعياد الربيع في التاريخ وعند مختلف الأمم يمكن أن تدرج المواسم التي يحتفل بها الفلسطينيون في فصل الربيع من مثل موسم النبي موسى، وموسم النبي صالح وموسم الحسين أو موسم وادي النمل في جورة عسقلان. ويقال إن هذا العيد الأخير هو امتداد لعيد قديم سابق لعصر صلاح الدين الأيوبي[٦]. وشأن أعياد الربيع من حيث تحدّرها من أصول قديمة شأن الأعياد التي تقام في الفصول الأخرى. فموسم النبي روبين الذي يقام في الصيف والخريف (تموز وآب وأيلول) عند نهر روبين قرب يافا كان مثلا موسم الخريف والحصاد عند الكنعانيين. وتبرز في المواسم الفلسطينية كلها ملامح وعناصر من الأعياد القديمة رجوعاً إلى زمن الكنعانيين والمصريينَ والبابليين. ومن ذلك إقامة المهرجانات والمواكب وحفلات الغناء وتلاوة الأدعية والصلوات والابتهالات، ونحر الذبائح

---

(٣) G. Dalman, Arbeit und Sitte I(2), p. 443.

(٤) انظر مادتي Passover و Easter في : The Macmillan Encyclopaedia

(٥) مادة Ostern في : Meyers Neuee Lexikon Band 6, p. 318

(٦) نمر سرحان، موسوعة الفولكلور الفلسطيني، مج ٣، ص ٥٧١

وتقديم الأضاحي وصبغ البيض، وصبغ الأيدي بالحنة وصبغ الحيوانات باللون الأحمر (يوم الجمعة في الاسبوع السابق لعيد الفصح، ويطلق عليه جمعة المغري، وصبغ الحيوانات عادة قديمة مأخوذة عن المصريين القدماء). وصنع الحلويات وأنواع المآكل (ومنها صنع الخبز الفطير بالخليل يوم الثلاثاء السابق لعيد الفصح والذي يذكّر دالمان بخبز الفطير في عيد الفصح عند اليهود) وكذلك الاحتفال بأربعة ايوب يوم الأربعاء السابق لعيد الفصح (ويقال إن النبي أيوب شفي فيه). (٧) .

وكانت عناصر من هذه المواسم تتحور وتتغير مدلولاتها على مدى التاريخ على ضوء العقيدة السائدة وباختلاف الظروف الاجتماعية بل إن أسماء المواسم نفسها كانت تتغير أحياناً حسب الأزمنة والعقائد، وكذلك كانت تتغير أحياناً أماكن انعقادها، وبذلك تظهر في أثواب تبدو جديدة تماماً.

وجدير بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن الأعياد الشعبية الفلسطينية التي كانت سائدة عندما قدم العرب المسلمون إلى فلسطين كانت ذات صبغة مسيحية في الغالب، مهما كانت العناصر المؤلفة لها قديمة موغلة في القدم ومستقاة من احتفالات يهودية أكثرها مأخوذ من الكنعانيين القدماء والبابليين والمصريين.

والروزنامة الشعبية الفلسطينية بما فيها من احتفالات وأعياد متصلة بفصول السنة المختلفة، كما وجدها العرب المسلمون عند دخولهم البلاد، كانت تقوم على الأعياد المسيحية في زمن البيزنطيين، فبداية العام عند الفلاح الفلسطيني تأتي مع انتهاء فصل الخريف وبداية فصل الشتاء. وكانت بداية العام الجديد عند الفلاح تأتي في عيد الصليب(٨) يوم ٢٧ أيلول بالحساب الارثوذكسي (الشرقي) (١٤ أيلول بالحساب الغريغوري الغربي). ومن الأمثال الدارجة في فلسطين: «مالك الصيفيات بعد الصليبيات» و«إن ابرقت على الصليب ما بتغيب». أما التحديد الآخر للروزنامة الشعبية لبداية الشتاء فهو يوم ١٦ تشرين الثاني في التقويم الاثوذكسي (الشرقي) (الثالث من تشرين الثاني حسب التوقيت الغربي). وهذا اليوم هو يوم عيد مار جريس (جورج)(٩) ـ عيد لد ـ. ومن الأمثال المأثورة: «في عيد لد

---

(٧) انظر في ذلك كله دالمان ـ المصدر السابق، ص ٤٢٩، ٤٣٠.

(٨) ويمثل ذكرى عثور الملك قسطنطين وهيلانة على الصليب الذي يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه.

(٩) مارجريس، مارجورج، أو جاورجيوس من أشهر القديسين في المسيحية. كان جنديا في الجيش الروماني في قبادوقيا (آسيا الصغرى) حيث ولد ونشأ. وفي سنة ٣٠٣م أيام الامبراطور ديوكليتيانوس مات شهيداً للمسيح في مدينة ديو سبوليس، وهي اللد. فاقيمت على قبره كنيسة. وقد نسجت المخيلة الشعبية روايات كثيرة حوله، أشهرها عن قوته الخارقة التي تمثلت في قتلهِ التنين برمحه. ويعرف مارجريس أيضاً باسم الخضر.

شدّ يا فلاح شد .ما بقى للشتا تعدّ» و«في عيد لد احرث وشد» . [10]

ويلاحظ أن الأمثال الشعبية الفلسطينية المتصلة بالزراعة تشير إلى أشهر السنة الشمسية (ذات التسميات السريانية) التي تأتي في موعد ثابت كل عام حسب فصول السنة وهكذا يقال : «في كانون كوّن في بيتك وكثر حطبك وزيتك» ، «شباط ما عليه رباط» و«خلي فحماتك الكبار لعمك آذار» و«مية نيسان بتحيي الانسان» و«في نيسان ضبّ العدّة والفدّان» (كناية عن انتهاء موسم الزراعة) و«في تموز تغلي الميه في الكوز» و«في آب اقطف اقطف ولا تهاب» و«أيلول ذنبه مبلول» و«ما بين تشرين أول وتشرين تاني صيف تاني» . . الخ

وكذلك فان تقسيم السنة ، يتم في سبعة أقسام مقدار كل منها خمسون يوماً :

الأول : (من العيد (أي عيد الفصح) للعنصرة[11] خمسين يوم مقدّرة .) . وفيها يحل حصاد العدس والكرسنة .

الثاني : (من العنصرة إلى المنطرة) أي بداية نطر ـ حراسة ـ الكروم ، وتنتهي بعيد مار الياس (٢ آب شرقي ، ، ٢٠ تموز غربي) ، وفيها يحل حصاد القمح والشعير.

الثالث : (من المنطرة للمعصرة) أي إلى وقت عصر العنب . . وتنتهي في ٢٧ أيلول غربي (عيد الصليب) ، ومدتها ٥٤ يوماً .

الرابع : (من المعصرة لعيد لد) وتنتهي في ١٦ تشرين ثاني شرقي (٣ تشرين ثاني غربي) وفيها موسم الزيت والزيتون .

الخامس : (من اللد للميلادي) ، أي من عيد لد إلى عيد ميلاد المسيح (٥٢ يوماً) وهي تصادف موسم الحراثة والبذار والحصاد وبدء الأمطار.

السادس : (من الميلادي للصيام ـ السابق لعيد الفصح ـ) وهي فترة الشتاء الحقيقي .

السابع : فترة الصيام قبل عيد الفصح[12] .

---

(١٠) نمر سرحان ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ـ مج ١ ، ص ١٧٦/١٧٧ .

(١١) عيد مشهور عند اليهود والمسيحيين يومىء في اليهودية الى الشكر على محصول الحصاد ويقع بعد عيد الفصح اليهودي بخمسين يوماً . ويقع عند المسيحيين يوم الأحد السابع بعد عيد الفصح وهو ذكرى حلول الروح القدس على الرسل بعد صلب المسيح بخمسين يوماً .

(١٢) نمر سرحان ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، مج ١ ، ص ١٨٢ ، وكذلك انظر :
Canaan, T., Der Kalender des Palästinensischen Fellachen, ZDPV, Bd. xxxv1, 1913, pp. 266-300.

هذه هي الروزنامة الشعبية التي كانت سائدة بهذه الأسماء عينها في فلسطين منذ حوالي ألفي عام، والتي ظلت قائمة بعد الفتح العربي الإسلامي لفلسطين في القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري).

وقد ظل الفلسطينيون يعتمدونها حتى بعد اعتناقهم الاسلام بأكثريتهم الساحقة ويحتفلون بها أو يشاركون في الاحتفال بها بشكل من الأشكال، وذلك جنباً إلى جنب مع الأعياد الاسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد وعيد الاسراء والمعراج الخ.

ولدينا شواهد من مشاركة المسلمين للمسيحيين في أعيادهم في الفترة الاسلامية الأولى (من القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري/ السابع إلى القرن الحادي عشر الميلادي):

فنحن نعرف ـ على سبيل المثال ـ قول المعلّى بن طريف، مولى الخليفة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥م) الذي أنشد في القرن الثاني للهجرة قائلا:

يا صاح إني قد حججتُ وزرت بيتَ المقدس
وأتيت لُداً عامداً في عيد ماري سرجس[١٣]
فرأيت فيه نسوة مثل الظباء الكُنَّس[١٤] و[١٥]

ويشير المسعودي في القرن الرابع/ العاشر إلى حضور المسلمين احتفالات عيد الفصح أو عيد القيامة فيقول في فصل بعنوان «شهور السريانيين» ما يلي:

«والخمس منه ـ وهو تشرين الأول ـ عيد كنيسة القيامة ببيت المقدس، وفي هذا اليوم تتجمع النصارى من سائر الأرض، وتنزل عليهم نار من السماء، فيسرج هناك الشمع، ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر إلى العيد، ويقتلع فيه ورق الزيتون ويكون للنصارى فيه أقاصيص...»[١٦].

ويقول المقدسي البشارى بعد المسعودي بحوالي نصف قرن (ت حوالي ٩٨٠م) ما يلي:

---

(١٣) مارجريس.
(١٤) الكنّس جمع كانس وهو الظبي يدخل في كناسه أو بيته.
(١٥) ياقوت، معجم البلدان ١٥/٥.
(١٦) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٤٦هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص ١٨١.

«ومن أعياد النصارى التي يتعارفها المسلمون ويقدرون بها الفصول الفصح وقت النيروز، والعنصرة وقت الحر، والميلاد وقت البرد وعيد بربارة[١٧] وقت الأمطار. ومن أمثال الناس اذا جاء عيد بربارة فليتخذ البنّاء زمارة، يعني فليجلس في البيت، والقلندس[١٨] ومن أمثالهم إذا جاء القلندس فتدفى واحتبس. وعيد الصليب وقت قطاف العنب، وعيد لدّ وقت الزرع. وشهورهم روميّة تشرين الأول والثاني كانون الأول والثاني شباط آذار نيسان أيار حزيران تموز آب أيلول»[١٩]

ومن بين الاحتفالات المسيحية كانت تبرز احتفالات عيد الفصح (أو القيامة) بوصفها أكبر الاحتفالات وأضخمها وأطولها. وكان يشارك فيها عدد كبير من الحجاج الذين كانوا يفدون إلى القدس منذ القرون المسيحية الأولى. ويسبق أحد الفصح باسبوع واحد أحد الشعانين ويعرف بأحد النخلة، ويرمز الى دخول السيد المسيح القدس وهو راكب على أتان حاملا النخيل. وتقوم الطائفة اللاتينية بتمثيل هذه الحادثة متتبعة المراحل التي سار فيها المسيح. وأما الطائفة الارثوذكسية فتحتفل في تلك المناسبة بتنظيم موكب رسمي مؤلف من البطريرك والاكليروس بألبستهم الرسمية الثمينة يتبعهم رجال الحكومة وأعيان البلد.. ثم الأطفال، الجميع يحملون أغصان النخيل المزينة بالأشجار والأشرطة الملونة.[٢٠].

ويصف لنا يحيى بن سعيد الأنطاكي المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م احتفالات عيد الشعانين في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فيقول:

«وكان رسم النصارى في بيت المقدس جارياً في كل عام بحمل شجرة من شجر الزيتون في عيد الشعانين من الكنيسة التي بالعازرية إلى كنيسة القيامة وبينهما مسافة بعيدة، وأن يشق بها شوارع المدينة بالقراءة والصلوات حاملين الصليب مشهوراً ويركب والي البلد

---

(١٧) بربارة (القرن الثالث أو الرابع الميلاديين) ابنة شريف وثني من مدينة نيقو ميديا بآسيا الصغرى اعتنقت المسيحية سراً ثم اعلنت عقيدتها مما أدى إلى اضطهادها واستشهادها. لها شهرة كبيرة عند المسيحيين الشرقيين الذين يحتفلون بعيدها يوم ١٧ كانون الأول (شرقي) - ٤ كانون أول غربي، لا بمظاهر التقوى فحسب بل باقامة الأفراح والولائم.

(١٨) من الكلمة اللاتينية Kalendis وتعني أول كل شهر عند الرومان، وهو اليوم الذي تعلن فيه أوقات الاحتفالات والأعياد. وتعني القلندس هنا أول شهر يناير/ كانون الثاني عندهم في التقويم اليوناني الذي كان سائداً في فلسطين (أي أول السنة).

(١٩) المقدسي البشاري، احسن التقاسيم، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٢٠) يسرى جوهرية عرنبطة، الفنون الشعبية في فلسطين، ص ١٦٧.

في جميع مواكبه معهم ويذبّ عنهم»[٢١].

ومن الاحتفالات الكثيرة الأخرى التي كانت تقام ـ ولا تزال ـ في اسبوع الفصح الاحتفال بخميس الغسل (قبل الفصح بـ ٣ أيام) الذي يقام ذكرى لغسل المسيح أرجل تلاميذه. . .

«ويعتبر هذا الاحتفال من أروع الاحتفالات المسيحية اذ تنصب فيه البطريركية (الأرثوذكسية) سريراً كبيراً من الخشب والحديد، ومن حوله يثبت ثلاثة عشر مقعداً أي عدد تلامذة يسوع يجلس عليها الكهنة، ثم يقوم البطريرك مقلداً المسيح بغسل أرجل الكهنة. . يجري كل ذلك على مرأى من ألوف المشاهدين من زوار وحجاج ومدنيين وسلك دبلوماسي ورجال حكومة. وفي هذه الأثناء يقوم شباب الطائفة (الأرثوذكسية) بغناء شعبي وأهازيج، ولعب السيف والترس وذلك على سطح كنيسة مار يعقوب». [٢٢]

وبعد خميس الغسل يأتي يوم الجمعة العظيمة الذي يكرسه المسيحيون للقيام بالمراسيم الدينية ذكرى لما يعتقدونه من صلب السيد المسيح في ذلك اليوم. . ومن أشهر الاحتفالات الاحتفال بسبت النور. وتؤمن الطوائف المسيحية ـ ما عدا طائفتي اللاتين والبروتستنت ـ بفيض النور من القبر المقدس، (تذكاراً لقيام المسيح من بين الأموات) بطريقة لا يد لانسان فيها. وكان النور الذي يظهر في أحد المصابيح ينقل إلى المصابيح الأخرى التي كان يحملها الأهلون وكذلك الحجاج القادمون من أرجاء الدنيا. ويحضر الاحتفال آلاف الناس داخل كنيسة القيامة، وتقام مواكب احتفالية ينظمها شباب الروم حاملين سناجق الشباب، ويمتطي لاعبو الترس ظهور اخوانهم وينشد الجميع الأغاني والأهازيج. وكان أمير البلد من قبل العباسيين يشهد هذه الاحتفالات في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. [٢٣].

وبلغت الاحتفالات بعيد الفصح أوجها بعد احتلال الصليبيين للقدس. وأخذ ملوك مملكة القدس اللاتينية يشرفون على هذه الاحتفالات بدلا من أمراء المدينة المسلمين. وفي

---

(٢١) سعيد بن البطريق، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تأليف البطريرك افتيشيوس، المكنى بسعيد بن البطريق، ويليه تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي، بيروت ١٩٠٩، ص ١٦٤.

(٢٢) يسرى جوهرية، ص ١٦٩.

(٢٣) انظر: F.E. Peters, Jerusalem, p. 259 - 266. ويصف اللاتين ظهور النور بأنه خدعة ودجل يمارسه المسيحيون الشرقيون ويقولون انه عار على الديانة المسيحية. Peters, p. 524.

القرن الثاني عشر ابّان الاحتلال الصليبي كانت احتفالات أحد الشعانين تجري على النسق التالي : قبل الفجر كان رجال الدين المسيحيون في كنائس القدس يخرجون في موكب إلى قرية العيزرية شرقي القدس، وكان خازن القبر المقدس يجلب معه الصليب المقدس. وفي الوقت نفسه كان سكان القدس والحجاج الذين يحملون سعف النخل وأغصان الزيتون يجتمعون مع القساوسة في فناء قبة الصخرة، التي حولها الصليبيون إلى هيكل الرب (Templum Domini) . وكان أحد كبار رجال الدين يبارك أغصان النخيل والزيتون ثم يعود الموكب من قبة الصخرة خروجاً من باب الاسباط إلى وادي ستنا مريم (قدرون) . وفي هذا الوادي كان هذا الموكب يقابل موكب رجال الدين القادم من العيزرية ثم يتبع الجميع البطريرك حاملا الصليب المقدس، ويصعد الجميع إلى تلة باب الاسباط نحو الباب الذهبي (باب الرحمة عند المسلمين) الذي كان يفتح سنوياً خصيصاً لهذه المناسبة. ويجتمع المحتفلون كلهم مرة أخرى في الحرم الشريف. وبعد أن يدور الموكب بالصليب المقدس في المسجد الأقصى (الذي حوله الصليبيون إلى ما دعوه هيكل سليمان (Templum Solomonis) كان الموكب ينتهي بالصلاة والدعاء في صحن قبة الصخرة.[٢٤]

واذا كنا قد أفضنا بعض الشيء في وصف عيد الفصح واحتفالاته فلاننا نعتقد أن هذه الاحتفالات كان لها أثر في احتفالات النبي موسى التي نحن بصدد الحديث عنها في أكثر من اتجاه.

لقد كانت مواكب عيد الفصح الضخمة في القدس تترك أثراً في نفوس مسلمي القدس (وما جاورها) بشكل خاص منذ أوائل الفتح الاسلامي للمدينة. . . وفي فترة اتسمت بالتسامح الديني (خاصة في القرون الميلادية السابع والثامن والتاسع/ الأول والثاني والثالث الهجرية) لم يكن مسلمو القدس يجدون غضاضة في مشاركة المسيحيين احتفالاتهم، كما رأينا، ولكن الأجواء أخذت تتغير في القرن الحادي عشر، بفعل تيارات التعصب الديني التي وصلت أوجها في الحروب الصليبية واحتلال الصليبيين للقدس. لقد أفسد التعصب الديني العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ردحاً من الزمان. وفي ذلك الجو لم يعد ممكناً أن يشارك المسلمون المسيحيين احتفالاتهم. وليس من الغريب أن فكر المسلمون المقادسة والفلسطينيون في تلك الظروف باقامة احتفالات خاصة بهم تضاهي احتفالات عيد الفصح وتزامنها، خصوصاً وأن هذه الاحتفالات الأخيرة كانت تشارك فيها

(٢٤) J. Prawer, the Latin Kingdom of Jerusalem p. 178.

أعداد غفيرة من المسيحيين حتى بعد استرداد القدس سنة ١١٨٧ (٥٨٣هـ)، بحيث كان هذا التجمع يشكل خطراً على المدينة التي حررت بعد جهاد طويل عنيف.

وهكذا أثر جو الحروب الصليبية على اقامة احتفالات شعبية مختلفة في أنحاء فلسطين وفي طليعتها موسم النبي موسى، وكان ذلك من جهتين. من جهة وضعت الحروب الصليبية حداً لجو الوئام الذي كان يسود العلاقات المسيحية الاسلامية في القرون الأولى بعد الفتح الاسلامي، وبعد أن كان يشارك المسلمون المسيحيين أعيادهم أخذوا يصدون عنها. ومن جهة أخرى ظل المسلمون حتى بعد استرداد القدس ١١٨٧ يشعرون بالخطر الصليبي على مدينتهم، ويرون نذر هذا الخطر في تجمعات عيد الفصح، فأنشأوا بعد تحرير المدينة سلسلة من المواسم تؤكد الوجود الاسلامي الراسخ في أرض فلسطين. وهذه الأعياد الجديدة أخذت كثيراً من مراسم الأعياد المسيحية، ومن مراسم الفصح بالذات قبل غيره، وخاصة ما يتعلق بتسيير المواكب الحاشدة، ورفع السناجق[٢٥] واطلاق الهتافات وانشاد الأناشيد، ومشاركة كبار رجال الدين وممثلي الحكومة وعلى رأسهم حاكم المدينة أو أميرها.

وإذا كان المسيحيون اتجهوا بأعيادهم إلى القبر المقدس أساساً وإلى قبر السيد المسيح ـ وإذ كان المسلمون في حالة عداء مع المسيحيين فكان على المسلمين أن يبحثوا عن نبي آخر يكون محور الاحتفال بالعيد. وإذ كانت الأقوال بدأت تتردد عن وجود قبر النبي موسى منذ القرن السادس/ الثاني عشر قرب القدس فما كان أنسب زيارة قبر النبي موسى كليم الله، الذي دفن كما كانوا يعتقدون في أرض فلسطين. وكذلك فعل المسلمون الفلسطينيون في شأن مواسم أنبياء أو صلحاء آخرين.. مثل النبي صالح والنبي روبين وسيدنا الحسين وسيدنا على بن عليم إلى آخره.. فاقيمت الاحتفالات والمواسم الخاصة بهم.

ومن هذه المنطلقات ترجع في رأينا بداية احتفالات موسم النبي موسى والمواسم الأخرى في القدس وفلسطين.

واذا كانت الاحتفالات والمواسم الجديدة قد تأثرت إلى حد كبير بمظاهر الاحتفالات القديمة فقد أضيفت إليها عناصر جديدة من المعتقدات الاسلامية، واستبعدت منها

---

(٢٥) من جملة مراسم الاحتفال بسبت النور توزيع السناجق أو الأعلام على أشخاص ينتمون إلى العائلات الارثوذكسية المقدسية، وعددها ثلاثة عشر علماً. وكان هؤلاء يدورون بالاعلام حول القبر المقدّس، ويسلمونها بعد ذلك الى المسؤول وتحفظ في القيامة ضمن خزائن مقفلة حتى يأتي سبت النور في العام القادم. وسنرى أن شيئاً مشابهاً كان يحدث لسناجق موسم النبي موسى عند المسلمين.

ممارسـات ورسوم لتعارضها مع المعتقدات الاسلامية، كالاستعاضة في الاحتفالات عن الخمور والمآكل باشربة غير كحولية، وعن الصليب برسم الهلال الخ.

ولنبحث الآن عن كثب في الوقت الذي نشأ فيه موسم النبي موسى، ونتساءل هل كان هنالك حاكم أو سلطان بعينه وراء هذا الموسم؟

تذهب معظم الكتابات الحديثة التي بين أيدينا إلى أن موسم النبي موسى والمواسم الفلسطينية الأخرى المقترنة به نشأت زمن صلاح الدين الأيوبي، ومنها ما يذهب إلى أن صلاح الدين قد (رتبها) أو «أمر بتنظيمها» لمواجهة التجمعات الصليبية التي كانت تقام في عيد الفصح.. ذهب إلى هذا الرأي مثلا عارف العارف في «المفصل»[٢٦]، وعمر الصالح البرغوثي في «تاريخ فلسطين»[٢٧] وهو فضلا عن ذلك رأى شائع ومتوارث.

ومن المصادر الحديثة ما يقول إن صاحب الفضل في اقامة موسم النبي موسى إنما هو الظاهر بيبرس «الذي سن هذه السنة السياسية لتكافؤ القوى بين زوار المسلمين وحجاج النصارى في بيت المقدس وضواحيه»[٢٨]. وقد ردد هذا القول أو ذاك كثير من الكتاب فيما بعد..

ولدى النظر في نسبة إنشاء الموسم إلى بيبرس لا نجد في المصادر القديمة أي شاهد على ذلك، بل إن وقفية بيبرس التي أثبتناها من قبل تقول: «أما البقاع المباركة الموقوفة فقد وقفها وعيّنها ليصرف ريعها في إطعام الطعام لزوار مقام النبي موسى الكليم.. إبان موسم الزيارة من كل عام»، ونميل إلى أن نفهم من هذا أن الزيارة كانت تجرى بانتظام عند بناء المقام (وتاريخ بنائه هو تاريخ كتاب الوقف نفسه سنة ٦٦٨)، وأنه كان هنالك موسم للزيارة في كل عام. يضاف إلى ذلك أن بيبرس لم يكن في حاجة إلى إقامة موسم إسلامي لمواجهة التجمعات المسيحية في عيد الفصح. فعندما بنى بيبرس المقام سنة ٦٦٨/ ١٢٦٩ كان الأمر قد استتبّ للمسلمين وكان الصليبيون قد دحروا، فلم يكن هنالك خطر ملموس من جانب التجمعات الصليبية يستدعي إقامة موسم أو مواسم إسلامية لمواجهته. ونخلص من هذا

---

(٢٦) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ١٧٦/ ١٧٧.

(٢٧) عمر الصالح البرغوثي، تاريخ فلسطين، ص ٣٤ و ١٩٩ ـ ٢٠١.

(٢٨) عبدالله مخلص، مئذنة بجامع الأبيض في الرملة، مجلة الكلية ٢ آذار ١٩٣١ ص ٢١٢. غير أن عبدالله مخلص يرجح في موضع آخر أن الموسم من وضع السلطان صلاح الدين بن أيوب، مجلة هنا القدس، العدد السادس، تاريخ ٢٩ آذار ١٩٤٢، ص ٦.

إلى أن الموسم كان قد ظهر إلى الوجود بالفعل قبل بيبرس. . متى كان ذلك؟

ذكرنا من قبل أن القول بوجود قبر للنبي موسى في جهات أريحا كان يتردد في القرن السادس الهجري وأن الهروي الذي زار القدس ٥٦٩/١١٧٣م كان أول من أشار إليه في كتـاب «الإشارات إلى معرفة الزيارات». وقلنا إن كتب القرن الخامس للهجرة وما قبله ليست فيها إشارة إلى وجود القبر هناك وخلصنا إلى القول بأن هذه الرواية هي من مبتكرات القرن السادس الهجري. . وإذا كان الأمر كذلك فان الزيارات إلى القبر نفسه لا يمكن أن تكون سابقة للاعتقاد بوجوده. . وبمعنى آخر إنها بدأت في القرن السادس. . أي زمن الاحتلال الصليبي على أبعد تقدير. وفي تقديرنا أنه كانت هناك زيارات للقبر زمن الاحتلال الصليبي، ولكنها كانت في الغالب زيارات متفرقة، من آحاد الناس، ولم يكن هنالك موسم شعبي بمعنى الكلمة، ولا كان هنالك وقت محدد. وبين نهاية الاحتلال الصليبي للقدس ومنـطقتهـا ٥٨٣هـ/١١٨٧، وانشـاء بيبرس للمقام ٦٦٨هـ/١٢٦٩، زهاء ثمانين عاماً أصبحت الزيارة، على حد تعبير الوقفية، لها موسم معين تجرى فيه كل عام. . وبناء على ذلك يكون من المعقول أن نستنتج أن الزيارات المتفرقة والعفوية تحولت بعد نهاية الاحتلال الصليبي، وفي زمن الأيوبيين إلى زيارات جماعية، وإلى موسم له موعـد سنوي متعارف عليه. ومن المعروف أن الأيوبيين كان من سياستهم وهم يدافعون عن البلاد، إحياء مراسم الاسـلام وشعـائره فيها، وتثبيت المعتقدات الخاصة بالأنبياء والأولياء, وهم لهذا السبب شجعوا على الأقل القيام بزيارات منتظمة لقبر النبي موسى (والقبور المأثورة للانبياء والأولياء الآخرين) بعد استرجاعهم للقدس. وعلى أية حال فانه من المهم أن نؤكد أننا لم نجد في الكتب القديمة التي وضعت في العصر الأيوبي، ومنها كتب العماد الأصفهاني وابن واصل والبهاء بن شداد وأبي شامة المقدسي أية إشارة إلى الموسم ولا إلى علاقة صلاح الدين الأيوبي أو ورثته بالموسم. كما أنه ليس في الكتب التي وضعت زمن الأيوبيين ولا في الكتب التي وضعت زمن المماليك أو العثمانيين أيضاً، حسب علمنا، ما يشير إلى أن الاحتفال بالنبي موسى كان ذا صبغـة سياسية. . ومـع الأسف فلا توفر لنا المادة التاريخية صورة واضحة مفصلة للاحتفال نستطيع أن نتبين فيها أهدافاً سياسية بل بالعكس فان القليل الذي وصل الينا في الكتب يدل على أن طابع الاحتفال كان طابعاً دينياً وترويحياً ولا علاقة له بالسياسة:

إن أول اشارة لموسم النبي موسى وقعنا عليها في الكتب وردت في «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى» لشمس الدين السيوطي المتوفى بعد سنة/ ٨٨٠هـ/١٤٧٥م. وفيهـا يقـول: «وقـبره مقصود بالزيارة في القبة التي تقدم ذكرها والناس يتحملون مشقة

الذهاب إليه ويبيتون عنده، ومشقة الأياب ويبذلون الأموال في عمل المآكل والمشارب واجرة الدواب يفعل ذلك الرجال والنساء من أهل بيت المقدس وغيرهم من الواردين عليه بقصد الزيارة لا يخلون بذلك حتى الآن». (٢٩).

وقد دون السيوطي كتابه هذا سنة ٨٧٥/ ١٤٧٠م. والاشارة الثانية وجدناها في مخطوط «الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم» لأبي البقاء نجم الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة المتوفى بعد سنة ٩٠١/١٤٩٦. ويقول فيها:

«فالقبة المذكورة اشتهر أمرها وصار ذلك الموضع علماً يقصده الزوار والناس من العلما والصلحا»(٣٠)

أما الاشارة الثالثة بحسب الترتيب الزمني فنجدها عند مجير الدين الحنبلي الذي يحدد لنا لأول مرة موعد الزيارة ومدتها في كتابه «الأنس الجليل» الذي كتبه سنة ٩٠٠/٩٠١ إذ يقول: «وهذا المكان بالقرب من أريحا الغور من أعمال بيت المقدس، وأهل بيت المقدس يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء ويقيمون عنده سبعة أيام»(٣١) (يزورون ويتبركون وينحرون ويأكلون). (٣٢).

ويلاحظ أن هؤلاء الكتاب الثلاثة لم يشيروا الى هدف للزيارة سوى الزيارة والتبرك والأكل والشرب.

بل إن الراهب الألماني فيلكس فابري المعاصر لمجير الدين والذي زار القدس في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي لم يشر عندما تحدث عن زيارة المسلمين لمقام النبي موسى إلى أي هدف سياسي لهذه الزيارة بل انه حدد لها هدفاً دينياً خالصاً اذ قال:

«إن الشرقيين يكوّمون (هذه) الأحجار (أي قرب المقام) تكريماً لموسى لأنه يمكن للمرء أن يشاهد من هذا المكان جبال اباريم وراس الفسجة... لهذا السبب يكوم الشرقوين الأحجار في هذا المكان ويصلون وينظرون إلى الجبل وهم راكعون. (٣٣)» أي أن

---

(٢٩) شمس الدين محمد السيوطي، اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، نمرة ٣، ورقة ١٤٨، ١٤٩.

(٣٠) محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن جماعة، أبو البقاء، نجم الدين، الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم، المخطوط، ورقة ١١٠.

(٣١) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج١، ص ١٠٢.

(٣٢) الزيادة بين قوسين من النسخة التي نقل عنها الأب مرمرجي الدومينيكي (بلدانية فلسطين العربية، بيروت ١٩٤٨).

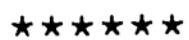
(٣٣) Felix Fabri, The Wanderings of Felix Fabri, PPTS, vols. 9 and 10, p. 181.

فابري لم يتحدث سوى عن الهدف الديني للزيارة أيضاً.

إن المقتطفات التي أوردناها هي أهم ما وقعت أيدينا عليه عن تطورات الموسم في عهد المماليك والمعلومات الواردة فيها نزرة وليس فيها كبير غناء، ولم نجد في كتابات القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أية إشارة اليه. ومع ذلك فيبدو أن زيارة النبي موسى اكتسبت أهمية متزايدة بعد بناء المقام في القرن السابع/ الثالث عشر ووصلت شعبية المقام ذروتها ـ في عصر المماليك ـ في القرن التاسع واوائل القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر ـ السادس عشر الميلادي. ويقول مصدر أجنبي ـ إن كثيراً من الحجاج المتجهين إلى مكة والعائدين منها في أواخر العهد المملوكي كانوا يزورون القدس والخليل والنبي موسى وغيرها من المقدسات الاسلامية في فلسطين(٣٤).

ومعنى ذلك أن أهمية مقام النبي موسى بدأت تكتسب طابعاً اسلامياً عاماً يتعدى حدود فلسطين منذ ذلك الوقت، ولا شك أن كثيراً من الحجاج المشار اليهم كانوا يشاركون في الموسم نفسه، حين كان يصادف ذهابهم إلى مكة أو ايابهسم منها موعد انعقاده.

ولا شك أن الموسم تطور وازدادت شعبيته وأهميته زمن العثمانيين.



(٣٤) Francesco Suriano, Treatise on the Holy Land, p. 150

الفصـــــل الخامس

المقام والموسم في العصر العثماني

عنـدما فتح العثمانيون القدس سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦ نالت المدينة اهتماماً كبيراً من الدولة. فالفتح العثماني لبلاد الشام والحجاز جعل الأماكن الاسلامية المقدسة الرئيسية في مكـة والمـدينـة والقدس والخليل تحت ولاية الدولة العثمانية. كما أن طرق الحج إلى هذه الأماكن أصبحت في عهدتها، وازدهى العثمانيون بانتصارهم في مرج دابق ١٥١٦/٩٢٢ لهذا السبب بين أسباب أخرى. لقد أصبحوا المدافعين الرئيسيين عن الاسلام، ولهذا فانهم أولوا الأماكن الاسلامية المقدسة العناية والرعاية وسعوا في تعميرها وحماية الطرق المؤدية لها. واستمـروا في ذلك حتى بعد أن أخذت قوة الدولة في الانحسار في أواخر القرن الحادي عشر/ السابع عشر. فأعمال التعمير في حرم القدس ورعاية الأماكن المقدسة لم تنقطع حتى في القرن الثاني عشر/ الثامن عشر عندما كانت الدولة في أوج معاناتها، ونال الحرم القدسي الحظ الأوفـر من الاهتـمام، لكن المقـدسـات الأخـرى ومنهـا المسـاجد وأضرحة الأنبياء ومقاماتهم، وخاصة في القدس والخليل والنبي موسى، وهي أماكن الزيارة الرئيسية الثلاثة، نالت أيضاً عناية كبرى.

وتـزودنـا الـدفـاتـر العثمانية المعروفة باسم مهمة دفتر لري بأدلة كثيرة على العناية بالأضرحة والمقامات وغيرها من المقدسات من مثل العناية باختيار سدنتها وتعمير مبانيها وتجديد الستائر على ضرائح الأنبياء ورعاية أوقافها وصرف ريعها على التعمير قبل أي شيء آخر.

ومن أمثلة العناية بمقام النبي موسى ما جاء في الكوغشلار[1] رقم ٨٨٨، الورقة ١٦٢ب، والمؤرخ في ١٧ ربيع ثان سنة ٩٥٩ (١٢ نيسان ١٥٥٢).

[. . . ان ستر الضريح المقـدس للنبي موسى عليه السلام وضع هناك في الآونة الأخيرة، ولما كان مصنوعاً من (الكمخا)[2] الأسود فقد اهترأ وأصبح في حاجة الى تجديد كما أن المسجد نفسه في حاجة الى تعمير. . .

---

(١) دفتر من دفاتر «مهمة دفتر لرى كان موقوفاً وقفاً خاصاً.

(٢) نوع من القماش الحريري المقصّب.

إن تعمير هذه المباني أمر ضروري وملح . . انني آمر بعمل التقديرات المالية اللازمة وتقديم تقرير شأنها].

وفي الدفتر ١٩، رقم ١٢١، تاريخ ١٩ محرم سنة ٩٨٠ (حزيران ١٥٧٢) فرمان موجه إلى سليمان حاكم القدس وقاضيها والى عبد الكريم متولي الأوقاف السلطانية جاء فيه:

[لقد قيل لنا إن الأضرحة المقدسة لسيدنا موسى ويونس ولوط عليهم السلام تركت دون كساوى وأن قناديلها لا وجود لها وأنها أصبحت على شفا الخراب والانهيار، على الرغم من أن رَيْع أوقاف هذه الأضرحة المكرمة ـ قرى وأراض زراعية في منطقة اختصاص قاضى القدس يبلغ ايرادها ١٢١٩٠ اقجة ـ يُجبى.

واذا كانت هذه الأضرحة المقدسة للأنبياء العظام عليهم السلام وكذلك أوقافها ضمن نطاق اختصاصكم . . . فان هذه الأضرحة لم تلق ما تستحقه من العناية والاهتمام.

ولهذا فانتم تستحقون بلا ريب كل لوم وتثريب. فما الذي يدعوكم لدفع الأموال من ايرادات الوقف الى المرتزقة وخدام الوقف بينما الأضرحة المقدسة على شفا الانهيار وقبل تعميرها تعميراً تاماً؟

اني آمر بترميم أضرحة الانبياء . . . وبتعليق القناديل فيها . . والى أن يتم ذلك لا يجوز أن تدفعوا فلساً واحداً من ايرادات الوقف الى أرباب الوظائف . . .]

وكان الستر (أو الكسوة) الذي يغطي الضريح الشريف يلاقي عناية خاصة منذ عصر المماليك، وقد وصفه مجير الدين بقوله: «ويوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير أسود وعلى الستر طراز أحمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب» .[٣]

ويبدو أن لون الستر كان أخضر في العصر العثماني أو في القرون الأخيرة منه على الأقل. فقد ذكر السائح الألماني اولرش زيتسن Ulrich Zeetzen أن القبر كان مكسواً بقماش أخضر[٤]. وبعد هذا التاريخ بمائة عام تقريباً ذكر هانز شبور أن الستر الذي شاهده سنة ١٩٠٩ كان من الحرير الأخضر.[٥]

---

(٣) مجير الدين، الانس الجليل، ج١، ص ١٠٢.

(٤) Klaus Polkehn, Palaština Reisen, p. 95.

(٥) H. Spoer, Das Nebi Musa Fest, ZDPV, 32 (1909), p. 220.

ومن قبيل التبرك بالضريح والاجلال لصاحبه كان زوار النبي موسى يضعون الخرق على الضريح وكانوا يكرمون الأحجار (الشواهد) في الطريق المؤدى اليه (لتشهد يوم الحساب بزيارتهم له)، وهي عادة قديمة في تقديس المقامات عمرها آلاف السنين.

غير أنه يظهر من الوثائق التي لدينا أن السلطات العثمانية كانت تلاقي صعوبات جمة في المحافظة على أمن الطرق المؤدية الى أماكن الحج والزيارة، وكذلك في حماية المسافرين من اعتداءات البدو وقطاع الطرق. ويفيدنا الدفتر ٨٠ من الدفاتر المهمة رقم ٧٤١ المؤرخ في ٥ ذي القعدة سنة ١٠٢٣، (٢٧ كانون أول سنة ١٦١٤) والموجه الى الوزير أحمد باشا والي دمشق أن البدو كانوا يهددون الأمن في منطقة القدس والخليل ولذلك فان أرباب الزعامة والتيمار في سنجق القدس كانوا يُعفون من الاشتراك في حملات عسكرية خارج السُجق مقابل توليهم حراسة حجاج مكة وهم في طريقهم لزيارة القدس والخليل والنبي موسى. ويدلنا فرمان آخر (الدفتر ٦٣، رقم ٢٠، تاريخ ١٦ رجب ٢٢/٩٩٥ حزيران ١٥٨٧، موجه إلى سنان باشا والى دمشق) على أن الحكومة كانت ترسل حملات قوية لمحاربة البدو الذين يتعرضون للمسافرين على الطرق، مثل الحملة التي قادها خدا وردى حاكم القدس سنة ١٥٨٧/٩٩٥ ضد جماعات البدو الذين انضم اليهم ٣٠٠٠ من قطاع الطرق وعسكروا قرب مقام النبي موسى فهاجمهم خداوردي وهزمهم.

وكتب الرحالة مليئة بالاشارات إلى اختلال الأمن على الطرق في القرون الأربعة للحكم العثماني. يقول الرحالة التركي اوليا جلبي (١٠٢١ - ١٦١٢/١٠٩٠ - ١٦٧٩) الذي زار فلسطين سنة ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م، ما يلي: إن أرباب الاقطاعات يرافقون الحجاج المسلمين إلى الخليل والى مهد المسيح وإلى النبي موسى، لأن الطريق غير آمنة من العربان الثائرين.[٦] أما الرحالة المغربي أبو سالم العياشي الذي زار فلسطين سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٢ - ١٦٦٣م فلم يتمكن من زيارة النبي موسى بسبب انعدام الأمن على الطريق[٧].

وتفيدنا كتب التاريخ في هذه الفترة أن الكثيرين من زوار النبي موسى لاقوا حتفهم بأيدي قطاع الطرق وأشقياء العربان.. ومن هؤلاء على سبيل المثال الشيخ يحيى خادم مقام النبي داود والمتصل نسبه بالقطب الكبير الشيخ أحمد الدجاني. فقد «مات قتيلا شهيداً (سنة

(٦) E. Tschelebi Travels in Palestine, Quarterly of the Dept of Artiquities in Palestine, Vol V111, p. 150.

(٧) رحلة العياشي، عبدالله بن محمد المتوفى ١٠٩٠هـ، ج٢، ٣١٨.

١١٤٨هـ/ ١٧٣٥)، وذلك أنه كان في زيارة سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه الصلاة والتسليم، وفي رجوعه من الزيارة خرج عليه قطاع الطرق من أشقياء العربان، فضربه أحدهم فمات في أثناء الطريق وحملوه إلى القدس ودفنوه في تربة مأمن الله عند مقام جدّه الدجاني»[8]. وكان القتلى عادة من زوار النبي موسى في غير أيام الموسم.

ورغم ذلك فقد زار النبي موسى العديد من الرحالة في أوقات مختلفة ووافونا بانطباعاتهم. ومن بين هؤلاء على سبيل المثال أحمد بن محمد المقرى التلمساني الذي زار المقام سنة ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م[9] وعبد الغني النابلسي الذي زار مقام النبي موسى سنة ١١٠١هـ/١٦٨٩، وتحدث عن الزيارة بالتفصيل في كتاب «الحضرة الانسية» وكرر الحديث عن معجزات النبي على النحو الذي وصفناه من قبل وأكد صحة القبر بناء على ذلك وشارك في حلقات الذكر وقراءة كتب الأدعية والأوراد في المقام. ومنهم مصطفى البكرى الصديقي الذي زار فلسطين سنة ١١٢٢/ ١٧١٠ وسكن مدة في القدس. وقد زار المقام وأقام فيه ستة أيام وأدى الشعائر الدينية ووصف طرفاً من كراماته وأفاض في الثناء على شيخه الشيخ النابلسي،[10] ومصطفى أسعد اللقيمي (١١٠٥ - ١١٧٨/١٦٩٣ - ١٧٤٦) الذي زار فلسطين سنة ١١٤٣ - ١١٤٤/ ١٧٣٠م، وأدى واجبات الزيارة لمقام النبي موسى. ومع أن اللقيمي أشار إلى الاختلاف في مكان قبر النبي موسى وسمى الأماكن العديدة التي زعم أنه دفن فيها على ما ذكره القسطلاني من قبل الاّ أنه أكد أن الخيالات والأشباح التي تظهر في القبر هي دليل على صحته واستشهد بما قاله شيخه النابلسي في هذا الشأن.[11].

وهؤلاء الشيوخ الثلاثة : النابلسي والبكري واللقيمي من أئمة التصوف. وقد كانوا من المؤمنين بصحة القبر، ولو عن طريق الكشف والنور الذي يقذف في القلب.

غير أن الرحالة المغربي أبا سالم العياشي الذي سبق ذكره والذي زار القدس في القرن الحادي عشر/ السابع عشر لم يكن فيما يبدو، يشاطر هؤلاء الشيوخ حرارة إيمانهم فيما قيل

---

(٨) حسن بن عبد اللطيف الحسيني، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، ص ٢٤٢.
(٩) أحمد بن محمد المقرى التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، الجزء الأول ص ٥٨.
(١٠) مصطفى البكري الصديقي، الخمرة المحسية في الرحلة القدسية، المخطوط الذي ذكرناه سابقاً، ص ٣٢ - ٤٣.
(١١) اللقيمي، موانح الانس في رحلتي لوادي القدس، مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق، ورقة ٥٦، و٥٧.

له عن حقيقة القبر. أما السبب الذي جعل العياشي يتطلع الى الزيارة فهو «مشاهدة ما يقال هناك من العجائب». ولخص العياشي الموضوع كله بقوله: «لم يرد اثر صحيح في أن ذلك قبره ولم يشتهر ذلك المكان في العهد القديم ولا في صدر الاسلام، وانما بناه وأظهره المتأخرون من الملوك. وأكثر ذلك كان في المائة السادسة أو السابعة باشارة أمير الكشف»[١٢] (أي حاكم المنطقة). ويذكر العياشي أن قاضي القدس التونسي الأصل الشيخ محمد النفاتي قال له: إنّ المحل ليس موثوقاً به أنه قبر الكليم ولا هو قريب من الوثوق.[١٣]

ومما لا شك فيه أن موقف الامامين النابلسي والصديقي بشكل خاص، وكذلك غيرهما من رجال الدين والتصوف قد عزز إيمان جماهير الناس بكرامات النبي موسى وبمقامه المجاور لأريحا... لكن لا شك أن هذين الامامين قد تأثرا بدورهما بمظاهر الايمان الشعبي العارم بالمقام، التي تجلت في دخول موسم النبي موسى مرحلة جديدة من التنظيم وفي مشاركة السلطات العثمانية النشيطة به. ولنا أن نؤكد ذلك من واقع السجلات والوثائق العثمانية. فان الدفتر ٧ (رقم ٢٥٠٧) من الدفاتر المهمة العثمانية، المؤرخ في سنة ١٥٦٨/٩٧٦، والدفتر رقم ٣١ (رقم ١٠٣) المؤرخ في ١٥٧٧/٩٨٥ يبيّنان أن آلاف الأشخاص كانوا يشاركون في موسم النبي موسى السنوي وأن أرباب الاقطاعات العسكرية من زعماء وتيمارية كانوا يرافقون الزوار - من أجل حمايتهم أيضاً - ويمكثون معهم ثمانية أيام كل عام.

وتشير وثيقة من أوائل القرن الثاني عشر/ الثامن عشر إلى أن شهرة الموسم كانت قد تعدت فلسطين والبلاد المجاورة، فأصبح الزوار يفدون لزيارة المقام «من سائر بلاد الاسلام» كما جاء في إحدى الحجج الشرعية[١٤]، ويبدو أن الزوار المشتركين بالموسم كانوا من الكثرة بحيث كان متولو الأوقاف يضطرون أحياناً للاستدانة «لعمل السماط[١٥] الشريف المعتاد من قديم الزمان» كما تشهد به الحجة المشار إليها والتي نورد نصها فيما يلي:

---

(١٢) عبدالله بن محمد العياشي المتوفى ١٠٩٠هـ، رحلة الشيخ الامام أبي سالم عبدالله العياشي ج٢، الصفحة ٣١٨.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣١٩.

(١٤) سجل ٢٠٢ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس لسنة ١١١٥هـ/١٧٠٤م، ص ٦٦.

(١٥) السماط: ما يبسط ليوضع عليه الطعام، والمقصود الطعام.

[لدى أقضا قضاة الاسلام السيد محمود القاضي بالقدس الشريف

لما كان بأوائل شهر ذي القعدة الحرام لسنة أربعة عشر ومائة وألف صدر الإذن الشرعي من مولانا الحاكم الشرعي المومى اليه لكل واحد من مفخري المشايخ والمصدرين الفخام نور الله أفندي ويونس أفندي واسحق أفندي مشايخ الحرم القدسي وهم النظار والمتولون على أوقاف سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه صلوات الملك العليم، لعمل السماط الشريف المعتاد من قديم الزمان في كل سنة بحرم سيدنا موسى الكليم عليه السلام للواردين لزيارة هذا النبي الكريم من ساير بلاد الاسلام، وباستدانة مبلغ يصرفونه في ذلك حسب العادة، وبالرجوع بنظير ذلك على جهة الوقف بعد أن ذكروا المتولون أن ليس تحت ايديهم الآن مال لجهة الوقف يصرفونه في ذلك فاذن لهم بذلك كله إذناً شرعياً، حضر يوم تاريخه أدناه النظار والمتولون على الوقف الشريف المذكور وذكروا لمولانا الحاكم الشرعي المشار إليه أنهم استدانوا مبلغاً قدره خمسة آلاف قطعة مصرية ليصرفوها في ثمن أرز ودقيق ودبس وزيت وفلفل وحمص وبصل وملح واجرة فرن وحطاب ونجار وأخشاب وسلب(١٦) وأوان وفخار وحضروا ساير لوازم السماط حسب العادة المعتادة عن واجب سنة أربعة عشر وماية وألف بعد الاذن الشرعي للنظار والمتولون (كذا) على الوقف بصرف المبلغ المذكور أعلاه وصار المبلغ المذكور من غير تكرار من يد النظار المومي إليهم خمسة آلاف قطعة مصرية دينا للمتولون والنظار على الوقف واذن مولانا وسيدها الحاكم الشرعي للمتولون والنظار بالرجوع بنظير ذلك على جهة الوقف، اذنا شرعياً وثبت مضمون ذلك كله لدى مولانا وسيدنا الحاكم الشرعي المومي إليه ثبوتاً شرعياً تحريراً في أواسط المحرم الحرام لسنة خمسة عشر وماية ألف. (١٧)].

ومما يؤيد اشتهار مقام النبي موسى وموسمه في أرجاء العالم الاسلامي رواية السائح الألماني اولريش ياسبر زيتسن Ulrich Jasper Zeetzen الذي زار هذه البلاد سنة ١٨٠٦ وقال: «بالرغم من الموقع المنعزل للنبي موسى قابلنا هناك درويشاً مسلماً جاء من حدود الهند، الأمر الذي يوضح مدى انتشار سمعة هذا المزار في أقصى البلدان، ويقيم هذا المستوطن هنا في العادة من خمس الى ست سنوات، ليحل محله بعدئذ دورويش آخر من

---

(١٦) ليف أو لحاء شجر تعمل منه الحبال.

(١٧) الحجة السابقة (سجل ٢٠٢، لسنة ١١١٥ هـ، ص ٦٦).

الهند. ويتمتع هذا الدرويش باحترام كبير عند البدو ويتلقى منهم كل أنواع المؤن التي تتوفر لديهم[١٨].

ويصف لنا زيتسن المقام كما شاهده في أوائل القرن التاسع عشر فيقول: «النبي موسى هو مجرد مسجد صغير له برج صغير (يقصد المئذنة) ويحيط به سور. وهو يضم بين جدرانه ساحة داخلية مرصوفة ببلاط الرخام. وقد سرّ العرب الذين رافقوني عندما شاهدوني اخلع حذائي قبل أن ادخل مع أن البلاط كان مبتلا تماماً من جراء المطر. . . وكان القبر مكسواً بقماش أخضر. وقد علق على قضبان فتحة النافذة التي ينظر منها الناس إلى القبر عدد لا يحصى من الخرق التي توضع هناك على عادة الأتقياء من المسلمين. وقد قبّلناها وأدى صحبي صلاة قصيرة»[١٩].

في أواسط القرن التاسع عشر، وفي النصف الثاني منه خاصة، ازداد التغلغل الأوروبي في فلسطين وفي القدس بوجه خاص، واتخذ أبعاداً اقتصادية وثقافية وسياسية وأدخلت فلسطين في السوق الرأسمالية العالمية وأخذت تؤسس فيها الأديرة والارساليات، وكذلك المستعمرات التي بدأها الهيكليون الألمان الذين كانوا يهدفون إلى اقامة مملكة صليبية متجددة. وقدمت بريطانيا العون والمساعدة لليهود ووضعتهم تحت حمايتها ودعت إلى اعادتهم الى «أرض الميعاد» وتدفق اليهود الروس الى القدس وصفد، ونظمت قوافل ضخمة من الحجاج الروس والفرنسيين والنمساويين. واخذ قناصل الدول الأوروبية يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة في شؤون البلاد. وفي ظل هذه الظروف المنذرة بالخطر على مستقبل البلاد كان من الطبيعي أن يكتسب التجمع الشعبي الكبير الذي تمثل في موسم النبي موسى طابعاً سياسياً، فضلا عن طابعه التراثي والديني، طابعاً يؤكد الهوية الوطنية في وجه التهديد. ولم يكن هذا الشعور الشعبي التلقائي في الدفاع عن النفس في حاجة إلى «أمر» من رؤوف باشا متصرف القدس (١٨٧٦ - ١٨٨٨) أو الحكومة العثمانية للتعبير عنه في سياق الموسم، كما تزعم المصادر اليهودية المعاصرة[٢٠] بل بالعكس فان السلطات العثمانية كانت تجهد للحفاظ على النظام والأمن في اثناء الموسم، وفي وقت كانت القدس تغصّ فيه بجماهير متحمسة من

---

(١٨) Klaus Polkehn, Palästina Reisen im 18 and 19 Jahrhundert, p. 95

(١٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢٠) انظر Y. Ben Arieh, Jerusalem in the Nineteenth Century, the Old City, pp 119, 134. Palestine in the Late Ottoman Period, ed. by D. Kushner, p. 283.

المسلمين والمسيخيين، بحيث نجحت في منع الاضطرابات، والأحداث المخلة بالأمن، كما شهد بذلك الضابط والمهندس البريطاني كوندر،[٢١] بل كما شهدت بذلك أيضاً صحيفة هافاتزلت Havazelet اليهودية التي أعربت عن سرورها لجو السلام الذي كان يخيم على الموسم وعدم وقوع أية حوادث فيه: «بفضل الله وحكومتنا الموقرة التي اشرفت على الاحتفالات وحافظت على النظام والهدوء بين أهل المدينة وضيوفها»[٢٢].

وقالت مسز فرانس نيوتن (F. Newton)، المبشرة الانجليزية، التي جاءت اليّ فلسطين سنة ١٨٨٩ وأقامت فيها زهاء نصف قرن: «موكب النبي موسى العربي هذا، عاماً بعد عام، كان يسير بنظام وينتهي بسلام»[٢٣].

وفي اوائل هذا القرن العشرين أيضاً قال هانز شبور إنه «بفضل نظام العسكريين الأتراك والكياسة التي تبديها السلطات المحلية في مثل هذه المناسبات لم يسبق أن حدثت أية أحداث سيئة على الإطلاق. وهذا أمر يدعو إلى الإعجاب، خاصة وأن معظم الحجاج كانوا مسلمين»[٢٤].

ويصف لنا مراسل صحفي الماني موكب النبي موسى سنة ١٨٧٥ فيقول:

«قوافل عديدة جاءت من دمشق (إلى القدس) وسارت وهي تحمل الأعلام الكبيرة والطبول الكثيرة، في شوارع القدس الضيقة المزدحمة بالحجاج المسيحيين. وقد سمح الباشا هنا للحجاج (المسلمين) هذه المرة بأن يأتوا بسلاحهم. ولذلك فان المرء كان يشاهد المئات منهم يمرّون شاكي السلاح. من الخليل وضواحيها كان هناك حوالي ٢٠٠٠ شخص، وكذلك من نابلس. وقد شارك في المواكب، حسب تقدير المسلمين، عدد من الحجاج يقارب العشرة آلاف شخص، لأن جميع المدن والقرى تقريباً كانت ممثلة فيه، وعلى الأخص الفلاحون من الضواحي، الذين ظهروا باعداد كبيرة جداً... إن نشوة الاحتفال أو أكاد

---

(٢١) Conder, Tent Work I, pp. 334-335

(٢٢) Ben Arieh, op. cit., p. 134.

(٢٣) فرانسيس اميلي نيوتن، خمسون عاماً في فلسطين، ترجمة وديع البستاني، الطبعة الثانية، عمان ١٩٦٧، ص ١٢٥.

(٢٤) H. Spoer, Das Nebi Musa – Fest, Z D P V, Vol. 32 (1909), p. 215.
ومن الغريب أن يزعم الاستاذ بن اريه بعد ذلك (Ben Arieh, op. cit, p. 135) أن موسم الزيارة في القرن التاسع عشر كان يؤدي أحياناً إلى مجابهات دموية بين المسلمين والمسيحيين.

أقول، الصخب الهائج الذي احتفل فيه الناس بموسم النبي موسى يعسر على القلم وصفه. . . وقامت الجموع بحجج مشترك إلى جبل النبي موسى تعظيماً للموسم واستغرقت المسيرة من هنا إلى هذا الجانب من نهر الأردن خمس ساعات. . . ولم يقتصر الموكب في مسيره إلى خارج باب الأسباط على العسكريين بكامل لباسهم الرسمي، بمرافقة الموسيقي بل انّ الموظفين أيضاً وعلى رأسهم الباشا خرجوا في زي موحد. وبدءاً من ساحة الهيكل (أي الحرم الشريف) حيث ارتفعت اعلام المدن المختلفة والقرى الكبيرة، كانت الجموع الهائلة تغطّي أيضاً جزءاً كبير من جبل الزيتون (الطور) وكذلك الطريق المؤدي إلى أريحا بكامله»(٢٥).

ويقول القس جورج بوست في وصف آخر للموكب في الثمانينات من القرن الماضي :

إن فريقاً من الفرسان كان يصحب الموكب في ذهابه الى النبي موسى ولدى عودته منه، وان القدس كانت تستقبل علم النبي موسى لدى عودته في نهاية الاسبوع بهتافات الجماهير المحتشدة على طول التلال المطلة على وادي سلوان، وفوق أسوار المدينة وأبراجها. وكانت المدفعية المنصوبة عند باب الاسباط تطلق الطلقات تحية للموكب(٢٦).

وتفيدنا المصادر الغربية أيضاً أن (الحجاج) المسلمين كانوا يأتون إلى القدس والى النبي موسى في القرن التاسع عشر من جميع أنحاء العالم الاسلامي: من الهند وحدود الصين، وجميع أنحاء آسيا الوسطى وبلاد النوبة والمغرب، وساحل افريقيا الشرقي والحجاز وجميع مناطق تركيا. . وكثيرون من هؤلاء كانوا يمرون بالقدس أثناء توجههم لأداء فريضة الحج في مكة أو لدى عودتهم منها.

كان يرأس احتفالات النبي موسى في أوائل القرن التاسع عشر نقيب الأشراف عمر بن عبد السلام الحسيني(٢٧) ويبدو أن الاشراف على الموسم انتقل بعد ثورة عمر بن عبد السلام الحسيني وابن عمه طاهر (المفتي) على المصريين سنة ١٨٣٤، إلى المفتين المتعاقبين من آل الحسيني بالترتيب التالي: مصطفى بن طاهر الحسيني سنة ١٨٦٥/١٢٨٢ ثم ابنه طاهر بن مصطفى المتوفي سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ الذي بقي في الافتاء أكثر من أربعين عاماً

---

(٢٥) Klaus Polkehn op. cit., p. 95

(٢٦) Palestine Exploration Fund Quarterly Statement, October, 1888, Rev., Dr. Post. "Narrative of a Scientific Expedition in the Transiondanic Region in the Spring of 1886." p. 178.

(٢٧) علي مبارك، الخطط التوقيقية الجديدة، ص ٣٩.

وخلفه فيه عند وفاته ابنه كامل الذي تولى الافتاء حتى وفاته سنة ١٩٢١، ومن بعده أصبح الحاج أمين الحسيني مفتيا القدس، وفي عهد الحاج أمين وتحت اشرافه بلغت احتفالات الموسم أوجها، واكتسبت طابعاً وطنياً سياسياً قوياً موجهاً ضد الاستعمار والصهيونية.

ويرى المؤرخ الألماني الكزندر شولش بحق أن موسم النبي موسى كان عنصراً فائق الأهمية في تكوين الشعور بالانتماء لكيان فلسطيني خاص وبالتالي في تطوير الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني منذ القرن التاسع عشر.[٢٨].

وبعد أن استفحل التغلغل الأوروبي والاستفزاز الصهيوني في مطلع القرن العشرين بدأنا نسمع لأول مرة باحداث تعكر صفو مواكب النبي موسى السلمية. ففي سنة ١٩١٠ قامت بعثة أثرية بريطانية سراً بحفريات في حرم المسجد الأقصى وتحت قبة الصخرة المشرفة، بعد سابق اتفاق مع شيخ الحرم. وشاع في الوقت نفسه أن الوزارة العثمانية أجازت ذلك تحت الضغط. ووصل الخبر إلى مسامع المشاركين في موكب النبي موسى فانقلب فور عودته إلى القدس إلى تظاهرات وهتافات عدائية عارمة ضد أولياء الأمر صغاراً وكباراً.[٢٩].

غير أن ما حدث بعذ ذلك بعشر سنوات (سنة ١٩٢٠) وفي ظل الحكم البريطاني المباشر لفلسطين كان أفدح بكثير. ولندع فرنسيس نيوتن تروي ما حدث :

«سار هذا الموكب (أي موكب النبي موسى) كعادته المعهودة في طريقه المرسومة بأهازيجه وأناشيده وفي ثناياه الراقصون وفي الطليعة كوكبة من فرسان البوليس، وكالعادة وقف المتفرجون في الطرقات، وأطلوا من الشرفات والجو صفاء والاعلام ترفرف في الهواء. وكان بين الواقفين للمشاهدة يهودي وقعت منه بادرة اشمئزاز وازدراء. وقيل إنه بصق صوب علم من تلك الأعلام العربية المقدسة. وبالطبع انهال عليه المتواكبون فما رحموه. تلك كانت الشرارة في الهشيم. تدخل اليهود فاشتد الاشتباك. . . وعمّ الاضطراب فدعي الجند لمعاونة الشرطة واقفلت أبواب المدينة ومداخلها. وقيّد الخروج والدخول مدة أيام ثلاثة أو أربعة وأسفرت المعمعة عن ٧ قتلى و٢٠٠ جريح من اليهود و٥ قتلى و٢٥ جريحاً من العرب».[٣٠].

---

(٢٨) الكزندر شولش، تحولات جذرية في فلسطين، ترجمة كامل جميل العسلي، ص ٢٦، ٢٧.
(٢٩) يوسف الحكيم، سورية والعهد العثماني، ص ١٩٧.
(٣٠) فرانسيس اميلي نيوتن، خمسون عاماً في فلسطين ص ١٢٥/١٢٦.

والواقع أن ما حدث في موسم النبي موسى في ذلك العام إنما حدث في ظل التوتر العام الذي كان يسود البلاد إثر صدور وعد بلفور (١٩١٧) الذي دعا إلى إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، وفي ظل ظروف الادارة العسكرية البريطانية التي كانت لديها تعليمات بالتعاون مع المؤسسات اليهودية في سبيل تنفيذ المخططات الصهيونية.

وفي مثل تلك الظروف كان من الطبيعي أن تنعكس في احتفالات جماهيرية كاحتفالات النبي موسى مشاعر الجماهير الساخطة على المؤامرات البريطانية الصهيونية وبذلك غدت هذه الاحتفالات مرآة صادقة للتضامن الوطني وردّ فعل طبيعي على مخططات التهويد، وأصبحت الادارة البريطانية والمنظمات الصهيونية تنظر اليها بقلق بالغ.

ولنفصّل ما حدث سنة ١٩٢٠ بعض الشيء: إن الاضطرابات بدأت في اليوم الرابع من نيسان عندما وصل بيرق الخليل إلى القدس. وقد توقف الموكب [أكثر من مرة للاستماع إلى خطب ألقاها كل من عارف العارف وموسى كاظم الحسيني رئيس البلدية والحاج أمين الحسيني وغيرهم من الشخصيات الاسلامية البارزة. وجاء في تقرير لجنة بالين (التي شكلها المندوب السامي في ١٢ نيسان ١٩٢٠ للتحقيق في الأحداث) أن عادة ايقاف المواكب والمسيرات للاستماع إلى الخطيب قد استحدثت لأول مرة عام ١٩١٩. غير أن خطب عام ١٩٢٠ كانت ذات طابع سياسي مكشوف بلغت ذروتها في رفع صورة للأمير فيصل وتحيته بوصفه «ملكاً دستورياً لسوريا وفلسطين»... ويقول عزت دروزة إنّ الجمهور كان ينادي اثناء المسيرة بشعارات مناوئة للصهيونيين والبريطانيين. وسجل عيسى السفرى أن المسيحيين الفلسطينيين اشتركوا في الموكب داعين للوحدة العربية والاستقلال ومعلنين معارضتهم للهجرة اليهودية.][٣١]

وما من همنا أن نفصّل في الأحداث السياسية التي وقعت بأكثر مما قلنا في هذا المقام. ولكننا نوجز فنقول إن الصفاء الذي تمتع به موسم النبي موسى في الأيام الغابرة قد كدّره من الآن فصاعداً التآمر والاستفزاز البريطاني الصهيوني الذي فرض المعركة على عرب فلسطين ـمسلمين ومسيحيينـ ودفعهم إلى التضامن والجهاد ضد المعتدين.. وأصبحت مواسم النبي موسى في عهد الانتداب مظهراً من مظاهر هذا التضامن والجهاد.

★★★★

---

(٣١) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (الطبعة الثانية)، ص ١٤٧، ١٤٨.

الفصـــــل السادس

تفاصيل الاحتفالات بموسـم النبي موسى في القرن العشرين

كان موسم النبي موسى عيداً شعبياً عامـاً، اشـترك فيه سكـان المـدن والقرى في فلسطين، وخاصة من مناطق القدس ونابلس والخليل وقرى الجبال. وكان هناك برنامج زمني للاحتفالات نظن أنه وضع في جزء منه على الأقل في القرن الأخير، بعد أن اشتد التنافس بين أهالي منطقتي نابلس والخليل خاصة في الاشتراك في الاحتفالات، وأيهما يكون له مكان السبق والصدارة فيها فتم ترتيب مواعيد لقدوم الزوار. ولا نعرف تاريخاً دقيقاً لوضع برنامج الزيارة والمشاركة لمختلف الجهات. ولكننا نقول بصورة عامة إن اسبوع موسم النبي موسى كان يحدد وفق عيد الفصح عند المسيحيين الارثوذكس، وكان يأتي في الاسبوع الذي يسبق اسبوع عيد الفصح في كل عام. أما عيد الفصح فكان توقيته يتم، كما ذكرنا من قبل، بالنظر إلى الاعتدال الربيعي بحيث يصادف أول يوم أحد يأتي بعد البدر الأول الذي يلي الاعتدال الربيعي. وهكذا فان عيد الفصح كان يختلف موعده الدقيق من عام إلى آخر لأنه لم يكن يعتمد على التقويم الشمسي وحده، بل على التقويم القمرى (أشكال القمر) ضمن التقويم الشمسي، على موعد اكتمال القمر ليصبح بدراً لأول مرة بعد الاعتدال الربيعي[1]. وعلى ذلك فان عيد الفصح يمكن أن يأتي في أي يوم بين ٢٢ آذار و٢٥ نيسان على الحساب الشرقي[2].

ذكرنا هذا لنبين أن موعد موسم النبي موسى يختلف من سنة لأخرى تبعاً لموعد عيد الفصـح المتغـير، وبحيث يبدأ قبل اسبوع واحد من يوم الجمعة الحزينة التي تسبق عيد الفصح بيومين.

ولو أردنا أن نضع بعد ذلك جدولا زمنياً لاحتفالات موسم النبي موسى لقلنا إن

---

(١) معروف أن الفرق بين التقويم الغربي والتقويم الشرقي (عند الارثوذكس) يبلغ الآن ١٣ يوماً. والسنة الجديدة في التقويم الشرقي تبدأ يوم ١٤ كانون ثاني وفق الحساب الغربي. وعيد الفصح بالحساب الشرقي يأتي دائماً بعد عيد الفصح عند اليهود، فلا يتقدمه ولا يزامنه.

(٢) وهذان التاريخان ينطبقان أيضاً على موعد عيد الفصح على الحساب الغربي، ولكن الشهرين (نيسان وآذار) غير متطابقين.

الاحتفالات الفعلية تبدأ يوم الخميس (قبل الجمعة الحزينة بثمانية أيام) بقدوم موكب أهالي نابلس. وفي يوم الجمعة يبدأ الاحتفال الرسمي بزفة العلم من الحرم الشريف إلى النبي موسى. ويوم الأحد يصل موكب أهل الخليل وقراها، ويوم الاثنين تغادر أعلام القدس ونابلس والخليل إلى النبي موسى، وتمتد زيارة النبي موسى من يوم الجمعة إلى يوم الخميس التالي، أي سبعة أيام. وفي يوم الخميس يعود الموكب إلى القدس باحتفال كبير كذلك. وفي يوم الجمعة الذي يطلق عليه اسم «جمعة العليات» تعاد الاعلام إلى أماكنها: علم النبي موسى، وعلم المسجد الأقصى وعلم النبي داود، في احتفالات تقام لذلك خصيصاً. . وتبدأ الوفود بمغادرة القدس على الأثر، وسنجد وصفاً مفصلاً للاحتفالات في الصفحات التالية. وقد آثرنا أن نترجم أولا إلى العربية الوصف الجيد الشامل الذي كتبه الدكتور توفيق كنعان[٣] حول احتفالات موسم النبي موسى في كتابه الصادر بالانجليزية في لندن سنة ١٩٢٧ بعنوان (أولياء المسلمين ومقاماتهم في فلسطين)

T. Canaan, Mohammadan Saints and Sanctuaries in Palestine

والذي أعادت طباعته دار أريل Ariel للنشر في القدس في السنين الأخيرة. وهذا الوصف يرد في الصفحات ١٩٥ ـ ٢١٧ من الكتاب. وسوف نترجمه فيما يلي ونضيف اليه حواشي وتعليقات في الأماكن المناسبة :

---

(٣) الدكتور توفيق كنعان من كبار المثقفين الفلسطينيين في هذا القرن، وتتميز كتاباته بمستوى رفيع من الدقة والتحقيق العلمي يقصر عن شأوه الكثيرون في يومنا هذا. ولهذا السبب فقد أحببت أن أتحدث هنا ببعض التفصيل عن حياتـه وعلمه ومؤلفاته التي لا يعرفها الا القليلون. ولد توفيق كنعان في بيت جالا من أعمال القدس في ٢٤ أيلول سنة ١٨٨٢. وكان أبوه القسّ بشارة كنعان مؤسس الكنيسة اللوثرية في بيت جالا وأول راع لها. وتلقى توفيق تعليمه في مدرسة الايتام السورية في القدس، ثم التحق بالكلية الانجيلية السورية (الجامعة الأمريكية في بيروت فيما بعد) وتخرج طبيباً عام ١٩٠٥. وبعد ذلك عاد إلى فلسطين وعمل طبيباً في المستشفيات الألمانية وفي بلدية القدس (١٩١٢ ـ ١٩١٤). وفي هذه الأثناء درس الأمراض المدارية والجرثومية واشتغل رئيساً لدائرة الملاريا في مكتب الصحة العالمي لمدة عام. وبحكم اختلاطه بالقرويين استيقظ اهتمامه بالفولكلور وجمع عينات كثيرة من الأمثال الشعبية، وأخذ يسجل العادات الشعبية. وفي خلال الحرب العالمية الأولى عمل طبيباً ورئيساً للمختبرات في الجيش التركي في أنحاء عديدة من سوريا وفلسطين. وفي عام ١٩١٢ تزوج من مارغوت ايلندر، وهي ابنة لمستورد الماني، وعاش منذ سنة ١٩١٣ في حي المصرارة في بيته الخاص.

وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح عضواً في الجمعية الشرقية الفلسطينية The Palestine Oriental Society، وكان يكتب بانتظام في مجلتها. كما أسس الجمعية الطبية العربية وكان محرراً لمجلتها عدة سنوات ـ وفي هذه الأثناء واصل عمله كطبيب خاص، ومع عدد من المؤسسات والمستشفيات، كما برز اهتمامه بالآثار. وكان طلاب الآثار يؤمون بيته في القدس من مختلف البلدان.

وفي سنة الاغتصاب الصهيوني لفلسطين سنة ١٩٤٨، اضطر أن يغادر بيته الى البلدة القديمة في القدس، حيث أخذ يعمل بدأب في معالجة الجرحى وتأسيس العيادات الطبية والمستشفيات. وكان قد فقد بيته وأملاكه، =

موسم النبي موسى
كما يصفه الدكتور توفيق كنعـــان

يبـدأ المـوسم نفسه يوم الجمعة الذي يسبق يوم الجمعة الحزينة عند كنيسة الروم الأرثوذكس وينتهي يوم الخميس التالي. ويسمى يوم الجمعة هذا «جمعة النّزلة»، بينما يطلق على يوم الجمعة الذي يسبقه اسم «جمعة المناداة» لأن المناداة على الموسم، أو الاعلان رسمياً عن أن موسم النبي موسى يبـدأ يوم الجمعـة التالية، تتم في هذا اليوم[4]. وتسمى ليلة

= وخصوصاً مكتبته الثمينة، وكان فيها ثلاثة مخطوطات بقلمه كان يعدها للنشر.

وقـد عيّن الـدكتـور كنعـان سنة ١٩٥٠ أول مدير لمستشفى المطّلع (اوغستا فكتوريا) في القدس وبقي في المستشفى حتى سنة ١٩٥٥. وعندما تقاعد اعطي داراً على أرض المستشفى ليعيش فيها بقية حياته. وفي شهر كانون ثانٍ سنة ١٩٦٤ توفي في مستشفى اوغستا فكتوريا.

وضع الدكتور كنعان مؤلفات وأبحاثاً كثيرة أكثرها في اللغتين الانجليزية والألمانية. ومن بين كتاباته ما كان مكرساً للدفاع عن قضية بلاده. ومنها The Zionist Question and the Palestine Crisis الصادر بالقدس سنة ١٩٣٣ و The Palestine Arab Case الصادر بالقدس سنة ١٩٤٦ و La Cause Palestinienne الصادر بالقدس سنة ١٩٤٧. وله عدة دراسات اثرية عن مدينة البتراء باللغة الانجليزية. وتميز الدكتور كنعان بشكل خاص بالأبحاث التي وضعها حول الفولكلور الفلسطيني، ومن أهمها كتاب «أولياء المسلمين ومقاماتهم في فلسطين» الصادر بالانجليزية سنة ١٩٢٧، والخرافات والطب الشعبي في أرض الكتاب المقدس الصادر بالألمانية في هامبورج سنة ١٩١٤. وفي العشرينات والثلاثينات نشر أبحاثاً كثيرة تناولت التراث الشعبي الفلسطيني من مختلف جوانبه، وعدداً من الموضوعات الطبية ونشرت هذه الأبحاث في مجلات عديدة منها: مجلة «الكلية» التي كانت تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، ومجلة .The Journal of the Palastine Oriental Society التي كانت تصدر في القدس، ومجلة جمعية فلسطين الالمانية. Zeitschrift des Deutschen Palästina Vereins ومجلة جمعية المستشرقين الالمان Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft وقد بدأ في تأليف الكتب ووضع الأبحاث منذ أوائل هذا القرن وتواصل النشر حتى وفاته سنة ١٩٦٤م. وكانت أبحاثه موضع تقدير العلماء والأوروبيين وترحيبهم.

بقي أن نضيف أنه كان للدكتور كنعان هدف واضح هام في دراسته للفولكلور الفلسطيني الا وهو المحافظة على التراث الشعبي من الضياع. وقد أسفر عمله في هذا المجال عن جمع مادة غزيرة تستنهض الباحثين اليوم لدراستها. كما أن تراث توفيق كنعان كله بحاجة الى دراسة تميط اللثام عن المكانة التي يستحقها بكل جدارة، وهو بحاجة أيضاً بكل تأكيد الى ترجمته الى اللغة العربية.

(٤) كان المـوسم يعلن زمن الانتـداب في «جمعة المناداة» باحتفال يقام في بناية المحكمة الشرعية القديمة بباب السلسلة «المدرسة التنكزية سابقاً». وكان يؤم الاحتفال بهذه المناسبة المفتي والقاضي وكبار الاعيان ومتولو وقف النبي موسى وكذلك حاكم القدس وكبار موظفي الحكومة. وبعد الاستراحة يخرج الحضور الى ساحة المحكمة حيث يقف المنادي ويقول بصوت عال: يا أهل البلد، الجمعة الجاية موسم النبي موسى عليه لسلام. الحاضر يعلم الغايب. وكل عام وانتم بخير. ثم يتلو أحد العلماء دعاء دينياً، وبعدها تصدح الموسيقى ويصافح الناس بعضهم بعضاً، وتدار أكواب المرطبات على الحاضرين، ثم ينطلق المنادون بالأسواق للاعلان عن الموسم.

الخميس السابقة لجمعة النزلة «ليلة الوقفة»، وكل من ينوي الاشتراك في الموسم يتأهب للأيام القـادمـة. ويجتمـع الاصـدقاء والعائلات المختلفة وتتحدث عما تنوي عمله، . . وتسمى ليلة الأربعاء/الخميس «ليلة الشيل»، لأن معظم الزوار يتأهبون فيها للمغادرة.

وقبل أن نصف بداية مواكب الاحتفالات علينا أن نلفت النظر الى أن ستة أيام جمعة في هذه الفترة تعتبر من الأيام الهامة، بدرجات متفاوتة، لأنها مرتبطة باحتفالات خاصة أو لها ميزات خاصة. ويشكل موسم النبي موسى واسطة العقد في هذه الأيام. وفيما يلي قائمة بهذه الأيام، كما هي معـروفة في ضواحي القدس. وبعض الأيام تحمل اسماء مغايرة في مناطق أخرى.

أيام الجمعة بالترتيب	مقارنتها بعيد الفصح عند الشرقيين	اسماء أيام الجمعة في القدس وضواحيها	اسماؤها عند الفلاحين والبـدو
الأول	قبل يوم الجمعة الحزينة بأربعة عشر يوماً	جمعة المناداة	خميس أو يوم النبات
الثاني	قبل يوم الجمعة الحزينة بثمانية أيـام خميس الغسـل أو خميس العهد	جمعة النزلة أو جمعة البراق أو السدارى[5] خميس الطلعـة أو يوم الشيل	خميس الأموات أو جمعـة البيض.
الثالث	الجمعة الحزينـة	جمعة العليمات	جمعة المغرى أو جمعة الحيوانات
الرابع	بعد الجمعة الحزينة بثمانية أيـام	جمعة الرغايـب جمعة الحـلاوي أو الجمعة الطويلة	
الخامس	بعد الجمعة الحزينة بأربعة عشر يوماً	جمعة الغربـا	
السادس	بعد الجمعة الحزينة بواحد وعشرين يوماً	جمعة الحزانى	

(٥) أو جمعة السنداري.

تبدأ الزفة باحضار علم النبي موسى من المكان الذي يحفظ فيه طوال السنة، ويدعى «الدار الكبيرة» التي تخص عائلة الحسيني، وهي تقع غربي الحرم الشريف في الطريق الذي يصل باب الحبس بطريق باب خان الزيت(٦). وفي هذا المكان يجتمع الوجهاء وكثير من الموظفين ويسلم العلم الى المفتي على طبق. وبعد قراءة الفاتحة ينشر المفتي العلم ثم يثبت في الزانة. والعلم مصنوع من المخمل الأخضر وأطرافه كلها مطرزة بالخيوط الذهبية. أما قياسه فهو ٢٠٠ سم في ١٤٠ سم. وتخاط قطعة من الحرير الأسود في وسط كل جانب من جانبي العلم وعليها كتابات سنصفها فيها بعد. وقطعة الحرير هذه عليها تطريز في جوانبها. ويثبت العلم على عصا طويلة تدعى الزانة تنتهي في جانبها العلوي بهلال ذهبي.(٧)

تتحرك الزفة ببطء إلى الحرم الشريف، وتدخل اليه من باب الحبس (ويعرف أيضاً بباب علاء الدين البصيري)(٨). وكان يصاحب الزفة زمن الأتراك فرقة موسيقى عسكرية وحرس شرف. وبعد صلاة الظهر تترك الزفة الحرم من الباب نفسه لا من باب حطة كما يقول شبور.(٩) وصحيح أن جزءاً كبيراً من الجماهير التي تحضر الاحتفال في الحرم تغادره من أبواب أخرى. ويمضي المفتي الأكبر وحملة الاعلام وخدام النبي موسى الآخرون قدما الى خارج الحرم. وعندما يتركون منطقة الحرم يمتطون الخيل ويتحركون ببطء على الطريق الممتدة من طريق الآلام، ويتركون المدينة من باب ستنا مريم (باب الأسباط). وفي هذه الأثناء تكون الطريق غاصة بجماهير النظارة، وكذلك الشرفات والشبابيك والمقبرة والبساتين

---

(٦) الطريق المقصود الذي يصل باب الحبس بباب خان الزيت هو عقبة المفتي (طريق الآلام). ومن عقبة المفتي هذه يتفرع طريق صغير باتجاه الجنوب يدعى عقبة البيرق أو طريق البيرق وفيه تقع الدار الكبيرة التي تدعى أيضاً دار الحسيني أو دار المفتي أو دار البيرقدار أو دار نقابة الاشراف (ك. ع.)

(٧) يصف شبور الاحتفال باخراج العلم فيقول:
«بينما كنا ننتظر في حوش الدار الكبيرة... دخلت مجموعة من الجنود، وهي حرس الشرف المخصص للبيرق، وسرعان ما امتلأ الحوش بأعلى أرباب الرتب الروحية والدنيوية.. وبعد شرب القهوة، عزفت جوقة الموسيقى، وقد حدثونا عن قطعة موسيقى محبوبة جداً كانت تعزفها الجوقة في مثل هذه المناسبات، وانتظرنا سماعها بفارغ الصبر. ولما لم تعزف رجوناهم ألا يحرمونا من الاستمتاع بها. وبعد تلكؤ لم يكد يكون ملحوظاً، استجابوا لرغبتنا بأدب بالغ.

... وبعدئذ أحضر العلم وقدم الى المفتي الوقور. وساد الجمع صمت عميق، وعندما ارتفع صوت المفتي بالدعاء اغرورقت بعض العيون بالدموع. ولما انتهى الدعاء ثبت العلم على الزانة وغرس الجنود حرابهم وأحاطوا بالعلم. وبين استحسان الحاضرين وهتافهم وعزف الموسيقى توجه الموكب الى الحرم»
H. Spoer, ZDPV 32 (1909 pp 213 – 214

(٨) وأيضاً باب المجلس (ك. ع).

(٩) Spoer، المصدر السابق، ص ٢١٤

الواقعة على طرفي الطريق.

ونظراً للعدد الكبير من الشماسي التي يحملها المشاركون في الزفة والنظارة سمي هذا اليوم «عيد الشماسي». وفيه يتجمع الشباب في مجموعات، فمنهم من يعزف، ومنهم من يرقص أو يغني في الطريق.(١٠) ويحمل الجمهور أعلاماً كثيرة تمثل الأولياء المختلفين في المدينة والقرى المجاورة. وكل علم له أتباعه. وهكذا نرى أعلام الشيخ عاطف(١١) والشيخ القزاز(١٢) والشيخ علي الشريف(١٣) وعلماً من النبي صمويل الخ.. ويرى المرء في هذه الزفة على الدوام علم النبي داود وعلم المسجد الأقصى، وهما يرافقان علم النبي موسى حتى تصل الزفة الى راس العامود. ويتقدم موكب الزفة ببطء فيصل إلى راس العامود بعد ساعتين أو ثلاث ساعات، وهناك يرحب به رئيس بلدية القدس وأعضاء البلدية الآخرون. وتوجه البلدية الدعوات إلى العديد من الضيوف في هذه المناسبة. وبعد تقديم المرطبات يلف العلم بعناية ويواصل الوجهاء رحلتهم بالسيّارات أو العربات. ويتبعهم قسم من الجمهور ببطء، أما القسم الأكبر فيعودون الى القدس.(١٤)

---

(١٠) كانت الجماعات تنظم حسب المدن والقرى، وحتى حسب الصناع كالأساكفة والدباغين (ك. ع).

(١١) الشيخ عاطف الديسي، القيم على جامع الشيخ جراح.

(١٢) هذا الشيخ والشيخ السابق من القدس.

(١٣) قيّم مسجد الخضرا بنابلس.

(١٤) وفيما يلي وصف الموكب، كما ورد في شبور:
(عندما بدأ الموكب في السير من الحرم أطلقت المدافع طلقة ايذاناً بتحركه.. وعندما تحرك أول فوج من الزوار انطلقت الحناجر بهتاف يشق عنان السماء: لا اله الا الله.. وتبعه جنود من الفرسان الذين كانوا يسيرون أمام الموكب الفعلي لبفسحوا له الطريق، وتصاعد الصخب من دقيقة الى اخرى. ودوّى نداء لا اله الا الله كأنه طلقات المدافع فوق الوادي الذي يخيم عليه الهدوء عادة.. هنا كان يرى المرء درويشاً يغرس عصا حديدية رفيعة في خدّيه وهناك رجلا يدور دوراناً مستمراً كالمغزل. وغير هؤلاء شكلوا صفوفاً تشابكت فيها أذرعهم وقفزوا خطوتين أو ثلاثاً الى الأمام وواحدة الى الوراء.. وكل من هؤلاء تحلقت حوله حلقة من المشجعين يشجعونه بهتافات التشجيع والاستحسان.. وأمام العلم مباشرة سار فوج من الجنود الهجّانة من بئر السبع. أما العلم نفسه فكان يحمله رجل وفاء لنذر نذره والده عندما كان الابن يعاني مرضاً شديداً. ومع حامل العلم جاء المفتي وشيوخ الحرم، وتبعهم مرة اخرى عسكريون، وتلا هؤلاء جماهير غفيرة من الحجاج المتحمسين.. وكان منهم من يركب على ظهر آخر ويقود رفاقه الذين كانوا بلا ريب من سكان حارته. وكان هؤلاء ينفجرون بهتافات عالية للسلطان، ويلوحون بالسيوف والهراوات. وكان الناس من جميع الأعمار. وكان الشباب يفعلون مثل الشيوخ. وفوق حديقة الجسمانية نصب قرب الشارع سرادق للحاكم. وعندما وصل الموكب هذا المكان جرى ترحيب قصير وتلي دعاء، ثم طوى العلم، واستأنف الموكب سيره الى النبي موسى). H. Spoer, Z D P V 32 (1909), pp. 214, 215. [ك. ع]

ويزداد عدد الزوار في كل يوم من أيام الموسم وهم يأتون بالترتيب التالي بصورة عامة .

الوصول	المجموعة	المغادرة
الخميس	أصحاب المقاهي وبعض التجار	الجمعة بعد ثمانية أيام
الجمعة	خدام النبي موسى وبعض التجار	الخميس
السبت	قبيلة العدوان	الاثنين، أو الثلاثاء.
الاحد	أعلام القدس المختلفة (عاطف، القزاز الخ)	الخميس
الاثنين	الخلايلة، علم شباب القدس وعلم نابلس.	الأربعاء
الثلاثاء	بدو الديوك	الأربعاء
الاربعاء	أهل أريحا	الأربعاء

ويدعى الشخص الذي يحضر ليوم واحد «صبّاحي» بينما يسمى الشخص الذي يقضي ليلة واحدة فقط «بيّاتي». ويأتي الأول في الصباح ويعود بعد الظهر، بينما يصل الثاني عموماً بعد الظهر ويبيت ليلته ثم يغادر في اليوم التالي.

يغادر الخلايلة الخليل يوم السبت ويخيّمون في البقعة ، جنوب غربي القدس. وفي اليوم التالي يدخلون القدس عن طريق باب الخليل في موكب طويل، وهم يغنون ويرقصون ويلعبون السيف والترس. ويحتشد جمهور كبير من الناس ليشهدوا الاحتفال. ثم يواصلون سيرهم عبر البلدة القديمة الى أن يدخلوا الحرم من باب المحكمة (باب السلسلة - ك. ع.).

ويمضون ليلتهم في الحرم ثم يغادرون في وقت مبكر من اليوم التالي إلى المقام. ومن المعتاد أن يرسل موكب الزفّة قبل وصوله إلى قرية ما رجّادا[١٥] إلى القرية ليعلن قدوم الموكب فيخرج في الحال كل من يستطيع من سكان القرية لملاقاة الموكب ويأخذون معهم علمهم وعدّتهم[١٦]. وغالباً ما يدعى الملتحقون بالموكب إلى تناول الطعام.

---

(١٥) الرّجاد : في القاموس : رَجَدَ : نقل السنبل الى البيدر، فهو رجّاد، وهذا هو أصل الكلمة.

(١٦) العدّة: مجموعة الآلات الموسيقية (ك. ع).

إن جميع السيّارات[١٧] تغادر القدس بأبهة عظيمة وموسيقى رتيبة. ويكون العلم على رأس الزفة. وعندما يجتازون الجسمانية يلفون العلم ويسيرون ببطء وهدوء. وحالما يصبحون على مرمى النظر من مقام النبي موسى، يعيدون ترتيب صفوفهم ويرفعون العلم، ويبدأ الموكب الرسمي من جديد. ويشرعون أولا في عمل أكوام صغيرة من الحجارة كقناطر[١٨] ويقرأون الفاتحة. ويرسل الدرويش الذي يكون على رأس الموكب أحد أتباعه ليعلن قدومهم للدراويش الآخرين الذين سبقوا إلى النبي موسى. ويدعى هذا الرسول «النجّاب». ويربط الشيخ الذي يرسله منديلا حول رقبته لا يفكه سوى الشيخ الذي يستقبله في المقام. ويركض «النجّاب» إلى المقام مباشرة، وهو يضرب طول الوقت على نقارته. وحالما يصل إلى مبنى المقام يخرج جميع الدراويش، من أي طريقة كانوا، للترحيب به. ويقوم أكبر الدراويش سناً بفك المنديل المربوط حول عنقه، وهو يتلو الفاتحة. ويأمر هذا الشيخ كل السيّارات والعِدد بالترحيب بالقادمين.

ويزور القادمون أول ما يزورون مزار الراعي ثم تمضي الجموع إلى النبي. وحالما يصلون إلى الفناء الخارجي تتقدم الزفة ببطء شديد، بينما تشتد الحماسة وتزداد. وطوال الطريق إلى مزار الراعي ومقام النبي تطلق الأعيرة النارية، لمضاعفة الحماسة ولاعلان قدوم الموكب. ولم يَعد يسمح بهذه العادة الآن.

أما ترتيب مواكب الزفّة فيكون عادة على الوجه التالي: يسير حامل العلم أولا، ويتبعه الموسيقيون. ويليهم بعض شباب المجموعة يحيطون بقائدهم ويرقصون حسب الايقاع الذي يحدده. وكل رقصة تكون مصحوبة بالغناء. يغني قائد المجموعة مقطعاً فيكرره الآخرون. ويلوّح بسيف أو عصا أو بمنديل في الهواء ويرقص معهم. وهكذا يحدّد لهم الايقاع. ويكون الموسيقيون أحياناً، كلهم أو بعضهم، في الحلقة. وفي أثناء الغناء والرقص يصفق أعضاء المجموعة بأيديهم وفق إيقاع ثابت. وهذا التصفيق تصادفه في جميع مناسبات الفرح والبهجة. ويبدو أن المشاركين في الأداء والمشاهدين لا يكلون ولا يملون من هذه التسلية البسيطة التي تنتظم الجميع. ويتقدم هؤلاء ببطء إلى أن يبلغوا المقام وترحب بعض النساء من النظارة بالقادمين بالزغاريد أو بالأغاني القصيرة التي تنتهي بقرقعة حادة بالألسنة.

---

(١٧) السيارة: فرقة ايقاع مؤلفة من طبول كبيرة وصغيرة ومزاهر، وكاسات نحاسية تدق وتنقر عليها ايقاعات جميلة مختلفة متفاوتة في الشدّة (ك. ع).

(١٨) وتسمى أيضاً شواهد» (لأنها تشهد يوم الدين للذين قاموا بالزيارة). وهي عادة مأخوذة عن القدماء (ك. ع).

ومن الممتع أن نلاحظ . . أن الغناء والرقص والتصفيق واستعمال الآلات الموسيقية ومشاركة جميع الطبقات هي اليوم مثلما كانت عليه قبل آلاف السنين . . .

وأهم أنواع القرص هي السّحجة والدبكة . والدبكة على أنواع فمنها الطيارة والشمالية والعرجة والفتوحيّة والقرادية والسبعاوية والمثلوثة . وقد يرافق التصفيق بالأيدي والخبط بالأرجل أي رقصة من هذه الرقصات . وفي حالات كثيرة تقوم مجموعة أخرى بلعب السيف والترس ، أما عوضاً عن الرقص ، أو وراء فرقة الراقصين . ويكون الشخصان اللذان يقفان وسط الفرقة مسلحين بسيف وترس صغير. وبينما يقوم أصحابهما بالتصفيق والغناء من حولهما يتظاهر هذان بمهاجمة بعضهما بعضاً ويتقدمان ويتراجعان ويركعان على ساق واحدة ويقفان ويميلان إلى اليمين أو إلى اليسار ويلوحان بالسيف في اتجاهات مختلفة طوال الوقت . ويقوم احدهما بين الفينة واخرى بضرب ترسه هو أو ترس خصمه بالسيف . وتؤدى ضربات السّيف وفق إيقاع محدد بحيث يتبعها الصوت حسب وزن منتظم . وسنّدرج فيما يلي بعض الأغاني التي تُغنّى أثناء هذه اللعبة وكذلك أثناء الرقص .

أما الآلات الموسيقية التي تستعمل فهي :

الطبل ، الكاس (الجمع : كاسات)، والمِزهَر، والشبّابة ، والأرغل ، والناية ، والزمّارة ، والمجوز، والدرقة ، والنوبة .

والايقاع الذي يحدثه الطبل والكاسات يكون له دائماً تقريباً معنى محدد ، مثل

الله الله الله حي

ااا ـ ااا

دا ـ يم دا ـ يم

ـ ا ـ ا

قيّـ ـ وم قيّـ ـ وم ا ـ ا ـ

ولا يسمح للطبل بالاهتزاز الاّ عندما تؤدى كلمة «الله» وحدها ، بينما يرتد الصوت بطيئاً عند الكلمة الثانية ، ويؤدى المقطع الأخير مصحوباً بضربة قوية على الطبل . أما ألوان أقمشة الرايات فتتراوح بين الأخضر والأبيض والأحمر، وتكتب عليها الآيات القرآنية ، واسم الولي الذي تختص به الراية ، وأسماء الله الحسنى . وترسم هذه الكتابات بخياطة أشرطة ذات ألوان مختلفة على العلم نفسه .

وفيما يلي نصوص بعض الكتابات :

١ ـ « لا اله الاّ الله محمد رسول الله» .

٢ ـ على علم النبي موسى :

أ ـ على أحد وجهين كلمة الشهادة السابقة .
ب ـ وعلى الوجه الآخر , وكلّم الله موسى تكليما ١٣٠٩» .

٣ ـ علم بيت سوريك :
بسم الله الرحمن الرحيم
نصر من الله وفتح مبين .
مدَدَك يا سيدي احمد البدوي .

٤ ـ على علم الشيخ جابر النعنع :
«لي سادة من عزهم أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي في حبهم عز وجاه»

٥ ـ على علم ثان للشيخ نفسه :
«لا اله الاّ الله .
بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الاّ الله محمد رسول الله
سيدي أحمد الرفاعي ولي الله .
قدّس[19] الله سرّه العزيز» .

٦ ـ على علم رؤي في احتفالات النبي روبين :
«أبو بكر عمر
لا اله الاّ الله ومحمد رسول الله
علي عثمان»

٧ ـ علم الشيخ أحمد الفالح :
«أبو طلحة سعد

---

(١٩) في الاصل المترجم «قد نشر» والاصح في ظني «قدّس» فهذه هي الكلمة التي تستعمل عادة في هذا المقام (المترجم ك . ع) .

جدده الفقيـر احمـد
الفالح خليفة الحضـرة
الاحمـدية

زبيـر سعيـد»

٨ - على علم آخر للشيخ نفسه :
«بسم الله الرحمن الرحيـم
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريكاً في الملك ولم يكن له ولي» .

٩ - علم رؤي في روبين سنة ١٩٢٤ :
أبو بكـر عمـر
بسم الله الرحمن الرحيـم
لا اله الاّ الله ومحمد رسول الله
واذا عزمت توكلت على الله
سيدنا الخضر عليه السلام .
عثمـان علـي»

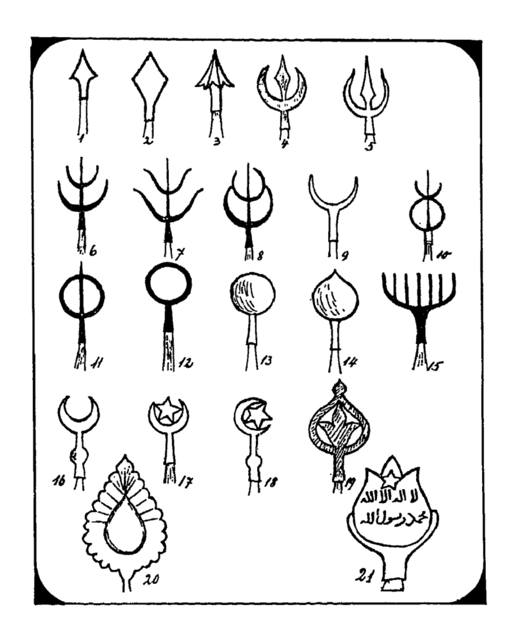
وفي كثير من الأحيان يُلبّس الطرف العلوي للزانة التي يثبتً عليها العلم بقطعة معدنية تتخذ شكلا من الأشكال المرسومة على اللوحة في الصفحة التالية :

ويتبين من دراسة الأشكال المختلفة ـ التي يسمى واحدها عادة «هلال» أنها تنقسم الى المجموعات التالية :

١ -. شكل سلاح (رمح أو حربة) الرقم ١ و٢ و٣ .

٢ - شكل يد (الرقمان ٦ و٧) . والرقم ٨ يمكن أن يندرج أيضاً في هذه المجموعة ، بينما يرينا الرقم ١٥ ، العدد «سبعة» المقدس .

٣ - أشكال مختلفة تمثل تطور القمر . الأرقام ٤و٥و٩و١٠و١٦و١٧و١٨و٢٠ . ويحمل الرقم ٢١ في القمر كتابة : لا اله الاّ الله محمد رسول الله . والأرقام ١١ و١٢ و١٣ و١٤ التي تتخذ شكل الكرة أو الدائرة ، يمكن تصنيفها في هذه المجموعة ، مع أنها قد تفسّر بأنها تمثل الكرة الأرضية .



وهذه العلامات شائعة في الخرافات الشعبية التي نصادِفها في الوصفات السحرية والطب الشعبي .

ومن القـرى التي لديهـا عِدَد (أي آلات موسيقية) تأتي لزيارة النبي : بيت اكسا ، والنبي صمويل وبدّو وبيت عنان وبيت دقو وبيت سوريك وأبو غوش والعيسوية وسلوان والديوك وأريحا الخ . وقيل لي إن قبائل العدوان والكعابنة الخ . لا تحضر معها عدّة ولا علماً .

أما خدّام النبي موسى فهم عائلات الحسيني ويونس وقليبو وبزبزت . . ولكل عائلة من العائلتين الأوليين مطبخ في المقام تطبخ فيه كميات هائلة من الطعام ، وتوزع على الزوار

مرتين في اليوم. وأما حملة الأعلام فهم من عائلة قليبو، بنيما المؤذن من عائلة بزبزت. وللعائلة الأخيرة أيضاً حق انارة المقام. وعلى مفتي القدس أن يسير على رأس الزفة. ويعتز خدام النبي موسى أيّما اعتزاز بالشرف الذي تسبغه خدمة كليم الله على عائلاتهم.

وفي كل يوم تطبخ عائلة الحسيني قنطارا (٣٠٠ كيلو غرام) من اللحم وتطبخ عائلة يونس الكمية ذاتها تقريباً. ويطبخ اللحم في حلل كبيرة تابعة للمقام[٢٠]. تفلفل كمية كبيرة من الرز، كما تطبخ اليخاني وأهمها يخني الفول ويخني البصل، ويخني الملوخية ويخني الباذنجان الخ. ويقصد باليخني الخضار المطبوخة مع اللحم والسمن. وفي كل يوم تقدم وجبتان عامتان، وجبة غداء ووجبة عشاء. وعندما يجهّز الطعام يأتي الزوار ويأخذ كل منهم حصّته. ويشكل هؤلاء عادة مجموعات صغيرة يأتي ممثل عنها لاستلام الطعام. ويوزع الخبز أيضاً. وتحتشد جماهير غفيرة عند التوزيع، ويحمل كل شخص اناء ويحاول أن يكون من السابقين، فيتدافعون ويتحاشرون ويصرخون. وكثير من الزوار الذين يفضّلون أن يطبخوا بأنفسهم يتسلمون حصصهم «خرج ناشف» لحم نيء ورز غير مطبوخ. وفي وسع العائلات المعروفة التي تطبخ طعامها بنفسها أن تتسلم أواني الطبخ من المطبخ في حين يدفع الآخرون رهنا.

وتذبح المواشي، وأكثرها من الأغنام والخرفان، في مكان خاص خارج المقام في الطريق المؤدي إلى طريق العربات. وحتى الشخص الذي نذر «ذبيحة» للنبي موسى يذبحها عادة في هذا المكان. وهو يقول بهذه المناسبة : «منك والك اجر وثواب لسيدنا موسى». وكثيراً ما تضاف العبارة التالية : «إتقبل نذرك يا كليم الله» واللحم الذي يذبح امّا أن يوزع على الحاضرين أو يرسل الى واحد من المطبخين في المقام، ليطبخ ويوزع على الزوار. ويحتفظ صاحب النذر دائماً بحصة جيدة من الذبيحة له ولأصحابه. وتغطى النفقات الهائلة التي تنفق في هذه الأيام السبعة من ريع وقف النبي.

وتحتشد غرف المقام وفناؤه والساحة الواسعة المحيطة به بالزوار. وانه لمنظر رائع شديد الامتاع ومنير للذهن ذاك الذي يشهده المرء وهو يراقب الوجوه والأزياء والعادات والألعاب المختلفة والخصائص الأخرى التي يتميز بها هذا الحشد من الناس : الفلاحون وانصاف البدو يختلطون بأهل القدس ونابلس والخليل. والذي يدرس البلاد عن كثب يستطيع أن يميز بسهولة بين الأنماط المختلفة. وباستثناء نساء المدن اللاتي يلزمن الغرف معظم الوقت

---

(٢٠) كانت الحلل من النحاس. وكان يسكب منها الطعام بعد صلاة الظهر في صوان كبيرة توضع على الأرض ويجلس حول الواحدة منها من ٨ ـ ١٠ أشخاص (ك. ع.).

أو يقفن على الشرفة المكشوفة في الطابق الأول، فان جميع الزائرات الأخريات يشاركن الرجال النشاطات المختلفة ويختلطن بهم باستمرار. ويرتدي كل واحد من هذا الجمع أحسن ما عنده من الملابس التي تعرض كل لون من ألوان قوس قزح. و يكون عدد الزوار في بعض الأوقات كبيراً جداً، وهو يصل إلى الذروة يومي الاثنين والثلاثاء. وبعد ذلك يبدأ الكثيرون في المغادرة. وطوال هذه المدة باستثناء اليوم الأول (الذي لا يغادر فيه أحد) واليوم الأخير (الذي لا يحضر فيه أحد) يكون الناس في حركة دائبة من المجيء والذهاب.

وقول كيرتس Curtiss إنّ خمسة عشر ألف شخص يحضرون الاحتفال مبالغ فيه. وحالما ينتهي موسم النبي موسى يهجر المكان ولا يبقى فيه أحد طوال العام سوى حارسين. وأحد الحارسين الآن هندي عيّنه آل الحسيني والآخر هو احمد يونس عيّنه آل يونس.[٢١].

وينزل جزء كبير من الزوار في الغرف المختلفة. ولبعض العائلات حق موروث في غرفة من الغرف، فتحجز هذه الغرفة لها دائماً. أما الغرباء فتدعوهم عادة إحدى العائلتين «خادمتي» المقام وتهيء لهم أسباب الاقامة المريحة. ولكل عائلة من هاتين العائلتين قاعة استقبال يستقبل فيها الزوار حيث يرحب بهم أحد أفراد العائلة، عادة أكبرهم سناً. ويقدم شراب الليمون والقهوة والسجاير. ويطل صالون آل الحسيني على ساحة المقام، حيث يمكن مشاهدة كل النشاطات التي يقوم بها الجمهور. ويحضر كثير من الزوار خيامهم وينصبونها على أحد التلال المجاورة. أما البدو فينصبون بيوت الشعر الخاصة بهم. ومنظر قدوم هؤلاء الأخيرين ومبارحتهم منظر رائع للغاية فالجمال تزّين باحكام وتحمل النساء والأطفال في الهوادج.

ومن المبهج أن يتمشى المرء في المساء في أرجاء المخيم. فالخيام كلها مضاءة، وغالباً ما تتم الاضاءة بشموع نذرت لاشعالها في هذا المكان. في خيمة من الخيام تسمع عزف العود مصحوباً بغناء يصغي إليه الحاضرون باهتمام ويعربون عن استحسانهم بين وقت وآخر بترديدهم: الله الله. وفي خيمة أخرى نجد مجموعة من الناس يجلسون باسترخاء

(٢١) يُعتقد أن النبي، شأنه شأن كل ولي، يحمي مقامه من السرقة. والقصّة التالية توضح هذا الاعتقاد. دخل بدوي المقام ذات مرة في غيبة الحراس ليسرق ستائر القبر. وعندما حاول الخروج من الشباك نفسه الذي دخل منه بسهولة، اقتربت القضبان بعضها من بعض، فعصرته عصراً شديداً مات على اثره. وفي الليلة نفسها ظهر النبي الى موسى يونس في القدس وقال له ثلاث مرات: موسى، اذهب وأزل الجثة من مقامي. وفي اليوم التالي ذهب موسى برفقة بعض الموظفين ووجد البدوي الميت.

ويروون الحكايات ويشربون القهوة أو يدخنون النرجيلة. وكثيرون يتجولون في التلال المجاورة.

إن جمعاً كهذا يجتذب كل أنواع التجار ومقدمي ألعاب التسلية. وتمتلىء الساحة على الجانبين بالتجار الذين يبيعون الحلوى والملبس والفواكه المجففة والمناديل، وأحزمة القماش، ومواد الاستعمال اليومي والأواني الزجاجية والأساور المذهبة والخواتم والسلاسل والمسابح وأباريق الفخار والجرار والقدور، والكتيبات والكراريس والحجابات والتبغ وعلب الكبريت والشموع وأشياء عديدة اخرى. وبينما يضع الكثيرون بضاعتهم على رفوف خشبية صُنعت على عجل يفرش آخرون بضائعهم على قطعة من القماش مبسوطة على الأرض (يبسّطون). ويقف هؤلاء بلا كلل طوال النهار وإلى ساعة متأخرة من الليل، ويحاول كل منهم أن يتفوق على جاره بالصراخ وهو يمتدح البضاعة التي يبيعها. والى خارج الساحة تجلب قطعان من الخراف للبيع. وكل من عليه أن يقرّب ذبيحة يمكنه أن يشتري حيواناً في هذا المكان. ويحضر كثيرون ذبائحهم معهم.

وفي خارج مبنى المقام يجد المرء دائماً المقاهي التي يقيمها أصحابها من قماش الخيام الخشن. ويجلس الزبائن فيها على الكراسي العربية الواطئة، ويطلبون القهوة أو شراب الليمون أو النرجيلة. ولا يخلو الجلوس في المقهى من المتعة، خصوصاً في المساء، حيث يراقب المرء حياة الناس ونشاطاتهم بينما يؤدي الحاكي (الفونوغراف) ألحاناً رتيبة. ويجذب خيال الظل (الكراكوز) اهتمام المارة ويغريهم بالدخول. وكثيراً ما يزور هؤلاء أيضاً، خصوصاً الأطفال منهم والفلاحين والبدو، صندوق العجم وهو صندوق مستطيل مزدان من الخارج بالأجراس الصغيرة والمرايا وكرات الزجاج والصّور والزهور، ويستند إلى كرسي صغير. وله من الأمام ثقوب صغيرة يرى النظارة من خلالها لفافة من الصور المخبأة في الوسط والتي تدار بحيث يستطيع المشاهد أن يتابع القصة التي يتلوها مشغّل الصندوق بسرعة بأسلوب رتيب. وقد يمضي المرء وقته أيضاً في لعب الورق (الشدة) وطاولة الزهر (النرد).

وتجتمع الجماعات في الحقول خارج المقام وتمضي الوقت في سباق الخيل ولعب الجريد (وهو مبارزة هزلية بأغصان طويلة مستقيمة يفوز فيها من يرمي عصاه مسافة أبعد من غيره). وقد تلعب هذه اللعبة الأخيرة على ظهور الخيل. ويحاول الفلاحون وأهل المدن أن ينافسوا البدو، ولكنهم نادراً ما يُظهرون براعة الأخيرين الذين يقودون أفراسهم العربية الرشيقة

بسهولة كبيرة. وفي لعبة أخرى يقسم اللاعبون أنفسهم إلى فرقتين ويقوم بدوي من الفرقة الأولى بالعدو بفرسه بأقصى سرعة وهو يمسك بعنانها بيد ويمسك ببندقيته باليد الأخرى، محاولا القاء خصمه من الفرقة الأخرى على الأرض أو يقطع عليه خط التراجع، فاذا نجح في ذلك فهو يمسك بخصمه، أما إذا أمسك به الرجل الذي يقابله في الفرقة الثانية أو لمسه مجرد لمس، فعليه أن يذهب معه. ويحاول الباقون في فرقة الرجل الممسوك أن يطلقوا سراحه بالاندفاع نحوه ولمسه.

ولا يجوز لنا أن نُغفل الممارسات الدينية في هذه الأيام. فحالما يؤذن المؤذن يستجيب معظم الناس لندائه ويؤدون الصلاة، ولا يهم أين يصلي المرء: في المقام، في الجامع، في غرفة، أو في خيمة في الخارج. وتعقد بين وقت وآخر حلقات الذكر التي يرتل فيها شيخ حسن الصوت جزءاً من القرآن ترتيلا شجياً، فيستمع اليه جميع الحاضرين بصمت تام فلا كلام ولا تدخين ولا شرب قهوة. وقد حضرت حلقة ذكر كهذه ذات مرة في النبي موسى فوجدت أنه مما يسمو بالنفس أن يرى المرء كيف كان الجميع يصغون بورع وتقى.

والختان (الطهور) شائع جداً في هذه الأيام وفي هذا المكان المقدّس. ويرى المرء كل يوم عمليات عديدة كهذه. يلّبس الطفل ملابس حريرية جديدة ويزيّن بالسلاسل والأزرار الذهبية الخ. بقدر ما يسمح به جيب أبيه. ولا ينسى أهله أبداً بالطبع المسبحة الزرقاء والحجاب والمشخص وحجر الشبّ. وغير ذلك من التمائم والتعاويذ، التي تحميه من شرور «العين» أو «النفس» الحاسدة، فالطفل يكون في مناسبة الطهور أكثر تعرضاً لفعل القوى فوق الطبيعية من أي وقت آخر. ويرافق الوالدان والأقارب والأصدقاء والجيران الحاضرون الطفل في زفته التي تبدأ بدورة حول المبنى، وتستأجر لهذا الغرض فرقة أو مجموعة من الراقصين ويغني الجميع بأعلى أصواتهم، وتعرب النساء القريبات عن فرحتهن باطلاق الزغاريد بصوت مرتعش. أما الطفل الذي يكون خالي الذهن تماماً مما سيحل به من ألم، فيستمتع أيما استمتاع بالاحتفال كله. وحالما تصل مجموعة المحتفلين إلى الباب المؤدي الى الساحة يترجل الطفل ويحمله أبوه أو أقرب أقربائه الذكور. ويرتفع صوت الموسيقى وتزداد حماسة الغناء. وعند شباك المقام تقرع الطبول على نحو صارخ ويشتد الصياح. ووسط جمهور هائج يقوم الحلاق ـ وهو الجراح المحترف ـ باجراء العملية الصغيرة بأقصى درجات البراعة. لا يُستعمل مخدر موضعي ولا تتخذ أي إجراءات لتطهير الجرح أو تعقيمه، ويختن عشرات الأطفال بسكين واحدة. ولهذا السبب تتسمم كثير من الجروح وتسبب متاعب كثيرة. ويتمتع الحاج أحمد الحلاق وأولاده بسمعة جيدة لمهارتهم في هذا التخصص. ويغرق

صياح الطفل أثناء العملية بأصوات الموسيقى ويتسلم الحلاق أجره الذي يتوقف على قدرة والد الطفل وكرمه، ويتراوح بين مجيدي وجنيه. وهي لا تسمى أجراً في الواقع بل إكرامية. ويقوم الحلاق بختان بعض الفقراء مجاناً لينال بذلك الأجر والثواب. إذ انه يعتقد أن النبي سيباركه بسبب عمل الخير هذا في الدنيا والآخرة. وبعد أن تعود جماعة المحتفلين يضمد الجرح بالنباتات المجففة التي تسحق وتمزج أحياناً بزيت يؤخذ من مصابيح المقام. ويعتقد الكثيرون أن هذا الزيت هو خير علاج شاف. وفي الوقت الحاضر يستعمل الحلاق أحياناً مسحوقاً مطهراً لشفاء الجرح.

إن معظم الأغاني التي تتردد خلال الاحتفال بالختان وكذلك خلال الرقص ولعبة السيف والترس لا علاقة لها بالنبي موسى بل هي أغان عادية تغنى في أي مناسبة من المناسبات. وكثير من الأغاني التي هي في الواقع مدائح نبوية خاصة بالنبي محمد تغنى في هذه الأيام. وسأورد فيما يلي بضع أغان مرتبطة مباشرة بالنبي موسى :

- ١ -

يا زوار موسى
سيروا[٢٢] بالتهليل.
زرنا النبي موسى
عقبال الخليل[٢٣]

يا زوار موسى
زوروا بالعدّة
زرنا النبي موسى
عقبال الحجة

يا زوار موسى
زوروا بالدرقة

---

(٢٢) البعض يقولون : زوروا.

(٢٣) ويقال أيضاً : زرنا النبي موسى
عقبال الخليل
وشعرك يا موسى
سايل عالقنديل.

وشعرك يا موسى
حرير في ورقة .

يا زوار. . .
زوروا بالاعلام .
زرنا . . .
وعليه السّلام

يا زوار. .
طحتوا سالمين
يا زوار
تردّوا سالمين

- ٢ -

على بير زمزم اتوضا النبي[٢٤]
ببريق فضة وشمع ينضوي
على بير زمزم اتوضا الرسول[٢٤]
ببريق فضة وشمع وبخور
يا للي بنبيتك[٢٥] يا نبي
في جنب بيتك عشّش المصطفى
كوني خوانه يا نجوم السما
كوني هنية يا طريق النبي
زبدة طرية تحت إجرين الزوار
مسيك بالخير يا موسى يا ابن عمران .
يا للي تقوم من منامك تشبه الغزلان . [٢٦] .

---

(٢٤) أي النبي محمد .
(٢٥) أي نبوّتك (أي نبوة النبي موسى) .
(٢٦) سمعت من امرأة من المالحة .
الجزء الأول من هذه الأغنية يُغنيه الحجاج وهم في طريقتهم إلى مكة . وقد سمعت الأغنية كلها يغنيها زوار النبي موسى .

- ٣ -

العرس ما هو فرحة
ولا طهور الصبيان
ما فرحة الاّ زيارةْ موسى
عليه الصلاة والسلام
لولاك يا موسى ما جينا ولا تعنّينا
ولا دهسنا الحصا ولا الرمل باجرينا
مسّيك بالخير يا موسى يا ابن عمران
يا ساكن الغور وبلاد حـــوران.

ومن الأقوال القصيرة في النبي موسى:

يا ابن عمران حرّك الميزان
حلاوة النبي موسى بركة
تمر النبي موسى بركة
ليمون النبي موسى بركة.

وينادي بعض الشحاذين قائلين باستمرار:
أنا إلي عَ سيدي الكليم كعكة ومعمولتين.

وهكـذا ينقضي الاسبوع بالألعاب والأغاني والاحتفالات بصورة ممتعة ايما إمتاع. ويمكننا أن نعتبر الموسم واحداً من أهم المواسم الاسلامية في لواء القدس، حيث يلعب هنا الدور الذي يلعبه النبي روبين والنبي صالح (دير غسانة والرملة) وعلى بن عليم وحسن وحسين في مناطقهم المختلفة. الرجال والنساء والكبار والصغار والأغنياء والفقراء يستمتعون به، وكل طبقة من الطبقات تجد فيه التسليات التي تناسب أذواقها. كما أن دارس العادات والتراث الشعبي يجد في هذا المـوسم فرصة ممتازة لدراسة الفروق بين القبائل والعادات والملابس والخرافات... الخ. لقد زرت النبي موسى ثلاث مرات أثناء الموسم، وبتّ هناك مرتين، كما زرت المبنى والمنطقة المحيطة به مرتين في غير أوقات الموسم.

وفي يوم الخميس يعـود موكب النبي موسى رسمياً مع علم النبي. ويكون حينئذ

معظم الزوار قد غادروا المقام.[٢٧] وحالما يصل سدّارى النبي إلى رأس العمود، تبدأ الزفة من جديد. وتخف الاعلام والعدد المختلفة التي ودعت العلم لدى مغادرته القدس الى استقباله والترحيب به، ومن بينها البيارق وفرق الموسيقى العائدة للشيخ القزاز والشيخ عاطف وأبو مجيد وحسن والعيزرية والقرى الأخرى، جنباً إلى جنب مع أعلام النبي (داهود) والحرم وشباب القدس ونابلس والخليل. وعندما تتحرك الزفة نحو المدينة، يشاهد المرء من النظارة من جميع الطبقات والفئات العدد ذاته الذي شاهده لدى مغادرتها المدينة. وتشكل الموسيقى وَالرقص والسيف والترس والغناء الخ أهم ملامح الزفة. ويتم ارجاع علمي النبي موسى والنبي داود إلى المكانين اللذين يحفظان فيهما بقية السنة.

بيد أن نهاية هذا اليوم لا تشكل نهاية النبي موسى، ففي يوم الجمعة يحتشد الناس في الحرم للاحتفال بزفة العليمات، فيحمل علم الصخرة المشرفة، وعلم النبي محمد (ﷺ) عد صلاة الظهر في موكب كبير من المسجد الأقصى إلى الصخرة المشرفة. وعائلة القطب ي المسؤولة عن هذه المهمة الشريفة. ويقف هؤلاء في منتصف الطريق بين المسجدين. ويعتقد أن شجرة الزيتون الكائنة، قرب الكاس مباشرة، والتي تعرف بزيتونة النبي، تعود إلى الحياة في هذا الوقت، عندما يزور النبي محمد والصحابة الحرم ويسكنون الشجرة. وتحت هذه الشجرة توضع الاعلام، ويعتقد أن أغصانها تنحني لتكريم الأعلام[٢٨]، ويصعد ممثل عن عائلة القطب إلى المنبر[٢٩] الكائن فوق الدرج المؤدي من الكاس إلى صحن الصخرة، ويتسلم الاعلام ويلفها في (بقجة) من الحرير ويحملها إلى مكانها في مسجد الصخرة. ويسيطر على المشاركين في الموكب جو مفعم بالحماسة لكن دون رقص أو العاب.

---

(٢٧) كثير من الزوار يحيون ذكرى زيارتهم الى مقام من المقامات بكتابة آية أو دعاء على حائط المقام. وقد سبق أن وصفت الصيغ البسيطة من قبل. ووجدت في مقام عكاشة صيغة معقدة هذا نصها: «أودعت في هذا المقام الشريف شهادة أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله شهادة ألقاها يوم القيامة اتضرع الى الحق جل جلاله بأن يغفر لي ويرحمني ويعفو عني ويتوفاني على الايمان بجاه سيدنا محمد ﷺ وبجاه سيدنا عكاشه صاحب رسول الله».

(٢٨) هذا مثل آخر من مخلفات عبادة الأشجار في قديم الزمان، وهي عبادة استمرت بعد الاسلام بعد أن نسبت الشجرة إلى ولي من الأولياء، أو اعتقد ان ولياً يسكنها ـ وهنا يسكن الشجرة النبي محمد والصحابة! وقد أورد علي مبارك اسماء أشجار كثيرة يقدّسها العامة في مصر. وهناك أشجار مقدسة أخرى في بلدان مختلفة ـ (ك. ع.)

(٢٩) منبر برهان الدين بن جماعة (ك. ع).

وفي هذا اليوم واليوم التالي يغادر معظم زوار النبي موسى القدس، وتترك العدة تلو الأخرى المدينة وتعود من حيث أتت، وتنظم في كل حالة زفة صغيرة تضم الشيخ وحامل العلم وضاربي الموسيقى وبعض الاتباع. ولدى عودة «سيارات» القرى إلى قراها تتوقف عند كل مقام من مقامات الأولياء الكبار تمرّ به أو حتى تدور حوله. وكلما تقترب السيارة من ولي تقرأ الفاتحة، وتعزف الموسيقى وينكس العلم تكريماً للولي ويتوقف الموكب. ويعتقدون أن تكريم أولياء الله هؤلاء يعود عليهم بالأجر.[٣٠]

ويزور العائدون كذلك مقامات قريتهم الأصلية الواحد تلو الآخر، بينما يخف أهل القرية لاستقبالهم ويجعلون من ذلك اليوم عيداً من الأعياد.

واذ كان موسم النبي موسى هو اكبر المواسم فان هناك مواسم اخرى تساويه في الرتبة ومواسم أقل منه شأناً. ومما يجعل موسم النبي موسياً بالغ الأهمية أن مقامات أخرى عديدة لها زيارات أو مواسم في وقت موسم النبي موسى ذاته أو بعده باسبوع.

وتقدم لنا القائمة التالية بعض أهم هذه المواسم:

اسم الولي	الموقع	تاريخ الاحتفال
- النبي صالح	دير غسّانة	جمعة العليمات
- النبي صالح	الرملة	الجمعة التي تلي جمعة العليمات
- النبي أيوب (ويدعى ابريّة ايوب)	قرب الجورة (جورة عسقلان)	الثلاثاء بعد الظهر والأربعاء في اسبوع النبي موسى.
- الحسين	قرب الجورة	الأربعاء في اسبوع النبي موسى
- النبي عنيّر	بني حارث	جمعة العليمات
- علي بن عليم	شمال يافا	خلال موسم البطيخ (ويدعى الموسم موسم الحرم)
- النبي روبين	نهر روبين جنوبي يافا	في الشهر القمري الذي يقع في شهري آب وأيلول.

(٣٠) اجتازت «عدة» قرية اصطاف ذات مرة دير ياسين وهي في طريقها الى النبي موسى. وإذ أغفلت العدة مراسم التكريم الواجب للشيخ ياسين، أي أنها لم تتوقف لعزف الموسيقى ولم يقرأ مرافقوها الفاتحة، فقد أرغمهم الولي - على نحو خارق - على العودة وأداء هذا الواجب.

ـ النبـي أيــوب	راس سمحـــان	يوم الأربعاء في اسبوع موسم النبي موســـى .
ـ النبي كَفــل	بين دير طريف وولهيلما	١٤ شعبان
ـ الخضــر	اللد (ويعرف بعيد اللد) .	
ـ الخضـر	حيفا (الكرمــل) .	
ـ الزرقـا	نبع بين دير غسانة وعابود	مع عيد اللد[٣١]
ـ الشيخ اعمــر	بيت دقــو	جمعة العليهات .
ـ ابراهيم الخواس	دير غسانـة	خميس الطلعة[٣٢]
ـ الخضــرا	نابلــس	عاشـــوراء .

وفي أثناء موسم النبي روبين يجتمع الناس باعداد كبيرة عند النهر المسمى بهذا الاسم ويستمر الاحتفال طوال شهر، ابتداءاً من هلال شهر آب. ويبلغ المكان ذروة شعبيته في ليالي البدر. ويفوق عدد زوار النبي روبين[٣٣] عدد زوار النبي موسى. وتنصب فيه مقاه ودكاكين أكثر. ويمتلىء السهل المحيط بالخيام، وخصوصاً في الجهة الشمالية الغربية من المقام. ويأتي الزوار بصفة رئيسية من يافا واللد والرملة والقرى المحيطة. ومن المناظر البهية أن يرى المرء قافلة صغيرة من الجمال التي تحمل عائلة كاملة مع الأدوات المنزلية الضرورية لقضاء عدة أيام أو أسابيع قلائل في هذا المكان.

أما المقام نفسه فهو مبنى صغير يتألف من المقام الأصلي والقبر (١٫٧٥ متر طولا ومتر واحـد عرضاً)، وغرفة صغيرة إلى جهة الشرق ورواق ذي ثلاثة أقواس مفتوحة إلى جهة الشمال ومحراب. وهناك مئذنة متصلة به. ويحيط بمجمع البناء كله سور بداخله عدد قليل من الأشجار.

---

(٣١) ان بعض القديسين المسيحيين لهم مواسمهم أيضاً. فلكل من مارجريس ومار الياس، موسم يستمر يوماً واحداً. أما القديسة مريم فيستمر موسمها عدة أيام يقضيها الناس في المرح والتسلية.

(٣٢) في هذا اليوم تصبغ الحيوانات.

(٣٣) يقال روبين وروبيل. اما الكتابة على شاهد القبر فهي : «بسم الله الرحمن الرحيم وروبيل نبي الله» وعلى كثير من يافطات الدكاكين نقرأ ما يلي :
«مخصوص لزوار النبي روبين».

إن النبي روبين وعلي بن عليم هما الموسمان الصيفيان لسكان السهل - بل انه يحكى أن نساء يافا المسلمات كنّ يقلن لأزواجهن: «يا بترويني يا بطلقني» أو «يا بترويني أو بريك».

وهناك مواسم محلية عديدة لها صلة بمقامات أصغر. وفي يوم الجمعة آخر أيام موسم النبي موسى (جمعة العليمات) يقوم سكان القرى بزيارة معظم المقامات الهامة في قراهم. ويقضي الناس بعد الظهر في الحقول حول المقامات، وتوفى هناك النذور التي لم يكن قد تمّ الوفاء بها من قبل.

انتهى كلام الدكتور توفيق كنعان ووصفه الممتع الدقيق لموسم النبي موسى. ولا أدري كيف غاب عن الدكتور كنعان الاشارة في تضاعيف هذا الوصف إلى موكب علم نابلس الذي كان يأتي للمشاركة في احتفالات النبي موسى. فقد كان قدوم هذا العلم، كما كان قدوم علم الخليل، عنصراً هاماً في الاحتفالات لاعطائها الطابع الفلسطيني العام. ونحاول فيما يلي أن نستدرك ذلك فنقول إن نابلس وقراها كانت تستعد استعداداً كبيراً للمشاركة في مهرجانات النبي موسى فقبل الموسم بأيام قليلة كان القرويون في جبل نابلس يتجملون بأفخر الملابس وينزلون إلى مدينة نابلس ليتلقوا بزملائهم من القرى المجاورة ويقيموا حلقات الدبكة على أنغام المجوز وتجرى بينهم المسابقات لكسب الأولية في هذا الميدان كما يقول محمود العابدي[٣٤]. ويواصل العابدي كلامه عن احتفالات نابلس وجبلها فيقول:

[وكان يرافق حلقات الدبكة (المطاقشة بالبيض) يضرب أحمد بيضته على سنه ويراهن محمود على أنها أصلب من بيضته. ثم يتبادلان (التطقيش) ومن كسرت بيضته فانه المغلوب ويستولي عليها المنتصر. وقد يجمع أحدهما عشرات البيض المكسر، بهذا النوع المسكوت عنه من القمار.

وغالباً ما كان يسلق البيض مع ورق البصل أو الخبيزة أو. . . كسباً لصباغ جديد يمتاز به بيض الموسم. . . عيد البيض عيد اوزيروس وايزيس ورع، منذ أيام الفراعنة، عيد اخراج الحي من الميت، عيد قيامة المسيح من قبره، العقيدة الأساسية في المسيحية.

وتكون المدينة قد قامت بصنع حلاوة الموسم - من سكرية وجوزية وقرعية وجزرية -

---

(٣٤) محمود العابدي، من تاريخنا، المجموعة الرابعة، ص ١١٥.

يشتريها الناس تحلية لأفراد الاسرة ولجبر خواطر العواقب وصلة الأرحام. كل يرسل إلى ذات رحمه مقداراً منها فتفخر بها أمام أهل زوجها ويفرح أطفالها بهدية جدهم أو خالهم. . انها عادات كانت تراعى بدقة تامة - ويذكرها الناس حتى يدور الحول.

وفي القرى هناك ما يسمى بشهر الخميس - تطبخ القروية الحليب بالأرز (البحتة) أو بالنشاء (الهيطلية) وتعمل الكعك والمسفن (فطير بالزيت يحلى بالسكر أو الدبس أو العسل) لتأخذه يوم الخميس إلى التربة وتوزعه عن أرواح الموتى، وتبقى الخميسية مدة شهر كامل - ومن أعيب العيوب على قروي أمام مواطنيه أن لا يقوم بتأدية هذا الواجب.

لكن اليوم الأكبر كان يوم زفة بيرق النبي موسى - في ذلك اليوم يتقاطر رجال القرى إلى المدينة ليشاركوا في الزفة - فيه يخرج رجال الطرق الصوفية اعلامهم من زواياهم ويزفونها في الشوارع مبتدئين من حارة الغرب ومنتهين بحارة الشرق (في نابلس) وهم يضربون العدة من طبول ومزاهر ويذكرون الله كثيراً. وفي المساء يودعونها دار البلدية.

وفي صباح اليوم التالي يخرجون بها إلى القدس راكبين الجياد - التي ابدلت بعد الحرب الأولى بالسيارات التي تستأجرها البلدية لهذه الغاية - يرافق الاعلام عدد من شبان المدينة باشراف عدد من مشايخ الشبان اعرف منهم صدقي شبارو وسبع العقاد وأسعد بلعوط وحامد الشخشير وحسن الشنتير (رحمهم الله جميعاً) كما يرافقهم قوال كان آخر من عرفته بائع السوس الحاج محمد الخراز المشهور بأقواله التي تحمس الشبان. فاذا تجاوز الموكب قرية شعفاط خرج لاستقباله شبان القدس بأعلامهم وعددهم - وبعد تبادل التحيات يسير الموكب الموحد إلى الحرم الشريف. . وبعد يومين تخرج أعلام القدس وأعلام نابلس إلى قرب المحطة في جنوب القدس حتى يستقبلوا مواكب الخليل. فإذا وصلوا وتبادلوا التحيات والتمنيات تقدموا نحو الحرم بهذا الموكب الضخم.] انتهى كلام محمود العابدي[٣٥].

وكان يجري لكل من علم نابلس، وعلم الخليل احتفال خاص لدى مغادرته كلا من المدينتين، كما كان يجري استقبال خاص لكليهما في القدس. وكانت الصحف الفلسطينية تأتي على ذكر الاحتفالات جميعها بالتفصيل. ونورد فيما يلي مقتطفات قصيرة منها:

وصفت صحيفة الدفاع في عددها المؤرخ في يوم الخميس ١٨ نيسان ١٩٣٥، الاحتفال بتوديع علم نابلس يوم الأربعاء فقالت:

---

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١١٥ و١٦٦.

[ما كادت تقترب الساعة ١٢ حتى أخذت الجماهير تهرع الى ساحة البلدية للاحتفال بزفاف علم النبي موسى. وبعد أن اكتمل الجمع الزاخر تسلم الشباب العلم من سعادة رئيس البلدية كالعادة وساروا بزفة كبرى ينشدون الأناشيد الوطنية والأهازيج العربية على الترتيب الآتي:

حملة العلم وشبابه، حملة السيوف، المنشدون. مشايخ الطرق الدينية، تلاميذ المدارس الوطنية، وسار الجميع على هذا النظام من البلدية إلى شارع السرايا ومنها الى الشارع الشرقي ودام المهرجان على هذا المنوال حتى النادي الرياضي وهناك استقبل أعضاء النادي الرياضي الشباب بالهتافات والأناشيد وبعد أن استراحوا قليلا. وتناولوا المرطبات وضعوا العلم في النادي المذكور على أن يستلمه الشباب غداً في الصباح الباكر ليسافروا به إلى القدس.]

وفي عدد اليوم التالي الجمعة (١٩ نيسان ١٩٣٥) وصفت الدفاع استقبال علم نابلس في القدس في يوم الخميس في ١٨ نيسان:

[- وصل في منتصف الساعة الحادية عشر علم شباب نابلس وكان في استقباله سعادة أمين بك التميمي وفضيلة الشيخ سعيد افندي الخطيب وغيرهما من موظفي الأوقاف والمجلس الاسلامي وفريق من شباب القدس مع موسيقى دار الأيتام الاسلامية التي كانت تصدح أمامه بالأناشيد الوطنية، وظل الموكب سائراً حتى الحرم الشريف. وهناك كان في استقباله سماحة الحاج أمين أفندي الحسيني والاستاذ جمال الحسيني، وبعد أن جرت المراسم المعتادة انتهى المهرجان].

ووصفت صحيفة الجامعة العربية في ٩ نيسان سنة ١٩٢٨، استقبال موكب أهالي نابلس فقالت:

[في يوم الخميس الماضي الموافق ٥ الجاري قدم موكب أهالي نابلس للاشتراك في الاحتفال، فلما وصلوا إلى ضاحية المدينة خرج لملاقاتهم شبان القدس بعلمهم واستقبلوهم أحسن استقبال. وقد كانت جماهير النابلسيين تهتف أمام دار الحكومة في باب العمود بسقوط المبشرين والمؤتمر التبشيري[٣٦] ولما وصلوا إلى المجلس الاسلامي الأعلى بباب الحرم الشريف خرج اليهم عطوفة

---

(٣٦) اضيف سبب ديني الى أسباب التذمر والقلق السياسية والاقتصادية التي كانت تسود فلسطين من جراء محاباة حكومة الانتداب للصهيونية عندما عقد المجلس الدولي للارساليات التبشيرية أول مؤتمر له في النصف الأول من شهر نيسان ١٩٢٨. وقد انهالت الاحتجاجات من مختلف المناطق والهيئات ضد هذا المؤتمر التبشيري معبرة عن الخوف من اعتناق المسلمين للمسيحية على نطاق واسع. وأطلق البوليس النار على جمهور غاضب في غزة فجرح ثلاثة أشخاص وقطعت جميع الاتصالات التلفونية والتلغرافية بغزة لتلافي وقوع ملابسات للحادث في القدس وغيرها أثناء مهرجانات موسم النبي موسى (انظر عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

كاظم بابا وسماحة رئيس المجلس الاسلامي فحيوهما وكرروا الهتاف بسقوط المبشرين والمؤتمر التبشيري].

وفي العـدد ذاته وصفت صحيفة الجامعة العربية مراسيم وداع علم مدينة الخليل وقضائها يوم الأحد في ٩ نيسان ١٩٢٨م، فقالت :

[ان العلم بعد أن أخرج من الحرم الابراهيمي الشريف الى فسحة الميدان كان أهالي الخليل قد تجمعوا على اختلاف طبقاتهم واصطف الجنود حول العلم ثم بدأ الموكب بالسير بالأناشيد الحماسية، ثم حضر شبان النادي الرياضي الأدبي وساروا مع العلم بالأناشيد الوطنية، ولما وصلوا إلى المحل المعتاد فيه وداع العلم حلوا في سرادق نصبه هناك رئيس الجمعية صاحب الفضيلة الشيخ طالب أفندي مرقة، وبعد أن تناولوا المرطبات وقف الكل في باب السرادق حيث تليت الخطب ونودي بسقوط المؤتمر التبشيري، .

وقد كان بين المجتمعين سعادة القائمقام وفضيلة القاضي الشرعي وحاكم صلح الخليل مع كثيرين من الموظفين، وقبل أن يسير العلم ودعه فضيلة القاضي بدعاء حار، ثم أخذ الموكب طريقه نحو القدس، وكانت الحكومة قد عينت لمحافظة العلم حضرة ضابط البوليس فريد افندي عبد الهادي وستة من الجنود].

ومن التقاليد الجميلة التي يحسن ذكرها في المقام أن أحد أعيان بيت لحم المسيحيين كان يستضيف موكب الخليل لدى مروره ببيت لحم ثم يتابع الموكب سفره في صباح اليوم التالي إلى القدس. [٣٧]

وعن استقبال علم الخليل في القدس قالت الدفاع يوم الاثنين ٢٢ نيسان ١٩٣٥ :

[استقبال فخم لعلم مدينة الخليل

اشتركت الوف من الجماهير في استقبال علم الخليل قبل قدومه الى مدينة القدس وحوالي الساعة التاسعة من صباح اليوم كانت طريق الخليل تعج بالألوف المحيطة باعلام نابلس والقدس وفرق الكشافة التي كانت تسير بنظام وتنشد الأناشيد الوطنية، كما وكانت موسيقى دار الأيتام الاسلامية تتقدم الجميع

---

(٣٧) يسرى جوهرية عرنيطة، الفنون الشعبية في فلسطين ص ١٦٧، (عمان ١٩٨٨)

الوفود تسافر الى النبي موسى

وظلت هذه الألوف تزحف زحفاً بطيئاً، حتى التقت بوفود القدس ثم اتجهت إلى المدينة القديمة فالحرم الشريف فوصلت إليه حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر وهناك طويت الأعلام وتفرقت الجماهير. وفي صباح الغد تغادر الوفود باعلامها المدينة إلى مقام سيدنا موسى حيث تبقى إلى صباح الخميس وتعود.

كثرة الفرسان والمشاة هذه السنة

وكانت قوى البوليس في هذه السنة اكثر من أية سنة سابقة اذ كان الفرسان والمشاة يتخللون الموكب كما كانت فرقة من الجند البريطاني لابسي الخوذات الفولاذية على أتم الاستعداد فوق السور. وقد شاهدنا فخامة المندوب السامي وسعادة حاكم لواء القدس وسعادة روحي بك عبد الهادي والمستر سبايسر وغيرهم من كبار الموظفين يتفرجون على سير الموكب من أعلى السور.]

وأقول بهذه المناسبة إنني وجدت في أوراقي القديمة وصفاً كنت قد كتبته قبل سنوات يتضمن ذكريات شخصية حول اشتراكي مع الجماهير الغفيرة في استقبال علم الخليل في القدس سنة ١٩٣٨م، وقد جاء فيه ما يلي:

«أول ذكرياتي عن موسم النبي موسى تعود الى سنة ١٩٣٨م، حينما ذهبت وأنا صبيّ مع والدتي رحمها الله ولفيف من القريبات لمشاهدة طرف من احتفالات الموسم. أذكر أننا جلسنا وقتئذ وسط جماهير لا تحصى على سفح جبل صهيون أو جبل النبي داود المطل على بركة السلطان وعلى الطريق القادم من الخليل وبيت لحم، وعلى مسافة قصيرة من كلية صهيون أو «كلية الأسقف غوبات» التي أنشأها المرسلون البروتستانت في القدس في القرن الماضي. كان سفح الجبل كله، حتى مسافة قريبة من باب الخليل قد امتلأ بجماهير القدس والقرى والمدن الفلسطينية المختلفة التي توافدت لتشاهد الموكب القادم من خليل الرحمن والذي يحمل بيرق الخليل للمشاركة في احتفالات النبي موسى. كان الموكب قد ملأ الطريق الى باب الخليل بآلافه المؤلفة حتى لم يبق في الطريق موطىء لقدم، وقد انعقدت فيه حلقات الرقص وتعالت منه الهتافات والأناشيد الشعبية والوطنية تشق عنان السماء. وكان الهتافون يعتلون أكف المشاركين في الموكب، ويطلقون الاصوات بأعلى قوتها. وكانت تشاركهم النساء والجموع الجالسة على سفح الجبل بالزغاريد والتهاليل. وأذكر أنه كان على رأس الموكب يومها السيد جميل الحسيني راكباً حصاناً أبيض ـ نيابة عن الحاج أمين الحسيني الذي كان قد غادر البلاد. وكانت تشارك في الموكب فرقة الموسيقى النحاسية التابعة لدار الأيتام

الاسـلامية فتشنّف الآذان بالألحان الشجية. وكان الموكب يسير وئيداً، فاستغرق مسيره ساعات إلى أن وصل إلى باب الخليل، واتجه من هناك إلى الحرم الشريف.

لقد انطبع هذا اليوم في ذاكرتي بما فيه من أحداث وأصوات وألوان ورايات، وأزياء وملابس وملامح لآلاف الفلاّحين وأبناء المدن، الذين كانت تسودهم الحماسة والبهجة، وتتألق في وجوههم فرحة عيد النبي موسى. يومها شاهدت لأول مرة عياناً ما كنت أسمعه من حديث الكبار عن موسم النبي موسى وروعته..»

ووصفت الصحف الاحتفالات الكبيرة التي كانت تقام لتوديع علم النبي موسى من القـدس الى المقام. وفي سنة ١٩٢٩، مثّل شبان الرملة وشبان يافا بالاضافة الى نابلس والخليل في الاحتفالات لأول مرة. قالت صحيفة الجامعة العربية في يوم الاثنين ٦ مايس (أيار) ١٩٢٩، تصف احتفالات موسم ذلك العام ما يلي :

[في صباح يوم الجمعة قدم موكب كبير معظم قوامه شبان مدينة الرملة وأعضاء جمعية الشبان المسلمين فيها وشبان يافا. ومما هو جدير بالذكر أن هذه هي أول مرة يشترك فيها موكب من الرملة ويافا في الاحتفال بصورة رسمية، وقد كانوا ينشدون الأناشيد الحماسية وسار الموكب من المحطة ماراً بباب الخليل حتى ساحة الحرم الشريف.

وبعـد صلاة يوم الجمعـة بدأ الاحتفـال العظيم من ساحة الحرم الشريف حيث سارت الجماهير الغفيرة بالألوف يتقدم الموكب رجال الزوايا وأعلامهم، فموكب شبان نابلس فالرملة فيافا فشبان القدس فشبان القرى فتلامذة كلية روضة المعارف وكشافتها فتلامذة دار الأيتام الاسلامية ومـوسيقـاهـا تعزف الألحان البديعة فعلم النبي موسى. وكان رجال البوليس الفرسان يحيطون بالموكب ويتخللونه لحفظ النظام.

وكان الحماس بالغاً أشده والأناشيد الوطنية القومية أثارت الحماس في الجمهور ومما استلفت الأنظار أن جمعية الشبان المسلمين في سلوان كانت تنشد النشيد العام لجمعيات الشبان المسلمين في مصر الذي وضعه الاستاذ مصطفى صادق الرافعي.

وسار الموكب في طريقه المعتاد من ساحة الحرم الشريف فمحلة الواد فأمام هوسبيس النمسا فكلية روضة المعارف فباب حطة فباب الاسباط وراس العمود. وكانت المشارف والنوافذ والربا على طول الطريق مغطاة بألوف الخلق من وطنيين وأجانب. ولما وصل الموكب الى رأس العمود استقبله المستر لوك والمستر كيث روش (حاكم المدينة) ورئيس بلدية القدس وأعيان المدينة. وبعد تلاوة الدعاء وشرب المرطبات ركب الزوار السيارات الى مقام النبي موسى عليه السلام.

وفي يوم الأحد الموافق ١٩ ذي القعدة (٢٩ نيسان) قدم موكب الخليل بالمراسيم المعتادة والأناشيد والأهازيج . .]

ووصفت جريدة الدفاع في ٢١ نيسان ١٩٣٥، الاحتفال بتشييع علم النبي موسى في ذلك العام فقالت:

القدس في ٢٠ نيسان ـ لمراسل الدفاع الخاص ـ احتفل نهار أمس الجمعة بزفة وتشييع علم النبي موسى وبقية الاعلام الدينية الى مقام النبي موسى احتفالا شائقاً اشتركت فيه جماهير كثيرة مع فرق الكشافة التي أمت القدس من سائر جهات فلسطين، وقد سارت هذه الجماهير بانتظام بديع تنشد الأناشيد الوطنية والأهازيج الشعبية وكانت موسيقى دار الأيتام الاسلامية تعزف بالموكب بين آونة واخرى وقد دام هذا الاحتفال من منتصف الساعة الواحدة حتى الساعة الخامسة. وعند خروج الموكب من باب الاسباط اطلقت المدافع تحية لعلم سيدنا موسى وبقية الاعلام. وكان سماحة الحاج أمين افندي الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الأعلى يتصدر الموكب، وظل الموكب سائراً بانتظام بديع الى أن وصل الى الصيوان المنصوب بالموقع المعروف بـ «رأس العامود» حيث كان في انتظار الاعلام سماحة المفتي وسعادة رئيس البلدية وسعادة نصوحي بك بيضون وغيرهما من كبار الموظفين.

وبعد أن أديرت المرطبات نزل سماحته ومن معه عن الخيول التي كانوا يركبونها وبعد أن تلا فضيلة الشيخ سعد الدين افندي الخطيب دعاء حاراً آمن عليه المجتمعون طويت اعلام سيدنا موسى وسيدنا داود وركبت الجماهير السيارات يتقدمهم سماحة المفتي وتوجهوا إلى مقام سيدنا موسى. وبقي سعادة رئيس البلدية في الصيوان يستقبل المهنئين إلى ساعة متأخرة ثم تفرقت الجماهير ولم يحدث ما يعكر صفو الأمن العام.

أما البوليس فقد كان أفراده وضباطه منتشرين على طول الطريق كما كانت قوة من فرسان البوليس تحيط بسماحة المفتي افندي وبالاعلام أيضاً أعاد الله هذه المواسم وهذه الأعياد على الأمة العربية وهي موحدة الكلمة متمتعة باستقلالها التام انه على ما يشاء قدير].

وبعد ذلك بيومين أوردت «الدفاع» (الثلاثاء في ٢٣ نيسان) خبر الاحتفال بتشييع أعلام الخليل ونابلس والقدس الى النبي موسى، وهو الاحتفال الذي يجرى يوم الاثنين، قالت:

[احتفل اليوم بتشييع علم سيدنا الخليل وعلم شباب نابلس وعلم شباب القدس الى مقام سيدنا موسى ابتداءاً من الحرم الشريف فباب الاسباط وقد اشتركت جماهير كثيرة في هذا الاحتفال، وعلى هذا يكون هذا اليوم آخر ايام احتفالات تشييع الاعلام الى أن يأتي يوم الخميس القادم فتجري

الاحتفالات لاستقبالها عند عودتها .ويوم الجمعة بعد صلاة الظهر يودع الجميع علم سيدنا الخليل.]

ووصفت «الدفاع» ختام موسم النبي موسى في تلك السنة فقالت في عددها الصادر في ٢٦ نيسان ١٩٣٥ ما يلي :

[بكر أهالي القدس والذين وصلوا من الخارج لاستقبال علم سيدنا موسى وبقية الاعلام في رأس العامود وما كادت الساعة تقرب من التاسعة حتى كانت الطريق المؤدية إلى باب الأسباط فرأس العامود مكتظة بالأهالي نساء ورجالا . كانت قوى البوليس الراكب والمشاة منتشرة على طول الطريق وفي منتصف الساعة التاسعة ظهرت طلائع الموكب واطلق أول مدفع ايذاناً بوصوله إلى رأس العامود، ونحو الساعة التاسعة وصل سماحة رئيس المجلس الاسلامي الأعلى والمواكب والاعلام وفرق الكشافة وموسيقى دار الأيتام الاسلامية وموسيقى الكشافة الاسلامية في حيفا وأعلام شباب القدس والخليل ونابلس، وكان في انتظار الموكب سعادة رئيس البلدية وسعادة نصوحي بك بيضون وأعضاء المجلس البلدي وغيرهم وبعد شرب المرطبات سار الموكب بنظام بين عزف الموسيقى وإلقاء الأناشيد الوطنية والأهازيج العربية إلى باب الاسباط فهوسبيس النمسا ومن هناك ذهبت الجماهير إلى الحرم الشريف أما سماحة المفتي وحملة اعلام سيدنا موسى وسيدنا داوود وغيرها من الاعلام فقد ساروا إلى الدار المعروفة بدار المفتي حيث طويت الاعلام.

وغداً بعد صلاة الجمعة تودع الجماهير علم سيدنا الخليل حتى قرب المحطة أعاد الله هذه المواسم والأعياد على الأمة الاسلامية وهي نائلة أمانيها انه سميع الدعاء.]

أما صحيفة الجامعة العربية فقد وصفت ختام الاحتفال بالموسم، سنة ١٢٧ بقولها :

[كان يوم الخميس الماضي اليوم المعين لعودة علم النبي موسى عليه السلام إلى القدس. . وكان موكباً جليل الشأن تقدمه الخليليون بعلمهم يتقدمه شبابهم بأهازيجهم الحماسية، وبهتافهم المتواصل للكتلة الوطنية العاملة في البلاد عامة، وللمجلس الاسلامي الأعلى وسماحة رئيسه خاصة. وكان علم نابلس يتبع علم الخليل. . . وكان المقدسيون يتبعون النابلسيين ومن بعدهم مدرسة الأيتام الاسلامية وموسيقاها الغنية ثم حملة الاعلام من آل الدجاني وآل القطب فسماحة رئيس المجلس الاسلامي الأعلى بجلال طلعته وراء علم النبي موسى عليه السلام.[٣٨]]

(٣٨) عن نشرة فلسطين (التي كانت تصدرها الهيئة العربية العليا)، العدد ١٤٦، ربيع الثاني ١٣٩٣/ ١٩٧٣م.

وكانت جماهير نابلس والخليل تستقبل علمي المدينتين لدى عودتهما استقبالا رائعاً وفي جو احتفالي مهيب. ويصف لنا مراسل الدفاع في نابلس استقبال المدينة لوفدها العائد من الموسم سنة ١٩٣٥ «الدفاع ٢٩ نيسان ١٩٣٥» فيقول:

[هرعت الجماهير الغفيرة من أهالي المدينة إلى الجهة الشرقية لاستقبال علم نابلس وفي الساعة الواحدة سافر رتل من السيارات يقل فريقاً من وجهاء المدينة وشبابها لاستقبال العلم على طريق القدس. وفي اللبن استقبل استقبالا فخماً وبعد أن استراح الشباب نصف ساعة أخذت السيارات تسير بانتظام إلى نابلس وفي الجهة الشرقية من المدينة كان جمهور كبير من الأهلين ينتظرون قدومه وما إن وصلت السيارة حتى قوبل بالهتاف وسارت الجماهير بمهرجان كبير على الترتيب الآتي: فرقة كشافة خالد بن الوليد وفرقة كشافة مدرسة النجاح بأعلامها وموسيقاها، مشايخ الطرق الدينية بأعلامهم وأناشيدهم الوطنية، حملة السيوف، الشباب الذين كانوا يحافظون على العلم. طلبة المدارس الوطنية، القرويون بأهازيجهم الحماسية، ودام سير الموكب على هذا الترتيب مخترقاً شوارع المدينة حتى دار البلدية حيث كان هناك سعادة رئيس البلدية والأعضاء. وبوصول العلم ألقى سيادة رئيس البلدية على الجماهير خطبة وطنية بعثت بها اليكم في البريد قوبلت بالتصفيق الحاد والاعجاب وانقضت المهرجانات والجميع يدعو الله أن يعيده على العرب وهم في حرية.]

ومما هو جدير بالذكر أن إقامة الصيوان أو السرادق في رأس العمود لتشييع علم النبي موسى عند نزوله إلى المقام قد توقفت بعد خروج الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين من البلاد في تشرين الأول سنة ١٩٣٧. ويشير الى ذلك مقال كتبه عبدالله مخلص عن موسم النبي موسى في مجلة هنا القدس (عدد ١٩٤٢/٣/٢٩، ص ١٠) إذ يقول: (أما في السنوات الأخيرة وللحالات الطارئة فان مراسم التشييع قد اقتصر فيها على خروج الركب من باب الاسباط ثم السير مباشرة إلى المقام إذ لا تنصب الخيام في المكان المعهود).

وفي هذا الكلام ايماء إلى جو التوتر والغليان السياسي الذي كان يسود فلسطين في تلك الأيام وكان يكسب احتفالات النبي موسى طابعاً سياسياً يتسم بحدة العداء لحكومة الانتداب وحليفتها الصهيونية. وفي المقتطفات الصحفية التي أوردناها كثير من الإشارات التي توضح أن الفلسطينيين كانوا يشعرون بالتهديد لكيانهم وكان ذلك ينعكس في مختلف المناسبات القومية، وخاصة في أيام الاحتفالات بموسم النبي موسى، وتجلى ذلك في الهتافات التي كانت تتردد بحياة الحاج أمين الحسيني مفتي البلاد، وزعيم الحركة الوطنية الفلسطينية زمن الانتداب، وقد أشرنا من قبل إلى الاستفزازات التي حدثت في الموسم سنة ١٩٢٠م وأسفرت عن أحداث دامية. ورغم كل الاجراءات التي اتخذتها السلطات المنتدبة

تصاعد انعكاس غضبة الجماهير ضد سياسة الدولة المنتدبة في موسم النبي موسى عاماً بعد عام. ويزودنا الدكتور صبحي غوشة في وصفه الممتع لموسم النبي موسى في كتابه «شمسنا لن تغيب»، والـذي أثبتنـاه في ملحق كتابنا هذا، بمقاطع من الأناشيد الوطنية المعادية للاستعمار التي كانت تتردد في الموسم - ويقول «أثناء وجود الحاج أمين في مقام النبي موسى كانت تعقد الاجتماعات والندوات السياسية». [٣٩].

كان موسم سنة ١٩٤٧م، آخر المواسم التي شهدتها فلسطين، ففي السنة التالية ١٩٤٨م، وقعت الكارثة وضاعت معظم البلاد الفلسطينية.

ولا يُفهم من هذه أن زيارة النبي موسى لأداء الشعائر الدينية أو الابتهال أو الوفاء بنذور أو ختان الصبيان قد توقفت تماماً منذ ذلك الحين، ولكن الذي توقف هو الموسم الكبير الذي وصفناه في الصفحات السابقة.

ومما يذكر أن دائرة الأوقاف الاسلامية في القدس والمؤسسات التابعة لها أحيت موسم النبي موسى في موقع المقام يوم الجمعة في ١٧ نيسان ١٩٨٧، وشارك عدد من المواطنين في الاحتفال وأداء صلاة الجمعة في المقام.

وإننا لنرى بعين الغيب بل نحن على يقين من أن الاحتفالات بموسم النبي موسى ستعود بكامل حيويتها إلى الحياة يوم تتحرر البلاد من ربقة الاحتلال وتعود إلى أهلها ويعود أهلها إليها.



(٣٩) د. صبحي سعد الدين غوشة، شمسنا لن تغيب، الجزء الأول، أنغام الحياة، الكويت ١٩٨٨م، ص ٥٥.

كلمــة ختاميـــة

آمل أن تكون الصفحات السابقة قد بيّنت الدور الهام الذي لعبه موسم النبي موسى في جوانب متعــددة من نشاطات الشعب الفلسطيني طوال فترة تقارب سبعة قرون، وأن تكون بذلك قد برّرت تأليف هذا الكتاب عن الموسم والمقام.

وليس لي بعد أن قلت ما قلت، وبعد أن أثبت في نهاية الكتاب ملحقاً بما كتبه الرحالة والمؤرخون عن الموسم والمقام في فترات زمنية متباعدة، إلا أن أوجز أهم النقاط التي وردت في معرض بيان الدور الكبير الذي لعبه الموسم في حياة الشعب الفلسطيني فأقول:

موسم النبي موسى كسائر الأعياد في كل زمان ومكان كان موسم بهجة وترفيه، وقد ترجع أصوله إلى أعياد الربيع التي كانت تقام في بلدان الشرق الأدنى القديم شكراً للقوة الخـالقـة التي وهبت الطبيعة النماء والخصوبة والوفرة، أو استدراراً لعطفها لتمنع القحط وتحمي الناس من الغوائل، ولذلك فهي ذات أصول اقتصادية اتخذت شكلا دينياً. والترفيه ضرورة من ضرورات الحياة الانسانية تقتضيه حاجة النفس إلى الراحة بعد العناء لتستأنف العمل من بعد بقوة متجددة.

ويظهر الترفيه بمظاهر متعددة من المتعة وتشترك فيه تجمعات بشرية تزيد أو تقل، وتكون المشاركة بين الناس أساساً لهذه المتعة التي تظهر بأشكال عدة منها المواكب الاحتفالية المزدانة بالزينات والاعلام والتي تسير فيها طوابير منتظمة أو غير منتظمة من فئات الناس المختلفة. وكان لمواكب النبي موسى وقع كبير في النفس لأنها كانت حافلة بأنواع الفنون والألعـاب، ومثـيرة للحـماسـة بهتافاتها المدوية وموسيقاها الصاخبة وانفجارات العواطف المتدفقة. وفي هذه المواكب نفسها أو في المدن التي كانت تقام فيها: نابلس والخليل، وخاصة القدس، وفي مقام النبي موسى نفسه كانت مظاهر الترفيه متعددة من جملتها أنواع الرقص الشعبي خاصة السحجة والدبكة بأنواعها المختلفة والغناء وأبرزه أغاني الدلعونة، والموسيقى التي كانت تعزفها فرقة دار الأيتام الاسلامية في القدس وفرق المدارس والكشافة، والعدد المختلفـة التـابعـة للمـدن والقـرى والفئات الاجتماعية المختلفة والتي كانت تضم آلات الموسيقى الشرقية كالناي، والأرغل والشبابة والزمارة، والمزهر، والكاس والطبل. كما كان للأهازيج (والشوباش) والأناشيد الشعبية التي ترددها فرق ومجموعات من المدن والقرى دور كبير في احتفالات الموسم. والكل يتنافس لتقديم أحسن ما عنده من الأغاني والأناشيد.

ويقال الشيء نفسه عن القصص والحكايات التي كان يقدمها القوالون والحكواتية في أثناء الموسم.

وبـالطبع كان للألعاب ـ ألعاب الصغار والكبار ـ وأنواع الفروسية دور أساسي. كانت هناك المراجيح ولعبة السيف والترس ولعبة الجريد، كما كانت هناك سباقات الخيل والمصارعة وحمل الأثقال وغيرها. ومن ألعاب التسلية التي كانت تعرض على الناس صندوق العجم (العجب) والكراكوز وتلعيب القردة.

وقد كان في الموسم حافزٍ على تطوير هذه الفنون الشعبية والألعاب وتجديدها. وكان مقدموها يتبارون في إظهار أحسن ما عندهم ليجتذبوا أكبر عدد من الناس، وخاصة حين كان الأمر يتعلق بأجر على الأداء أو هبات. وكان الموسم يوفر الفرص للفنانين للاطلاع على نتاج بعضهم بعضاً في مختلف أنحاء البلاد، فيأخذ بعضهم عن بعض، ويطورون ما عندهم.

وبطبيعة الحال كان للتجارة دور هام في هذا كله، فتجار المدن، نابلس والخليل، وغيرها وخاصة القدس، كانوا يجنون فوائد كبيرة من هذه الآلاف المؤلفة من الناس التي كانت تفد للاستعداد للموسم والاشتراك فيه. وكان التجار يترقبون أيام الموسم ويستعدون لها استعـداداً كبـيراً. وكانت تروج كل أنواع التجارات: الملابس والألعاب، والمأكولات بشكل خاص، يستوي في ذلك أصحاب الدكاكين والباعة المتجولون سواء في الأسواق أو في منطقة الحرم الشريف، أو في منطقة مقام النبي موسى بشكل خاص.

وفي منطقة المقام كان الباعة يبسّطون أو يتجولون وهم ينادون على بضائعهم، سواء كانت من أنـواع الـطعام أم غير ذلك. كذلك كان باعة اللحوم المشوية المختلفة والكبة والكبـاب والفـلافـل. . وباعة الأشربة والخروب والليمون والعرقسوس والعصير، وباعة الحلويات: حلاوة النبي موسى وغزل البنات والكعك والملبس والهريسة والحلاوة السمسمية وحلاوة جوز الهند. وباعة المملحات: الفستق والترمس والفول والبزر. ومثل باعة الطعام كان تجار الخردوات ينتظرون الموسم بفارغ الصبر فيقيمون الأكشاك الصغيرة لبيع المناديل والأحزمة والقماش والأواني الزجاجية والأساور والخواتم والسلاسل والمسابح وأباريق الفخّار والحجـابـات والتبـغ والشموع. وكان أصحاب المقاهي يشاركون في الاحتفالات باقامة عشرات المقاهي الصغيرة التي كانت تعمل حتى ساعات متأخرة من الليل. وهكذا كان المـوسم فرصـة جيدة لتشجيع التجارة الداخلية التي تدر الكسب الوفير للتجار من جميع الأنواع في المدن وفي منطقة المقام. وليست هناك أية احصاءات بالطبع عن التجارة، ولكن الغلّة كانت وفيرة ببركة النبي.

ولا يجوز بالطبع أن ننسى الاحتفالات الدينية التي كانت تعطي الموسم طابعاً خاصاً

وتظهر فيها آيات الشكر لله على ما أنعم والتمجيد لخاتم النبيين ولكليم الله. مجالس قراءة القرآن الكريم كانت كثيرة، وكذلك قراءة البخاري، والصلاة الجماعية التي يشارك فيها المحتفلون وحلقات الذكر والموالد وتقديم الأضاحي ووفاء النذور. وكان الموسم المكان المفضل لختان الصبيان الذي تقام له الاحتفالات ذات الرسوم والطقوس الخاصة.

ولعب الموسم على الصعيد الاجتماعي دوره في تدعيم الصلات بين الناس والتعارف بين مختلف الفئات في المدن والقرى، وكان مناسبة لقيام علاقات شتى بين المشتركين فيه، ونقل العادات والأفكار والفنون الشعبية، مما كان يفضي إلى صقل الشخصية الاجتماعية للشعب الفلسطيني وتنمية روح الجماعة وتداول الرأي في المسائل التي تهم الرأي العام، وهكذا كان يعقد الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الاجتماعات السياسية في الموسم لتدارس أفضل السبل لمواجهة الخطط الصهيونية والبريطانية..

وقد كان الموسم بحق عاملاً مهماً في بلورة الشعور القومي وبلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية. وكانت احتفالاته المختلفة واجتماعاته الحاشدة تلهب الحماسة وتشد العزائم وتمتّن روح النضال ضد الغزاة والمحتلين. وفي هذا الشأن قال خليل السكاكيني يصف الموسم والجماهير الملتهبة حماسة له:

«في نفوسهم عاطفة قوية لا يستطيعون أن يمثلوها الا بمواكب واعلام وسيوف وأهازيج، في صدورهم آمال بعيدة يتطلعون إلى تحقيقها ويعبدون من يعمل على تحقيقها، لا تحيا الأمم إلا اذا كانت في نفوسهم عاطفة قوية، ولا تطرب للحياة الا اذا كان في صدورها آمال بعيدة.

ولو لم يكن لفلسطين هذا الموسم «موسم النبي موسى» لكانت جديرة أن تخلقه، فهي في حاجة إليه اليوم كما كانت في حاجةٍ اليه قبله.»[٤٠]

وهكذا كان الموسم مناسبة احتفالية متعددة الفوائد ورائعة من كل الوجوه. واذا كان الموسم قد توقف منذ نيف وأربعين عاماً فاننا واثقون من أنه سيبقى العيد الشعبي الكبير من أعياد الشعب الفلسطيني. ولسوف يعود الموسم، سيعود بصورة أبهى مما كان عليه ليعبر عن روح الشعب المتعطش للحرية والحياة، الشعب الذي كانت فلسطين له وستبقى له على مدى الأزمان.

---

(٤٠) صحيفة الشورى ـ القاهرة، ٧ مايو (أيار) ١٩٢٦ نقلا عن: يوسف أيوب حداد، خليل السكاكيني حياته مواقفه، آثاره، ص ١٥٩.

صور لاحتفالات النبي موسى في القدس

(مرتبة حسب المراحل الزمنية)



استلام علم النبي موسى من الدار الكبيرة (دار الحسيني) سنة ١٩١٩ (عن كتاب «الفنون الشعبية في فلسطين» ليسرى جوهرية عرنيطة ص ١٦٥)

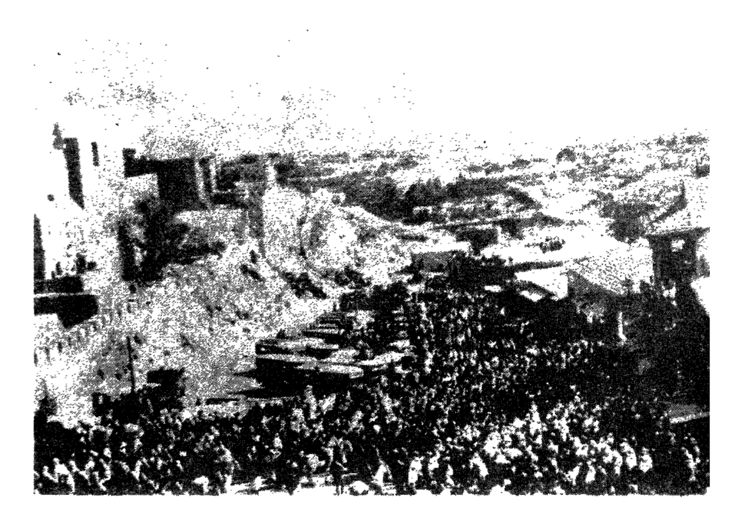


حاكم لواء القدس كيث روش يقدم اعلام النبي موسى الى حملتها بباب السلسلة في شهر نيسان ١٩٤٢ (بعد خروج المفتي الحاج أمين الحسيني من البلاد أخذت الأعلام تحفظ في مبنى المحكمة الشرعية (المدرسة التنكزية سابقاً) بدلاً من دار الحسيني).

يظهـر في وسط الصورة حاكم لواء القدس كيث روش والى يساره القائمقام جمال طوقان. وفي الصف الأول (الثاني من اليمين) عبدالله مخلص مدير الأوقاف العام والى جانبه الشيخ عارف يونس الحسيني شيخ الحرم. وفي آخر الصف الأول إلى اليسار الضابط جميل العسلي ضابط بوليس القدس القديمة.



بيرق الخلايلة يستعد للدخول إلى القدس (شمسنا لن تغيب للدكتور صبحي غوشة ص ٤٢).



بيرق الخليل لدى وصوله إلى القدس سنة ١٩٢٩ (عن الفنون الشعبية في فلسطين ص ١٦٨)

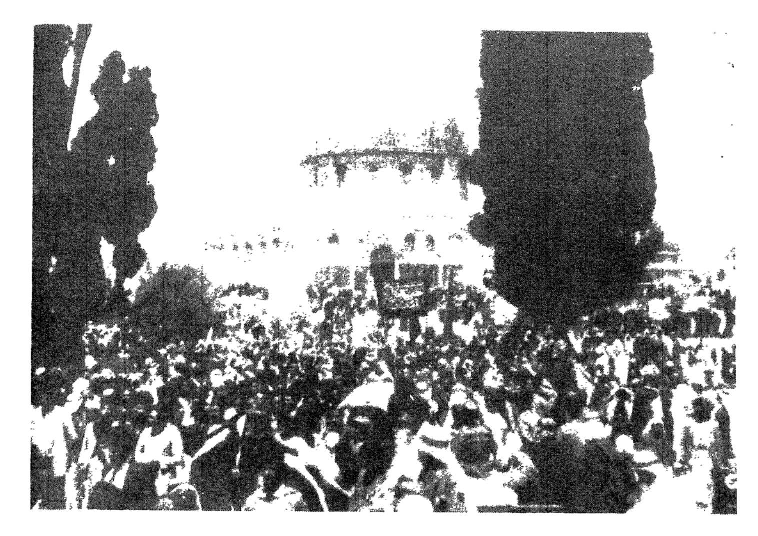


احتفالات النبي موسى قرب باب الخليل (عن كتاب :

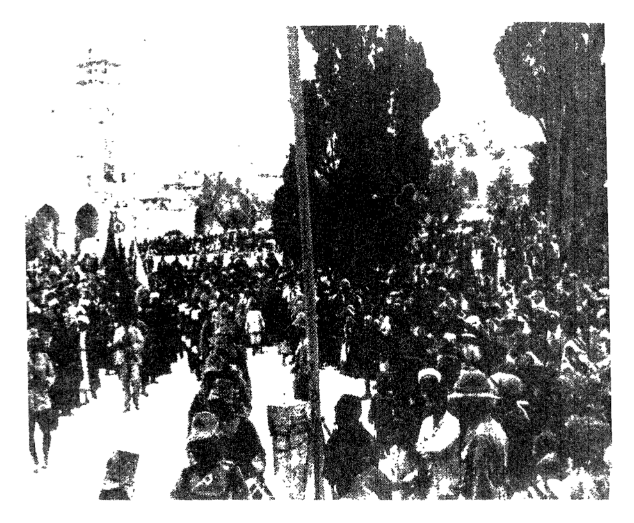
Before Their Diaspora by W. Khalidi, Washington D.C., 1984, no. 207.)



موكب أهل قرية عين كارم في شارع مأمن الله في القدس سنه ١٩٢٩ (الفنون الشعبية في فلسطين، ص ١٧٠).



بيرق النوابلسة في ساحة الحرم الشريف (شمسنا لن تغيب، ص ٤٥).



احتفال النبي موسى داخل الحرم الشريف سنة ١٩٢١ . وتظهر في الصورة فرقة الموسيقى المصرية .

(الفنون الشعبية في فلسطين، ص ١٦٧)



قبل الحرب العالمية الأولى، الجماهير تنتظر موكب النبي موسى خارج باب الأسباط .
ويرى النساء والرجال يحملون الشماسي حتى دعى الموسم باسم عيد الشماسي (عن كتاب :
Palestinians and Their Society by Sarah Graham-Brown, no.11)



نزلة البيرق ـ الموكب خارج باب الأسباط . ويشاهد في وسط الصورة مفتي فلسطين
الحاج أمين الحسيني ممتطياً حصاناً أبيض (Before Their Diaspora, no. 208)



السرادق المقام برأس العامود سنة ١٩٣٣ . وجوه القدس يجلسون على الكراسي
ورئيس البلدية يتسلم علم النبي موسى (Palestinians and their Society, no. 13)



الاف الناس يسيرون في مواكبهم الى المقام وهم يحملون اعلامهم من المدن والقرى
واحياء المدن والهيئات (Palestinians, No. 12)



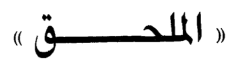
طلعة البيرق من مقام النبي موسى الى القدس (شمسنا لن تغيب، ص ٥٨).



احتفالات النبي صالح سنة ١٩٤٣ (Palestinians no. 15)



موكب طهور (ختان) في احتفالات النبي روبين قرب يافا. الطفل الذي ينتظر الختان يجلس في محمل فوق الجمل (Palestinians, no. 14)



« الملحـــــق »

نصوص

من كتب الرحالة والمؤرخين عن وفاة النبيّ موسى عليه السلام ومكان دفنه، ومقامه وزيارته وموسمه.

- ١ -

عنوان الكتاب : اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى.

مخطوط، مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، نمرة ٣، والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، نمرة ٢١٢.

المؤلف : شمس الدين محمد السيوطي
(٨١٠ - بعد ٨٨٠/ ١٤٠٧ - بعد ١٤٧٥)
(ورقة ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩)

ورقة ١٤٧

روى صاحب كتاب الأنس بسنده إلى قتادة عن حسن قال: مات موسى فلم يدر أحد من بني إسرائيل أين قبره ولا أين توجه فهاج الناس في أمره ولبثوا لذلك ثلاثة أيام لا ينامون الليل فلما كان ثالثة غشيتهم سحابة على قدر محلة بني إسرائيل. وسمعوا منها منادياً يقول بأعلا صوته مات موسى، وأي نفس لا تموت، يكرر القول حتى فهمه الناس كلهم، وعلموا أنه قد مات، ولم يعرف أحد من الخلائق أين قبره. وبسنده إلى محمد بن إسحق يرفعه إلى النبي ﷺ قال: ما طلع أحد على قبر موسى إلا الرَخَمَة[1] فنزع الله عقلها كيلا تدل عليه أحداً. وقال القرطبي في كلامه (على قوله تعالى): (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى)[2] أي بقولهم قتل موسى أخاه هرون فتكلمت الملائكة بموته، ولم تعرف قبره إلا الرَّخَمة ولذلك جعله الله أبكم أصم. وكذلك رواه الحاكم في مستدركه في كتاب تاريخ

(١) الرخم، الواحدة رَخَمة، طائر من فصيلة النسريات ورتبة الجوارح.

(٢) قرآن كريم، سورة الأحزاب، آية ٦٩.

الأنبياء، ثم روى بسنده إلى قتادة قال: قال الحسن مات موسى وهو إبن عشرين ومابة سنة، ومات هرون قبل موسى بثلاث سنين، وهو إبن ثمانية عشر ومابة سنة، وهو أكبر من موسى بسنة، وكذا ذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه أن عمر موسى مابة سنة وعشرون سنة. وقال غيره: مات موسى وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة، ومات في سابع آذار ودفن في الوادي من الأرض التي مات فيها، قال: وهرون ولد قبل قبل موسى بسنة في عام الذبح وذلك أنه وقع في مشيخة بني إسرائيل موت، فقال روس القبط لفرعون: قد وقع الموت في هؤلاء القوم ويوشك أن يفنى الكبار وأنت تذبح الصغار، فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في سنة الترك وموسى بعدها في سنة الذبح ومات هارون قبل موسى بثلاث سنين، فموسى أكبر من هرون. وقول صاحب كتاب الأنس حكاية عن الأنس وهو أكبر من موسى بسنة مراده أسبق منه في الوجود سنة لأنه أسن منه. قال وهب: لما قبض هرون، كان عمر موسى مابة وسبع عشرة سنة وعاش بعده ثلاثين سنة. وأما فايدة سوآله الدنو من الأرض المقدسة رمية بحجر وذكر موضع قبره في الصحيحين أن موسى عليه السلام قال يا رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال رسول الله ﷺ: ولو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر فان قيل: لم لم يسأل موسى عليه السلام نفس الأرض المقدسة ولا مكاناً مخصوصاً معروفاً عند الناس وانما سأل الدنو من الأرض المقدسة رمية بحجر فالجواب عن ذلك بما رواه القرطبي في تفسيره إنما سأل الدنو منها لشرفها ولم يسأل مكاناً مخصوصاً خوفاً من أن يعبد وتكثر الأحداث عنده. ولا ينافي سؤاله الدنو منها القول بأن قبره ببيت المقدس فانه عليه السلام سأل شيئاً أعطاه الله فوقه، وهذا شأن الكريم يعطي فوق المسئول وعمل الناس اليوم من أهل بيت المقدس وغيرهم على القول الثالث المتقدم وهو أنه دفن شرقي بيت المقدس وقبره مقصود بالزيارة في القبة التي تقدم ذكرها والناس يتحملون مشقة الذهاب إليه فيبيتون عنده ومشقة الأياب ويبذلون الأموال في عمل المآكل والمشارب وأجر الدواب يفعل ذلك الرجال والنساء من أهل بيت المقدس، وغيرهم الواردين عليه بقصد الزيارة لا يخلون بذلك حتى الآن.

- ٢ -

عنوان الكتاب : -

الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم .

(مخطوط تشستر بيتي Chester Beaty رقم ٣٤٦١) .

المؤلف : -

محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن جماعة أبو البقاء، نجم الدين المتوفى بعد سنة ١٤٩٦/٩٠١ ، شيخ الصلاحية وخطيب المسجد الأقصى .

الورقة ١١٠ : -

قال الامام أبو حاتم البستي : -

«. . . ان قبر موسى بمدين بين المدينة والبيت المقدس. . . »وقول الشيخ قبره بمدين فيه نظر، وذلك أن موسى عليه السلام سأل ربّه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، ومدين ليست قريبة من بيت المقدس ولا من الأرض المقدسة . وقد أنكر قول البستي الحافظ ضياء الدين المقدسي وقال «قد اشتهر قبره في الأرض المقدسة وهو قريب من أريحا ، فقال ان ذلك القبر الذي اشتهر أنه قبر موسى فان عنده كثيب أحمر وطريق» . فالقبّة المذكورة اشتهر أمرها وصار ذلك الموضع علماً يقصده الزوار والناس من العلما والصلحا . وقد بنى القبّة المذكورة الملك الظاهر سنة ستين وستماية . ونقل بعض الحفاظ عن الشيخ سالم التلّي قال ما رأيت أجابة الدعا أسرع منها عند قبره هذا المذكور. قال العلائي : وحدّث الشيخ عبدالله بن يونس المعروف بالأرموي أنه زار هذا القبر وأنه نام فرأى في منامه قبّة في هذا الموضع ورأى فيها شخصاً أسمر فسلّم عليه وقال أنت موسى أو قال نبيّ الله قال نعم ، فقلت قل لي شيّاً فأومأ اليّ بأربعة أصابع ووصف طولهن قال فانتهت فلم أدر ما قال فجاء اليّ الشيخ (ديال؟) فأخبرته بذلك فقال يولد لك أربعة أولاد فقلت قد تزوجت امرأة فلم أقربها فقال تكون غير هذه قال فتزوجت أخرى فولد لي أربعة أولاد . وهذه الرؤية كانت قبل بناء القبة المذكورة بأكثر من عشرين سنة . وجمع الفِزاري جزءاً وذكر أن قبره بدمشق وذكر أدلة . قال المؤرخون لما قبض الله موسى عليه السلام كان عمره ماية وعشرون سنة . قال وهب بن منبه إنه لما قبض هارون كان لموسى ماية وسبع عشرة سنة وعاش بعده ثلاث سنين . وقد أخبرنا جماعة عن الحافظ أبي سعيد خليل .

ورقة ١١١

ابن كيكلدي العلائي عنه في موضع قبر موسى عليه السلام فقال : ـ

يا طالبـاً نهج الحيـاة مؤمـلا	دركـاً ينـال به الأمـان مكـمـلا
عـرّج على سفـح الـكـثيب وعـجْ به	إن كنـت تبـغـي أن تكـون محصـلا
واغضض هنـاك الطرف منك تخشعـاً	والـزم به الأدب الأتـمّ الأكـمـلا

ـ ٣ ـ

عنوان الكتاب : ـ

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل.

ج١، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣.

المؤلـف : ـ

مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد (٨٦٠ ـ ٩٢٧/١٤٥٥ ـ ١٥٢٠م).

ص ١٠١

ومات موسى ولم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره ولا أين توجه. فهاج الناس في أمره ولبثوا كذلك ثلاثة أيام لا ينامون الليل، فلما كان ثالث ليلة غشيتهم سحابة على قدر بني اسرائيل فسمعوا منها منادياً يقول بأعلى صوته: مات موسى وأي نفس لا تموت. ولم يزل يكرر ذلك القول حتى فهمه الناس كلهم.

ص ١٠٢

وعلمـوا أنه قد مات فلم يعرف احد من بني اسرائيل أين قبره. ونقل انه دفن في الوادي من الأرض التي مات فيها.

واختلف النـاس في محل قبره فقيل ـ وهو المشهور عند الناس ـ : انه شرقي بيت المقدس بينه وبين بيت المقدس مرحلة ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة وفيها ضريحه وبوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير أسود وعلى الستر طراز احمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب. والاكثرون على أن هذا قبره. وفي الصحيح أن النبي ﷺ مر به ليلة الاسراء وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر.

والذي بنى القبة المذكورة الملك الظاهر بيبرس رحمه الله عند عوده من الحج وزيارته بيت المقدس في سنة ثمان وستين وستمائة. ثم بنى بعده أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر ثم في سنة خمس وسبعين وثمانمائة وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته إلى سنة خمس وثمانين وثمانمائة. ثم بنى به منارة بعد الثمانين والثمانمائة وهذا المكان بالقرب من أريحا الغور من أعمال بيت المقدس وأهل بيت المقدس يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء ويقيمون عنده سبعة أيام.

وقد ظهر في هذا المكان أشياء من أنواع المعجزات منها: أنه عند الضريح الذي بداخله القبة لا يزال يرى فوق المحراب خيال أشباح ألوانهم مختلفة منهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لابس أبيض ومنهم لابس اخضر ويصافح بعضهم بعضاً وغير ذلك من الصفات. وللناس في ذلك أقوال مختلفة فيقال انهم ملائكة. ويقال: انهم الصالحون. وينظرهم كل الناس من الرجال والنساء والأطفال ولا يخفون على أحد.

واذا دخل المسجد امرأة من النساء يكون عليها حيض أو جنابة أو فعل احد حول المسجد منكراً من المعاصي يثور هواء في تلك البرية حتى لا يقدر الرجل على رؤية من بجانبه وتنقطع حبال الخيام وتقلع الخيام من مكانها. وغير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على أنه ﷺ مدفون هناك في هذا المكان.

﴿فائدة﴾

فان قيل: لم سأل موسى عليه السلام الدنو من الأرض المقدسة ولم يسأل بيت المقدس ولا مكاناً مخصوصاً معروفاً عند الناس؟.

فالجواب عنه: ما رواه القرطبي في تفسيره: بأنها انما سأل الدنو من الأرض المقدسة لشرفها ولم يسأل مكاناً معروفاً: خوفاً من أن يعبد، ولا ينافي سؤاله الدنو من الأرض المقدسة القول بأن قبره ببيت المقدس فانه سأل شيئاً أعطاه الله فوقه وهذا شأن الكريم يعطي فوق المطلوب، وأما صلاته في قبره فلم تكن بحكم التكليف بل بحكم الاكرام والتشريف لأن الأنبياء عليهم السلام حبب اليهم في الدنيا عبادة الله تعالى والصلاة فكانوا يلازمون ذلك وتوافقوا عليه فشرفهم الله تعالى بابقائهم على ما كانوا يصنعون ويحبون فعله في الدنيا فعبادتهم إلهامية كعبادة الملائكة لا تكليف فيها.

- ٤ -

عنوان الكتاب : -

رحلة الشيخ الامام العلامة القدوة الهمام العارف الكبير والمحقق الشهير أبي سالم سيدي عبدالله العياشي، الجزء الثاني، طبع فاس ص٣١٨ - ٣١٩.

المؤلف : -

عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي الفاسي أبو سالم (١٠٣٧ - ١٠٩٠)، (١٦٢٧ - ١٦٧٩) (زار فلسطين ١٠٧٤هـ/١٦٦٢ - ١٦٦٣م).

ص ٣١٨

وأما قبر موسى عليه السلام بينه وبين القدس نحو من نصف مرحلة أو أزيد إلى ناحية المشرق وقد أروني ما يحاذيه من الأمكنة عندما صعدنا إلى الطور وأخبروني أن المسافة بيننا وبينه مخوفة غاية ولا يوصل إليه الاّ في قوّة ومنعة وكنت كثير الاشتياق لمشاهدة ما يقال هنالك من العجائب وان لم يرد أثر صحيح في أن ذلك قبره ولم يشتهر ذلك المكان في العهد القديم ولا في صدر الاسلام وانما بناه وأظهره المتأخرون من الملوك وأكثر ذلك كان في المائة السادسة أو السابعة باشارة أمير الكشف، ومما ذكروا من العجائب هناك أن حول القبر حجراً في حائطه لا يزال ترى فيه صور منها ما يكون كالفارس أو الراجل عليه سلاح أو غير ذلك يشاهده كل من كان في ذلك المكان، وقد أخبروني بكرامة وقعت في بعض الأزمنة القريبة وذلك أن المحل الذي هو فيه ليس فيه عمران، إنّما يأتيه الوفود في وقت معلوم للزيارة وعليه بناء متقن عظيم وعلى المزار أبواب عظيمة مغلقة لا يتمكن أحد من فتحها بحيلة حتى يقدم القيم من القدس فيفتحها ثم إن السّتر الذي على قبره وكانت له قيمة عظيمة وجد مبيعاً في بعض أسواق الشام وعرفه الناس فسألوا عن بائعه فاذا هو أعرابي فقير فأخذ وأتي به إلى والي البلد فبعث إلى المشهد فوجدوا السّتر قد أخذ منه والأبواب على حالها مغلقة فأمر بعقوبة الأعرابي فأقرّ أنه هو الذي سرقه فسأله كيف تمكنت من أخذه مع غلق الأبواب فقال اني أحدثكم في ذلك فانه لما أن حان وقت موسم من مواسم السنة وأنا فقير ذو عيال ولا مال جئت إلى المشهد فناديت: يا نبيّ الله يا كليم الله اني فقير ومضطر وقد أقبل الموسم ولا شيء عندي فاعطني ما أنفق على بناتي أو قريباً من هذا الكلام. قال فمددت يدي على مغلق

ورقة ٣١٩

انفتح حتى وصلت إلى القبر وأخذت السّتر فلما خرجت غلقت الأبواب كما كانت. وظهر لهم أثر صدقه في ذلك فأطلقوه ولم يعاقبوه. واستشرت بعض الاخوان في وجه نتوصّل به إلى زيارة المحل المذكور وإلى مدينة الخليل عليه السلام فانّ الطريق في تلك المدّة قد بترت. ولا يوصل لزيارتها إلاّ مع قوة وقد خشيت أن أحرم زيارة المكانين ونحن في غاية الضيق لا يمكننا تطويل الاقامة خشية فوات الركب لمصر فأشار على المستشار بالوصول إلى قاضي البلد والتعرّف له فانه قد يمكن ذلك على يده. وكان القاضي في ذلك الوقت الشيخ محمد النفاتي التونسي المغربي قدم من اصطنبول متقلدًا لقضاء القدس وكانت له وجاهة عند السلطان والعسكر من لدن عهد أخيه الشيخ أبي الحسن النفاتي رحمه الله فترقّى بجاه أخيه اذ استوطن اصطنبول مدة أعوام وقدم في هذه السنة إلى القدس. وليست له قوّة الحافظة العلمية، إنما هو مجرد ترسيم ووجاهة أكسبته ذلك الاّ أنه ينتمي إلى الصّلاح بسبب أسلافه فيظهر الانخراط في سلكهم فتوصلت إليه وسلمت عليه وأكرمني غاية وهش وبش وأظهر المسرّة بقدومي وقال لأصحابه هيّئوا له منزلا ينزل فيه هو وأصحابه وأجروا له من الضيافة ما يليق به مدّة إقامته، فقلت له إنّا قد نزلنا ببيت في المسجد ولا يمكننا التحوّل منه إيثاراً لقرب المسجد والصلاة فيه فأجرى لنا المحتاج له من خبز ولحم يصلنا كل يوم إلى منزلنا بل أجرى لنا ما يفضل عن كفايتنا فجزاه الله خيراً، فأبنت له مقصدي من إرادة الوصول إلى المقامين فقال لي: أما مشهد الكليم عليه السلام فلا يتيّسر في هذه المدّة مع هذا الضيق الذي أنتم فيه لشدّة الخوف وبعد الشقة ولا عمران هناك ويحتاج إلى ذهاب القيّم من هنا وعليه في الذهاب كلفة، ولا أرى بك تحمّل هذه المشقّة كلّها مع كون المحل ليس موثوقاً به أنه قبر الكليم ولا هو قريب من الوثوق فقبلت عذره في ذلك ورأيت أن النيّة كافية وتوّجهنا إلى المحل بقلوبنا ووجوهنا عندما طلعنا وزرناه من هناك والله يتقبّل.

- ٥ -

عنوان الكتاب : -

الحضرة الأنسيّة في الرحلة القدسية.

مخطوط في مكتبه عارف حكمت في المدينة المنورة. ومنه نسخة على مايكروفيلم في مكتبه الجامعة الأردنية رقمها ٨٢٠.

المؤلــف : ـ

الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (١٠٥٠ ـ ١١٤٣هـ/١٦٤١ ـ ١٧٣١م)، (زار القدس سنة ١١٠١هـ/١٦٨٨ ـ ١٦٨٩م).

ورقــــة ٧٣ : ـ

وهو اليوم الثاني بعد العشرين من هذه الرحلة الى زيارة المحبّين وهو يوم الاثنين المبارك فعزمنا بقدرة الله تعالى وتبارك على زيارة نبيّ الله موسى بن عمران عليه من الله تعالى أوفى الصلاة والسلام على مدا الأزمان فحثثناهم المحبين والاخوان وخرجنا نطوي تلك المسافات بجماعة الماشين وجماعة الركبان وخرج لوداعنا هاتيك الأصحاب والأحباب حتى شيّعونا الى بعيد من خارج ذلك الباب وكان الماضي من طلوع الشمس ما يقرب من ساعتين حتى انتهى وداعنا وحصول أول البين. وقد صحبنا صديقنا الصالح والكامل التقي الفالح الشيخ محمد وأخوه الصالح الشيخ أحمد من ذريّة الششترى المشهور وكل منهما فيما تقدّم مذكور وذهب معنا أيضاً من أهل بيت المقدس قريبنا مفخر الأفاضل الكرام وسليل العلما الأعلام الشيخ محمد بن جماعة والحسيب النسيب والحبيب الذي هو أكمل حبيب السيد خليل وصديقنا مفخر الأعيان وخلاصة ابنا الزمان الحاج أحمد حضر المتقدم ذكرهم والفايح عطرهم وغيرهم أيضاً من أهل بيت المقدس الكرام فسرنا على بركة الله تعالى بالاعزاز والاكرام وذهب معنا طايفة من السباهية راكبين خيولهم العربية ولم نزل في الطريق حتى وصلنا إلى حمى ذلك

ورقة ٧٤

الفريق بعد قطعنا كل فج عميق وكان قد دخل وقت الظهر وفات وكادت أن تدرك المشاق وفــات من شدة الوعر وكثرة الوغر[٣] فأشرفنا من ذلك الشاهق العالي ووجدنا ذلك النور المتلالي وأقبلنا على ذلك الكثيب الأحمر وقد بني حوله بالجص والحجر الأغبر، ثم لم نزل نازلين وفي مسيرنا مسرعين إلى أن وصلنا إلى ذلك الحرم الأمين وكان معنا الخادم من بيت المقدس فسبقنا وفتح ذلك المقام المؤنس فدخلنا من الباب مع الجماعة وبادرنا إلى امتثال أمر الله تعالى بأدآ الفرض والاطاعة ثم بعد الفراغ ساغ لنا الاقبال على الزيارة أكمل مساغ فقمنا وتوجّهنا إلى جهة ذلك المزار العظيم والقبر الذي أشرقت عليه أنوار الكليم، عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأتمّ التسليم فوجدنا باب هاتيك القبة مفتوحاً، وكان صدرنا بدواع القبـول مشروحاً فدخلنا الى قبالة القبر الشريف ووقفنا نقرأ الفاتحة وندعو الله تعالى مع

---

(٣) الوغر : اشتداد الحر.

الجماعة في ذلك المقام المنيف وإذا بالخيالات تلمع في تلك القبة بحيث تتحيّر فيها عيون الأحبة وهناك من الحضور من يشهد أنها خيالات الملايكة تصعد وتنزل من حضرة الملكوت على هاتيك التربة المباركة. وقد ذكر ذلك الشيخ الامام العلامة العمدة الفهامة الشيخ يوسف بن محمود بن أبي اللطف المقدسي في رسالته التي صنّفها في تحقيق ذلك وأن هذه الخيالات التي تظهر في داخل قبّة موسى عليه السلام خيالات الملايكة حيث قال ما ملخصه: أنه وجد الناس من أهل العلم وغيرهم يبحثون في ذلك عن ثلاثة أشيا الأول عن هذا القبر المشهور الذي للسيد موسى عليه السلام في غور أريحا شرقي بيت المقدس على ذلك الكثيب الأحمر وما يظهر في القبّة المبنيّة عليه من داخلها تلك الخيالات الصاعدة والنازلة على صور مختلفة، واذا قلتم إنها أشباح الملايكة فكيف يكون للملايكة أشباح وظلالات وهم أجسام لطيفة نورانية والجسم اللطيف النوراني لا شبح له والثاني ما الحكمة أن الناس يرون هذه الأشباح دون أشخاصها ومن لازم وجود الشبح وجود الشخص والثالث ما وجه المناسبة في ظهورها عند القبر الشريف في هذا المكان دون غيره من ساير قبور الأنبياً والمرسلين من أولي العزم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام وملخص ما اجاب عنه ذلك أنه قال إن الملايكة أجسام لطيفة نورانية بسيطة مقدسة عن ظلمة الشهوة وكدورة الطبع ذوا (ذوو) حياة مستقرّة وعقل ونطق، وقد جعل فيهم قوّة التشكّل في صورة مجسّمة مهيبة، والقرآن والسنّة يدلّان على ذلك، فلا يبعد من أن تكون الملايكة قد تصوّرت في صورة مجسّمة ونزلت على قبره الشريف فصار لها أشباح ترى وكان من لطف الله تعالى بالزايرين أن ترى الأشباح دون صورها اذ لا يلزم من روية الأشباح روية الأشخاص وان كان رؤيتها دون أشخاصها من غير المألوف للانسان بحسب العادة هذا وقدرة الله صالحة أنا نرى الشخص ولا شبح له يرى على الأرض وترى شبحاً دون شخص كما هنا أو لا ترى شخصاً ولا شبحاً مع وجود ذاتٍ حاضرة كما ورد أن جبريل كان ينزل على النبيّ ﷺ في صورة رجل والحاضرون عند النبيّ ﷺ لا يرونه لا شخصاً ولا شبحاً والجن أيضاً يرونا ولا نراهم ولا شخصاً ولا شبحاً وقد نراهم إذا تشكّلوا وقدرة الله صالحة لكل ممكن. وأما ما وجه مناسبة ظهور الأشباح عند تربة الكليم دون غيره من ساير قبور الأنبياً والمرسلين من أولي العزم وغيرهم فقد اشتهر جوابه بين علما بيت المقدس أن قبر النبيّ ﷺ قد اشتهر بالمدينة المنورة وثبت ذلك بالتواتر والسيد ابراهيم الخليل

ورقة ٧٥

عليه الصلاة والسلام ثبت أنه في داخل الغار الشريف المشهور به في حبرون والسيد عيسى

عليه السلام في السما والسيد موسى عليه السلام قد اشتهر أن قبره هنا ولم يثبت ذلك بدليل قطعي فأوجد الله تعالى هذه الكرامة عند قبره يستأنس بها أن قبره الشريف هنا وفيه نظر فانه إن اريد بالخصوصية في هذا المكان كون المدفون فيه موسى عليه السلام وهو من أولي العزم الخمسة كما يدل عليه سياق الكلام ينتقض ذلك بقبر نوح عليه السلام فانه من أولي العزم، وقد اشتهر قبره في كرك نوح بأرض البقاع كما اشتهر قبر موسى عليه السلام علامة ما يستأنس بها سوى الشهرة وهي موجودة للسيد موسى عليه السلام. وان كان الجواب لمطلق النبوّة مع قطع النظر عن أولي العزم فينتقض أيضاً بقبور ساير الأنبيآ عليهم السلام كداود ولوط ويونس ولم يوجد شيء من ذلك عند قبر واحد منهم والجواب القريب أن يقال لا مانع أن يكون وجه الخصوصية في ذلك تحقيقاً لاجابة سؤال موسى عليه السلام عند هذه الأمة حيث دعا الله تعالى عند موته في التيه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر كما ورد ذلك في الحديث الذي ذكره البخاري عن النبيّ ﷺ أن موسى عليه السلام لما حضرته الوفاة سأل ربّه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ودعوة النبيّ لا ترد فظاهر الحديث الشريف أن قبر السيد الكليم بالقرب من الأرض المقدسة فقد أجاب الله دعوته بأبلغ مما طلب وهو من صفات الكرام يجيبون من دعاهم بأكثر مما يدعونهم به وقد حقّق الله تعالى ذلك عند هذه الأمة باظهار أشباح الملايكة ليعلم الناس أن الله تعالى أجاب موسى فيما دعاه به من شوقه إلى الأرض المقدسة وأن يكون مدفوناً فيها. وقد تكون الخصوصية في ذلك بسبب أن موسى لما ظهر للنبيّ ﷺ في ليلة المعراج وأمره أن يراجع ربّه في شأن الصلاة تخفيفاً عن هذه الأمة كما ورد ذلك في حديث المعراج حقّق الله قبره لهذه الأمة باظهار أشباح الملايكة عنده ليتحقّق قبره عندهم فيجازونه على ما فعله بهم من التخفيف عنهم في أمر الصلاة بكثرة الزيارة له والدعا عند قبره واهداء الفاتحة له وأنواع البرّ والخير. . . . وهذا ملخص معنى ما ذكره المصنف رحمه الله في رسالته المذكورة. . .

ورقة ٧٧

ومما يؤيد هذا من الخوارق المشهورة عند قبر موسى عليه السلام أن الزوار إذا قصدوه في كل سنة وخرجوا إلى زيارته ونزلوا عنده في داخل ذلك المكان المبني أو خارجه في خيامهم فاذا صدر من أحدهم شيء من المعاصي المخالفة للشريعة والفواحش وان كانت خفية لم يظهر عليه (عليها) أحد إلّا الله تعالى ثارت ريح شديدة وعجاج كثير بحيث تكاد تضطرب تلك الأرض بأهلها وتكاد تقتلع تلك الخيام ويضطرب الناس اضطراباً شديداً وربّما نزل الأمطار الغزيرة بسبب ذلك، وقد تكرّر هذا مراراً (و)عرفته الناس حتى أخبرني رجلٌ أنه كان مرّة في صحبة بعض العلما الكبار في ذلك المزار سنة من السنين فثارت الريح الشديدة وتحرّك

العجاج الكثير واضطربت تلك الأماكن على العادة المعهودة فعرفوا أن شيئاً وقع ممن هو حاضر هناك من الزوار ففتّشوا على ذلك واذا رجل جاء عندهم من المكاريّة وأخبرهم أنه أكرى امرأة من بيت المقدس إلى السيد موسى مع الزوار دابة له وأنه طمع في إيقاع الفاحشة معها وصدر منهما ما عصا الله به وجاءت المرأة فاعترفت بذلك وتابا إلى الله تعالى وأقلعا عن المعصية. ومعلوم أن ذلك الاقرار بالزنا لا يوجب الحدّ لعدم كونه عند حاكم شرعي وعدم تكراره أربع مرات كما هو مقرر في كتب الفقه ثم ان ذلك الرجل العالم سأل المرأة هل لها مانع من النكاح

ورقة ٧٨

من الموانع الشرعية فلم يكن لها مانع فعقد النكاح بينهما وقرأوا الفاتحة لحضرت موسى عليه السلام ودعوا الله تعالى فما استتموا ذلك حتى انجلت تلك الحالة وسكن ذلك الريح وذلك العجاج الثاير وصار كائن الأمر لم يكن. وهذه أيضاً من الأمور الدالّة على تحقيق أن قبر موسى عليه السلام هناك نظير الأشباح التي تترايى في القبّة وذلك من خصوصيات هذا المكان لا يوجد هذا عند قبر نبيّ غير موسى عليه السلام لأجل ما ذكرناه من المعنى المتقدّم، وكأن الملايكة عليهم السلام هم الذين يثيرون ذلك العجاج والأرياح الشديدة في ذلك المكان كما أنهم يتصوّرون في الصور الجسمانية فتظهر خيالاتهم في تلك القبة وانما يفعلون كل ذلك تصديقاً للنبي ﷺ فيما أخبر به عن موسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل.......

ورقة ٧٩

هذا وقد وجدنا رسالة للعلامة المحدث العمدة الفهّامة الشيخ محمد بن طولون الصالحي رحمه الله تعالى سمّاها «تحفة الحبيب بأخبار الكثيب» يذكر فيها أن قبر السيد موسى عليه السلام في مسجد القدم قبالة الكثيب الأحمر في دمشق الشام خارج باب الله في الطريق الحاج، وقد ذكر فيه بسنده المتّصل إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ مررت بموسى عليه السلام ليلة أسرى بي وهو قائم يصلي في قبره بين عايلة وعويلة وذكر بسنده إلى أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر في تاريخ دمشق في كلامه على مساجد دمشق التي خارج البلد مسجد القدم بقرب عايلة وعويلة قديم جدّده أبو البركات محمد بن الحسن بن حامد وقيل قبر جدّه لأمّه أبي الحسن الواعظ الزاهد وله منارة ووقف ويقال ان قبر موسى عليه السلام فيه، قال الحافظ أبو القاسم في تاريخه المذكور في أول ترجمة موسى عليه السلام روى أن قبره ﷺ بين عايلة وعويلة وهما محلتان كانتا بقرب مسجد القدم ويقال إنه روى في النوم أنه قبره وقيل ان عايلة وعويلة بضمّ العين المهملة قريتان يقال لهما سبينة

وسبينــات وقيل القبّة الطويلة براس القبيبات وأخرى أمامها وذكر باسناده إلى الشيخ أبي الحسن محمد بن جبير الكناني الأندلسي في كتابه الذي سمّاه بكتاب الرحلة وتاريخها سنة ثمان وتسعين وخمسماية في ذكره لمشاهد دمشق فقال: ومن المشاهد مسجد الاقدام وهو على مقدار ميلين من البلد مما يلي القبلة على قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى بلاد الحجاز والساحل وديار مصر وفي هذا المسجد بيت صغير به حجر مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى النبيّ ﷺ في النوم فيقول له ها هنا قبر أخي موسى صلوات الله عليه والكثيب الأحمر على قارعة الطريق بالقرب من هذا الموضع وهو بين عايلة وعويلة كما ورد في الأثر وهما موضعان بالقرب وشأن هذا المسجد في البركة عظيم. ويقال ان النور ما خلا من الموضع الذي يذكر أن فيه القبر حيث الحجر المكتوب وله أوقاف كثيرة، والأقدام من حجارة في الطريق إليه يعلّم عليها، تجد أثر القدم في كل حجر وعدد الأقدام تسع ويقال انها أثر قدم موسى عليه السلام انتهى، وذكر أيضاً بسنده عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه قال بالشام من قبور الأنبيا ألفا قبر وسبعماية قبر وقبر موسى عليه السلام بدمشق فان دمشق معقل للناس في آخر الزمان من الملاحم، وأورد أيضاً بسنده عن كعب الأحبار رضى الله عنه قال قبر موسى عليه السلام بدمشق. قلت قال العلامة أبو اسحق الفزاري الشافعي فقد وجد النقل بأنه في دمشق مطلقاً وهذا المطلق يحتمل التنزيل على ذلك المقيد ولم أجد نقلا عن المتقدمين بتعيين موضع لقبره على الخصوص غير ذلك وأما بيان احتمال ذلك فلا يبعد أنه قد نقل من تاريخ متقدم ولم يثبت تعيين فيما اشتهر في الصدر الأول أن التاريخ المتقدم أقرب إلى الصحة والله أعلم بحقيقة الحال. وكذا نقل هذا الكلام أيضاً الشيخ الامام العلامة برهان الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن ضيا بن سباع الفزاري الشافعي في رسالته التي سمّاها «تبيين الأمر القديم في تعيين قبر الكليم»، وهو الجازم أن قبر موسى ﷺ في دمشق الشام في مسجد القدم. المذكور ثم أورد الأحاديث التي ذكرناها نحن فيما سبق وتكلف وتعسّف في دلالتها على ما أراد. ومن العجايب أنه نقل عن الإمام الجليل محمد بن جرير الطبري في تفسيره وتابعه على هذا النقل أيضاً الشيخ الامام محمد بن طولون الصالحي في رسالته التي تقدم ذكرها حيث قال الطبري في الكلام على قوله عزّ وجلّ فانها محرّمة عليهم أربعين سنة الآية: وافتتح قرية الجبارين موسى وسار بهم إلى أريحا ودخلها وقتل من بها من الجبابرة الذين كانوا فيها وأقام بها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه الله عز وجلّ لا يعلم قبره أحد من الخلايق ورجح ذلك واستدلّ به وجعله الصواب، وقال الثعلبي اختلف العلما على يد من كان الفتح فقال قوم انما فتح أريحا موسى بمن معه من بني اسرائيل وانه دخلها وأقام بها ما شا الله أن يقيم ثم قبضه الله جلا وعلا لا يعلم قبره أحد، وهذا أصح الأقوال انتهى فان موت موسى عليه

السلام في أريحا وان لم يكن قبره معلوماً فانه يكاد أن يكون صريحاً بأنه هو القبر الموجود الآن في غور أريحا المشهور في بيت المقدس . . . . فان الأصل في حق الميت بأرض أنه مدفون فيها ما لم يثبت أنه نقل منها إلى غيرها من الأرض كما صار ليوسف عليه السلام أنه مات في مصر ثم نقل إلى حبرون ودفن عند ابراهيم الخليل ويعقوب واسحق عليهم السلام . والمتبادر الذي يسبق إلى الافهام لا ينبغي أن يشك فيه أحد من الأنام أن قبر موسى عليه السلام هو هذا القبر الذي هو الآن مشهور في غور أريحا كما قدمنا ذكره على التفصيل لا أنه الذي في دمشق الشام . . . .

ورقـــة ٨١

والحاصل أن الحق الذي تطمئنُّ إليه القلوب والله أعلم بالغيوب أن قبر موسى عليه الصلاة والسلام هو هذا القبر المشهور الآن في بيت المقدس في غور أريحا خصوصاً وقد تأيد بنزول الملايكة الكرام وترائي أشباحهم في ذلك المقام . . . .

. . . . وكان معنا رجل صالح من أهل مصر يقال له الشيخ علي بن علي الدّيصطي نسبة إلى ديصط بكسر الدال المهملة وفتح اليا المثناة التحتية وسكون الصاد المهملة وبعدها طا قرية من قرى ريف مصر كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فقال اكتبوا من حفظي هذا الموال في هذا المكان وهو قوله :ـ

الخــير كله لحمّال الأســى مجلــوب	وجنّـة الخلد للي في الـرفـق مغلــوب
رافقت أنا ناس قالوا لي الأدب مطلوب	امشي عدل يراعوا لك عيون وقلــوب

ومعلوم أن الموال مبني على اللحن فيريد بقوله اللي للذي وبقوله عدل بكسر العين يعني معتدلا . ثم ان ذلك الرجل دعا الله تعالى كما أخبرنا في ذلك المقام الشريف بأنه لا يعود إليه الاّ وهو يعرف أن يقرأه بنفسه ثم انه رجع معنا إلى دمشق الشام واشتغل في قراة القرآن الى أن فتح الله عليه في مدّة يسيرة مقدار الأربعة أشهر وصار يعرف القرآن ثم اشتغل في حفظ القرآن عن ظهر قلب . وهذا ببركة دعاية هناك في ذلك المقام المبارك واجابة الدعا محقّقة في الأماكن المباركة خصوصاً عند مقامات الأنبيا الكرام عليه السلام .

ورقـة ٨٢

وقـد ذهبنـا عشية النهـار حين أخذت الشمس في الاصفرار لنسير في تلك الفلاة الواسعة خارج مزار السيد موسى عليه السلام بالقرب من حضرته الشاسعة حتى صعدنا على صخور عالية وتلول سامية ورأينا هناك محاريب في الأرض مخطوطة في الأحجار فإنها

معابد لبعض الصالحين السايحين الأخيار وأشرفنا على بركة لوط المشهورة وهي بركة واسعة كبيرة.

ورقــة ٨٤

. . . . ثم عدنا بعد ذلك بعد غروب الشمس واقبال الليل الحالك وقد صلّينا المغرب بين تلك المحاريب المخطوطة على هاتيك الأرض المبسوطة ودعونا الله تعالى بما تيّسر من الدعا وقد تفرّغ للاخلاص منا الوعا الى مزار السيد موسى عليه السلام وبتنا به في غرفة عالية رفيعة المقام ذات شبابيك مطلّة على تلك الجهات واشراق زايد وأنوار لا يحات، ثم اجتمعنا بعد صلاة العشا الأخيرة على قراة شي من القرآن والذكر في هاتيك الحضرة المنيرة حتى لاح الصباح وقد أخذنا حظنا من الزيارة والاسترواح وكان ذلك اليوم يوم الثلاثا وهو الثالث والعشرون من هذا السفر المبارك الميمون فهيّئت الدواب للمسير وتيّسر على الرفاق كل عسير وركبنا فسرنا على الطريق مع من كان معنا من ذلك الفريق والرفيق إلى أن مررنا بقبر الراعي في مكان مهاب تحمد اليه المساعي فوجدنا قبراً عظيماً يشابه قبر موسى عليه السلام شهامة وتكريماً إلاّ أنه ليس عليه قبّة مبنيّة ولا هناك بنا وهو في البرية بين البرية. . . . غير أنه قبر كبير وحوله الحجار مصفوفة على شكل التحجير حتى بلغني أن بعضهم يقول بين الأنام إن هذا هو قبر موسى عليه السلام ولكن الأول هو الذي عليه المعوّل وإليه يرجع المعنى المأول (المؤول) فوقفنا هنـاك وقـرانـا الفاتحة ودعونا الله تعالى ثم سرنا متوجّهين الى جهة بيت المقدس. . . . . .

- ٦ -

عنوان الكتاب : -

الخمرة المحسيّة في الرحلة القدسية.

- نسخة خطيّة نقلها مؤلف هذا الكتاب عن المخطوط المحفوظ بمكتبة عارف حكمت في المدينة المنّورة تحت رقم ٣٨٤٠ (رقم التصنيف ٩٤/ ٩٠٠).

المؤلــف : -

مصطفى بن كمال الدين الصديقي (نسبة الى أبي بكر الصديق رضى الله عنه).
(١٠٩٩ - ١١٦٢هـ/١٦٨٨ - ١٧٤٩م). زار فلسطين سنة ١١٢٢هـ/١٧١٠م، وسكن بيت المقدس فترة من الزمن.

بعد أن تحدث مصطفى الصديقي عن تردّده في القدس على مقام النبيّ داود و«دار الضيافة المعمورة» في المقام بناء على دعوة خادم المقام الشيخ يحيى الدجاني السالك طريق السادة الخلوتية قال:

وما زلنا بين كرّ وفرّ في حرّ وقرّ نتردّد على هذا المقر الى أن حانت أيام الموسم الكليمي الكريم وتوجّه الموكب إلى ساحته فسرنا ببسط مقعد وأنس مقيم وكان قد تقدمنا الصديق اليه علم الدين(٤)، كان الله تعالى له معين، ودعانا وأكد في دعوته وألحّ وأبرم أن ننزل في خيمته، ولما توجّهنا كدنا من الفرح أن نطير بلا جناح، ومررنا على قرية سيدنا العزيز فزرنا خالعين العذار ولا جناح قال شيخنا قال الحنبلي: ومن المشهورين حول بيت المقدس سيدنا عازر فلعلّه العيزار بن هارون عليهما الصلاة والسلام بقرية العازرية، بظاهر القدس الشريف من جهة الشرق بالقرب من طور زيتا على الطريق المار إلى السيد موسى عليه الصلاة والسلام، وهو ظاهر في القرية بمشهد عظيم، يقصد للزيارة، ويقال إن العيزار انما هو بقرية عورتا من أعمال نابلس ويقال إن عازر هو الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام انتهى وسرنا نقطع السباسب ونترّجى نيل ما للحال يناسب، فلاحت على البعد قبّة الضريح الباهر، وفاحت روايح ذلك المربع المريع الزاهر، ووقع منا قصور، حيث لم ننزل عند رويتها، وفتور، بالنسبة لواجب حرمتها، وقد سوّلت النفس الأمّارة ببعد محل الزيارة فاعتراني في الحال صداع زايد كاد أن يحرمني من اجتناء الفوايد وعند الوصول إلى الخيام، ذكرنا ذاك المقام وأدنى مني مدنى الهنا فتلقّانا صديقنا الداعي بالترحيب لابساً من السرور القشيب، وكذلك فعل خاله السيد محمد النسيب الامام بالمسجد الأقصى، والقلب من ألم الصداع وجيب، ولمّا صلينا الظهر وأكلنا ما تيّسر من زاد رأيت ألم الراس الحاصل قد نما وزاد، ولم أزل متحملا لتلك المشقة إلى أذان العصر لعلّ أن تنطوي هذه المشقّة، وبعد أدا الفرض والحكم بلزوم القضا، لعدم شعور (؟) ضيق متسع ذاك القضا، خرجت صحبة الصديق المشار إليه لتجديد الطهارة، وبعد تحصيله قلت له سر بنا نزور السيّد الذي رفع الله مناره فتعلّل بازدحام الناس، واختلاط النّسا بالرجال الغير أكياس، فقلت سر أمامي وانظرْ مواقع الأقدام وأنا أتبعك بهذه الصفة حالة الأقدام، فعسى يزول كربي وما بي، وتنجلي بزورته سحب أوصابي فأجاب لما به عليه أشرنا، وجئنا رحاب تلك الهضاب والمرقى السامي عبرنا مصاحبين الآداب بالذلّة والاكتياب ودقاق الصداع مشتغل والرأس بشيب

(٤) علم الدين العلمي من تجار القدس.

الغربة مشتعل. وبعد أن قرأنا الفاتحة مع إهداء ألف تحية توّجهنا إلى القبلة الشريفة وصلّينا صلاة التحية ثم أدرت وجهي إلى التابوت مصليّاً مسلماً على من أنزلت عليه السكينة والتابوت ورفعت طرف السّتر ووضعته على رأسي ففي الحال زال ذلك الصداع الراسي فحمدت الله تعالى ورجعت إلى الخيمة وقد ارتحل عن الفواد ضَيّمه وأقمنا ستة أيام كانت كبارقات الأحلام وكنا نخرج كل ليلة قبل الغروب وندور في تلك المروج بقلب طروب ونتساجل مع صديقنا في الذهاب والأياب، ونعود بانشراح وأفراح إلى غالي الرحاب، وربّما نختم عنده في بعض الأوقات كتاب دلايل الخيرات وكان صديقنا السيد محمد الامام سريع قراة لها وللكتاب المجيد باتمام وله مزيد حرص على الطاعة ويحافظ على الأوراد بحسب الاستطاعة. ولقد قلت متطفلا على مدح السيد الكليم مستشعراً حالة امتداحي جنابه العظيم خجلا :

هل لصب قد أشخنوه كلاما   وصل من نال من مناه الكلاما

(الى آخر القصيدة المؤلفة من ٤٥ بيتاً).

وفي ثاني يوم من أيام الزيارة السامية اجتمع شيخنا الشيخ محمد الخليلي وخواص ذلك الجمع أرباب الرتب النامية وفرقوا الربعة الشريفة في تلك الحضرة الكليمية المنيفة وقرا دعا الختم صديقنا السيد خليل الامام بالمسجد الأقصى متضرعاً متخشعّاً فبكى وأبكى فجرت مياه عيون لا تحصى وكانت الفقرا بالطبول والأعلام ترد كل يوم أفواجاً على المقام ويحصل من البسط في هذه الأيام ما لا يصفه واصف مقدام حدثني شيخنا الشيخ محمد الخليلي بلغ المرام في خلوته التي على يمين الصخرة شمال قبّة المعراج ذات الأحكام أن هذا البسط الذي يجده الانسان عند الكليم عليه الصلاة والسلام مُسْتَنْبَطٌ من قوله تعالى: «وألقيت عليك محبة مني» فافهم الخطاب المدني وأخبرني في ذلك المجلس اللطيف أنه دخل المرقد الكليمي المنيف وشرع في قراة دلايل الخيرات وبعد هنيهة خطر له أنت في حضرة الكليم ذي المبرّات فينبغي لك أن تصلّي وتسلّم عليه لتحوز المسرّات، قال فشرعت في موافقة الخاطر فصلّيت وسلّمت عليه أقل أو أكثر من عشر مرات فسمعت زعزعة في الضريح وصوتاً جهورياً وقايلا من داخله يقول عصبة النسب مقدمة على عصبة الولاء قال ففهمت المراد وعدت للتلاوة فوراً كالمعتاد انتهى بمعناه لا بلفظه ومبناه، وأخبرني أيضاً لحظه الله بالحظ ورعاه برعايته وحفظه بحفظه أنه زار الحضرة في غير أيام الزيارة ومعه جملة من القصاد وقال فأسهرت عيني خوفاً من وقوع فساد، من أخيار معنا في تلك المهاد، فرأيته عليه الصلاة والسلام، وقد سرقتني العين بالمنام، قايلا ومشيراً بما ينفي الظنون، فتمدّدت ونمت بملء العيون.

وفي ساحة الكليم عليه الصلاة والسلام آبار للما معدّة لجمع مياه الأمطار ويستقي منها الزوار في هذه المدة، وقد سعى في تعميرها وتسليك مجاريها وترميمها صديقنا الشيخ محمد المكنّى بأبي فردة وله رحمه الله تعالى خيرات عدة منها رواق المغاربة المنتفع به الآن أسكنه الله بحبوحة الجنان. وماء تلك الآبار يحرق الطعام وينفع الجرب والحكة لأن أرضه كبريتية الأجرام وبذا أحجارها توقد ويجعل منها تنوراً فيتأجّج ويتوقّد، وأخبرني أن كل ما يقع بالموسم من دق ولعب مباح لا يؤاخذ به أهل الموسم ويقع لهم بذلك السماح إلاّ أن وقع فساد في تلك الأغوار والأنجاد فانه يثير عجاجة تقلع الخيام وترمي القدور وتريق الطعام حتى إن أهل الموسم لما تكرر هذا الأمر تيقّنوه حتماً، فتصارخ الناس بالدعا على الفاعل ويشفون غيظهم شتماً، وجيء بالخيام في بعض السنين عند هذه الفعلة المقبحة تقبيحاً، من قرية بعيدة عن المقام نحو ساعتين يقال لها أريحا، ولم تقع في السنة التي كنا بحمد الله تعالى فيها بل وقعت كما اخبرني بذلك الخال في التي تليها. وأخبرني الصديق علم الدين كان الله خير معين أن بعض التقاة الأخيار أخبره أن بعد مضي الزوار من تلك الساحة الأنيسة والبقعة المباركة النفيسة تأتي طيور بيض بمناقير طوال يأخذون بها القاذورات ويرفعونها من تلك المحال ويعقبهم لا محالة غمامة هطالة تغسل تلك الأرض بالطول والعرض فقلت لا تكثر هذه العجيبة وعلى مثل هذا السيد ليست بغريبة وفي ثالث يوم وفد الخال علينا ونزل بمن معه من الأحباب لدينا وكان يظن أني لا ألبث إلاّ يوماً أو بعض يوم لوجود أمور. . . . يتظاهر بها بعض القوم، وما درى أنا إذا كرعنا من حياض ذلك التجلي، ورتعنا في رياض قدس حدايق حقايق ذيّاك التملي يستغرقنا البسط والأنس الموسوي . . . . . ولما اعترا الشمس من فرقة ذلك الجامع الاصفرار خرجنا نتهادى في تلك الفلوات بجوار هاتيك الأنوار، ولم نزل نصعد ظهر صخور وتلال إلى آن ركبنا متن ظهور تلك الجبال وأشرفنا على بركة سيدنا لوط التي حنطت جنباتها من النبات بحنوط فجلسنا مستشرفين على تلك السهول والجبال مسبّحين الله تعالى الكبير المتعال، وبالقرب من ذلك المحل محاريب خطّت من تلك الأحجار تنبي أنها كانت معابد بعض الأحبار الأخيار ورجعنا وقد أرخى الليل سدوله، وفرق في الأرجاء رجاله وخيوله، وعندما بدا من أهل الموسم الضجيج وخشعت الأصوات وفاح أرج ذاك الحي الأريج قمنا على أقدام الضراعة باسطين أكف الطلب في تلك الساعة، وهكذا كنا نفعل في أغلب تلك الليالي المسفرة بالسعود، ولقد جرى ذكر شيخنا الهمام الشيخ عبد الغني(٥) المقدام فانطلق لسان المدح المسجون وانفتق رتق البيان المخزون فقال السيد

(٥) الشيخ عبد الغني النابلسي.

محمد الامام المتقدّم ذكره لكنه يقول بايمان فرعون وهذا قول يجب نكره فقلت له أنه ليس هو أول من قال ذلك وانما أبو بكر بن العربي الحاتمي في الفصوص قرر ما هنالك وعلى هذا أطبق شراح النصوص من أهل العموم والخصوص على أن الشيخ لم يقطع بايمانه لأنه قال في آخر كلامه: وأمره إلى الله. . . . .

. . . . وكنا ذهبنا ثاني يوم من القدوم لزيارة الراعي وأعدنا الزيارة له كرّة ثانية وثالثة. . . . . . .

. . . . ويقال إن الراعي المشير (المشار) اليه هو راعي الكليم ﷺ ، وقيل انه مرقد صاحب الكلام[6]، وقد رعى لشعيب أغنامه عشرة أعوام ثم ان ليلة الخميس ليلة وداع ذاك المقام الأنيس لما راق الليل وشمّر أهل الميل الذيل وركبوا خيل الخيل وطفحوا الكيل. . . . .

- ٧ -

عنوان الكتاب : -

موانح الأنس برحلتي لوادي القدس.
مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق[7].

المؤلـــف : -

مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي (١١٠٥ - ١١٧٨هـ/١٦٩٣ - ١٧٦٤م) (زار فلسطين سنة ١١٣٤/١١٤٤هـ (١٧٣٠م)).

ورقـــة ٥٣ : -

وفي يوم الاثنين حادي عشر محرم الحرام[8] عزمت على زيارة السيد الكليم عليه الصلاة والسلام فخرجت بعد صلاة الظهر مع رفاق رفاق واخوان ودٍّ لهم بنا مزيد اعتلاق. فوصلنا رحابه الوسيع وروضة واديه الخصب المريع حين أذنت شمس النهار بالاحتجاب وكادت تلثم الأرض من شدة الاقتراب إذ المسافة اليه من بيت المقدس خمس ساعات في

---

(٦) أي موسى عليه السلام.

(٧) هناك نسخة اخرى من «موانح الانس» في الخزانة الملكية بالرباط ، ومنها صورة في مكتبة الجامعة الأردنية، غير أن النسخة التي اعتمدناها هي نسخة الظاهرية.

(٨) ١٦ تمـــوز ١٧٣١م.

جبال وأودية وعقبات فمرغنا الخد بأعتابه واكتحلنا بعبير ذلك الثرا ورجونا منه الامداد وحسن القرا ووقفنا تجاه ذاك المقام معلنين بالصلاة والسلام ولما شاهدت جمال جماله وورد عليّ البسط بكماله تذكّرت ما به شيخنا الخليلي أتحفني أن بالمقام سر «وألقيت عليك محبّة مني».

- شعــــر -

ورقة ٥٤ : -

موسى عليه السلام نبيّ الله وكليمه وهو ابن عمران بن قاهب ابن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ولد لمضي ألف وخمسماية وستة وستين سنة من الطوفان . . . . . .

ورقة ٥٦

واختلف في قبره فقيل بالتيه وقيل بباب لد وقيل ببيت المقدس أو بدمشق أو بواد بين بصرا وبلقا أو بمدين بين المدينة وبيت المقدس أو بأريحا وهي من الأرض المقدسة والمشهور الآن أن مقامه عليه السلام بالقرب من أريحا وعنده كثيب أحمر الى جانب الطريق يشهد لذلك ما ورد في الصحيح أن النبيّ (ﷺ) مرّ به ليلة الاسراء وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر ويشهد لذلك ما يرى بداخل القبّة من الأشباح التي ألوانهم مختلفة منهم الراكب ومنهم الماشي ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لابس أبيض ومنهم لابس أخضر يصافح بعضهم بعضاً وغير ذلك من الصفات ينظرهم كل الناس من الرجال والنساء والأطفال ولا يخفون على أحد وللناس فيهم أقوال مختلفة. قال شيخنا صاحب النفس القدسي مولانا الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته: (قد دخلنا الى قبالة القبر الشريف ووقفنا نقرأ الفاتحة مع الجماعة في ذلك القبر المنيف، واذا بالخيالات تلمع في داخل القبة، بحيث تتحيّر فيها عيون الأحبة. وهناك من الحضور ما يشهد أنها خيالات الملايكة تصعد وتنزل من حضرة الملكوت على هاتيك التربة المباركة وكانت الملايكة عليهم الصلاة والسلام هم الذين يثيرون العجاج والأرياح الشديدة إذا وقع فساد في مولده الشريف كما أنهم يتصوّرون في الصور الجثمانية فتظهر خيالاتهم في القبة، وانما يفعلون ذلك تصديقاً للنبّي (ﷺ) فيما أخبر به عن موسى عليه السلام والله تعالى أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآل) انتهى. ثم لما غربت الشمس من تلك الآفاق وصلّينا المغرب نحن واولئك الرفاق طلعنا نشرح الصدر برؤية هذا الوادي البهيج ونروّح النفس بانتشاق عبيره الأريج وإلى حسن محاسنه السنية نراعي إلى أن وردنا مقام الراعي فانه قريب من المقام المذكور وبه تلوح بوارق

السنا والنور وللناس فيه اختلاف في التعيين وليس هناك دليل يرجع إليه بيقين فيقال إنه راعي صاحب المقام ويقال إنه مرقده حين كان يرعى لشعيب عليه السلام. وبعد اهداء الفاتحة إليه توسّلنا بجنابه وحاشا أن أرد وقد وقفت بأعتابه. وقد كنت ابتدأت حال طلوعي من القدس في ختمة شريفة هدية للحضرة الكليمية المنيفة فيسّر الله تعالى ختمها في تلك الليلة بالمقام وقد حصل لي من الأنس ما أذكرني ليالي منى والمشعر الحرام ولما كاد أن يبدو الصباح وعزمت على المسير مستبشراً بحصول النجاح فوقفت تجاه ضريحه ودعوت الله بمكنّي القول وصريحه و. . . . القلب أنس أنعش الفواد فأيقنت بحصول المنى ووفق المراد ثم انثنينا بالمسيرة راجعين مصلّين عليه وعلى جميع الأنبيا والمرسلين فوصلنا القدس عندما زالت الشمس. . . . . .

- ٨ -

عنوان الكتاب : ـ

نفحة البشام في رحلة الشام

دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١/١٩٨١م.

المؤلـــف : ـ

الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠هـ/١٨٣٨ ـ ١٩٠٢م).

(زار القدس ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م).

ص ٩٥

ولقد حضرنا هناك في الحرم الاحتفال بطلوع الصنجق (البيرق) لسيدنا الكليم واجتمع الناس من الأمراء والذوات والعلماء والباشاوات، واصطفت العساكر على الجانبين من باب الأقصى إلى باب قبة الصخرة. ومعهم سعادة رؤوف باشا، متصرف القدس. وخرجوا به من الباب الشمالي وركب معه المفتي لكون خدمة مولد سيدنا موسى الكليم على بيت الحسيني من قديم، وهو منهم بل أكبرهم، وبعض الأمراء والتجار. فصار الحرم مزدحماً بالزوار وأرباب الإشارات ويقال لهم السيارات وكذلك الطرقات في حوالي الحرم وكان طلوعه بعد صلاة الجمعة في أول الموسم وما رجعوا إلا في الجمعة الثانية. وبعد صلاتها عمل له احتفال كالأول، واصطفت العساكر على هيئتها النظامية من باب المسجد الأقصى إلى باب قبة الصخرة.

ص ٩٦

وكنا إذ ذاك واقفين على الباب مع حضرة شيخ الخدمة الشيخ عبدالله الدنف، وكبار أهل البلد فساروا بالصنجق إلى أن وصلوا إلى قبة الصخرة ودخلوا به إليها، ودخلنا معهم. وقفل الباب خشية الازدحام وكان هذا الختام. وبعد ذلك انصرف الناس إلى بلادهم وجبالهم.

وأما زيارتنا لحضرة سيدنا موسى الكليم فكانت في الجمعة التي بعد طلوع الصنجق وقبل نزوله. فخرجنا من القدس ضحوة النهار وركبنا دواب من المكارية من أقبح دواب البرية، فسرنا تحت الأمطار والأخطار، الملجيء لذلك كون طريق الكليم لا تسلك ولا تؤمن الاّ في أيام الموسم. وما زلنا في جبال وأودية إلى أن وصلناه قبيل الغروب، ودخلنا للزيارة في شدة الزحمة ونزول الرحمة، وطلعنا إلى ديوان عال مشتمل على عدة أود معدة للزائرين في تلك الأيام. ووجدنا مفتي القدس جالساً معهم في إحدى الأود. فاستقبلنا بغاية كل إكرام واحترام وأخرج لنا وللحاضرين كافة عشاء من مطبخه. ولما حان وقت النوم أرسل إلينا فُرشاً وألحفة للغطاء. وبات غالب الزوار في الصحراء تحت المطر، لأن البناء الموجود حول ضريح سيدنا موسى غير كاف لإيواء هؤلاء الجمع. وفيه هناك بعض خيم صغيرة يسمونها شوادر لا تكفي ولا تدفي، بل بلغنا أن بعضها اقتلعه الهواء فلم يعرف بعد إلى أين ذهب وفي أي موضع وقع، وذلك لشدة الرياح العاصفة والأهوية القاصفة. وبتناها ليلة نابغية نعاني جهد البلاء ونتلوى من شدة اللأواء. ولما طلع النهار واستنار، ركبنا دوابنا بعد أن زرنا الضريح الأنور في جانب الكثيب الأحمر. وتوجهنا تجاه القدس ولم تزل الأمطار تنزل علينا كأفواه القرب وقد أيقنا بقرب العطب لما شاهدناه من هذه الكرب، ولكن الله سلم وتفضل وأنعم. ولا يمكنني أن أصف لك ما حصل للزوار في صعود تلك الجبال الشاهقة وكل نفس زاهقة وكل رجل زالقة حتى كنت في بعض الأحيان يحصل لي الإياس وتضيق

ص ٩٧

مني الأنفاس، وأنقطع في السير عن الناس، وأرى أن ترك المشي والوقوف أولى من السير مع هذا العناء الذي آخره كما كنت أظن الفناء. ولقد بلغنا أن بعض الزوار انقطع في الطريق من التعب والبعض حل به العطب. ومات جملة من شدة البرد وأرسل المتصرف من طرفه عساكر وغيرهم للتفتيش عمن تخلف بالاعياء أو الموت وأحضروهم إلى القدس في اليوم التالي.

وكيف أصف لك المشي على رؤوس الجبال وتحتها الأودية البالغة الغاية في الانخفاض التي لا يستطيع الإنسان أن ينظر إليها وإلاّ أخذته الدوخة والإغماء، فضلا عن ضيق الطريق

وامتلائه بالأحجار وتزحلقه بكثرة ماء الأمطار. وصارت الشمسيات لا بقاء لها في الأيدي ولا ثبات وضاع أغلبها في الأودية من الهواء.

وبالجملة، فما دخلنا القدس إلّا بعد الغروب، وتفرقنا فلا يلوي أحد منا على أحد ولا والد على ولد، وصرنا من أول النهار إلى آخره في ماء واصل إلى الأبدان لم تدفعه كثرة الثياب الثقيلة، فلا حول ولا حيلة. ولما أردنا تغييرها في القدس لم نستطع خلع بعضها إلّا بشقّ الأنفس أو شق الأنفس. ومكث ما كان معنا من الفرش والغطاء منشوراً مدة من الأيام ولا يجف. ومضت علينا أيام الموسم ونحن من كثرة الأرياح في المساء والصباح وتراكم الغيث الغزير المدرار آناء الليل وأطراف النهار، لا نستطيع الوصول إلى الحرم إلا في بعض أوقات إذا حصلت في ذلك الحال فترات.

- ٩ -

عنوان الكتاب : -

سورية والعهد العثماني

المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت.

المؤلف : -

يوسف الحكيم

(كان المؤلف قاضياً في القدس سنة ١٩١٠).

يحتفل المسلمون في القدس والقادمون إليها من سائر فلسطين والبلدان العربية والاسلامية بزيارة مقام النبي موسى، شرقي القدس، على مسافة نهار مشياً على الأقدام، بأهازيج وأدعية وابتهالات وراء رايات واعلام موشاة بآيات كريمة وأحاديث شريفة، في نفس الاسبوع الذي يحتفل فيه المسيحيون بعيد الفصح المجيد، حين تكون فلسطين ولاسيما مدينة القدس قبلة الزوار من جميع أقطار العالم.

وفي نيسان عام ١٩١٠، سار الموكب العظيم كسابق العرف يوم الجمعه من المسجد الأقصى إلى مقام النبي موسى، على أن يعود في نهاية الاسبوع بنفس الاحتفالات. وقبل عودته، طرأ على مسامع من في القدس ما لم يكن في الحسبان، مما يجده القارىء في البحث التالي.

ص ١٩٨

قبل أن يعود موكب النبي موسى إلى القدس، شاع خبر قيام بعثة أثرية بريطانية سراً حفريات في حرم المسجد الأقصى وتحت قبة الصخرة المشرفة، حيث كان يدخل عمال

البعثة الفنيون، بعد سابق الاتفاق مع شيخ الحرم، حوالي الساعة العاشرة ليلا، حين تكون الأبواب الخارجية مغلقة ويحفرون مدة أربع أو خمس ساعات، يعيدون بعدها سطح الأرض إلى حالته الأصلية. وقد ثابرت اللجنة على عملها الليلي شهراً من الزمن، إلى أن ظفرت بضالتها المنشودة وهي سيف وأواني ذهبية يرجع تاريخها إلى عهد الملك سليمان الحكيم.

وشاع في الوقت نفسه أن الوزارة العثمانية هي التي أجازت لهذه اللجنة القيام بمهمتها الأثرية واتخذت الحكومة المحلية التدابير المقتضية لاتمامها سراً، بعد الايعاز إلى مديرية الأوقاف وشيخ الحرم.

ولما كان لكل معارضة في ظل الحكم الدستوري شأن يجعلها تغتنم الفرص لاثارة الشغب ضد القائمين على الحكم، ولاسيما إذا كان هنالك ما يمس المشاعر الدينية، لذلك انتشرت الاشاعة في المدينة بسرعة البرق ووصلت إلى مسامع موكب النبي موسى، فانقلب فور عودته إلى القدس إلى تظاهرات وهتافات عدائية عارمة على أولياء الأمر صغاراً وكباراً.

ولكن الحكومة، التي تجلى موقفها بعزم رئيسها عزمي بك وحزم قائد الدرك والأمن العام سامي بك وحسن تدبيرهما، تمكنت من الحيلولة دون تفاقم الشر واضطراب حبل الأمن. فأحالت شيخ الحرم وغيره من صغار الموظفين إلى لجنة التحقيق، الذي لم ينته إلا بعد أن استقر الهدوء وعادت السكينة إلى المدينة وعاد كل شيء إلا الآثار المكتشفة إلى مجراه الطبيعي. وكما أثار هذا الحادث هجوم المعارضة في المجلس النيابي، أثار أيضاً حفيظة المتعصبين للدين ضد أولياء الأمور وضد البعثة الاثرية ومتبوعها بريطانيا العظمى ولكن بدون جدوى، لأن الحكومة القائمة لم يعسر عليها إفهام الشعب أن التنقيب عن كل هذه الآثار قد ينفع البلاد من الوجهات العلمية والثقافية والاقتصادية دون أن يكون له أي مساس بالشعائر الدينية.

- ١٠ -

عنوان المقال : -

كيف ومتى بدأ موسم النبي موسى عليه السلام

الكاتب : -

عبدالله مخلص المتوفى سنة ١٩٤٧ ـ مجلة هنا القدس العدد ٦ السنة ٣، ٢٩ آذار ١٩٤٢، ص ٦

بمناسبة المناداة بعد صلاة الجمعة من اليوم الثالث من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦١ الموافق ٢ مارس سنة ١٩٤٢ في المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، بأن

اسبوع الزيارة السنوية المعتادة لمقام كليم الله سيبدأ في يوم الجمعة القادم رأينا أن ندون بهذه العجالة ما عرفناه عن هذا الموسم الإسلامي الكبير الذي يجري دائماً في الاسبوع الذي يسبق عيد الفصح عند الروم الاثوذكس ويقع عندهم في خلاله خميس الغسل والجمعة العظيمة ثم يعقبها سبت النور وأحد الفصح المجيد.

ونرجح أنه من وضع السلطان العظيم صلاح الدين يوسف بن أيوب، لأن زيارة نبي عظيم من أولي العزم مثل سيدنا موسى عليه السلام مما يبهج المسلمين ويثلج صدورهم ويحملهم على شد الرحال اليه.

ويظهر أن السلطان صلاح الدين الذي قضى حياته مكافحاً منافحاً لم يجد فرصة لوضع الخطط التي تؤمن بقاء ذلك الموسم وتساعد على استمراره على مر السنين ومر الدهور فجاء السلطان الظاهر بيبرس بعد مضي تسع وسبعين سنة من وفاة السلطان صلاح الدين وبنى القبة والمسجد على ضريح سيدنا موسى عليه السلام الذي يقع في نشز من الأرض بين بيت المقدس وأريحا ووقف على إطعام الطعام لزواره إبان موسم الزيارة من كل عام من الأوقاف ما كفى ريعه لدوام المأثرة الخالدة إلى الآن وما سيكفي الاستمرار عليها في قابل الأيام. وكان بناء القبة والمسجد ووقف الأوقاف على مصالح المقام في أواسط شهر رجب سنة ٦٦٨ الهجرية الموافقة لسنتي ١٢٦٩ - ١٢٧٠ الميلادية. فكان عمل السلطان الملك الظاهر أجدى نفعاً وأبقى على وجه الدهر.

ومما هو حري بالتدوين ان الملك الظاهر بيبرس نصب الشيخ الشريف عبدالله بن يونس متولياً على الضياع والعقارات التي وقفها. وهذا الشيخ هو الجد الأعلى لآل يونس الحسيني الذين لا يزالون يقومون على الولاية والخدمة بالمقام الشريف الكليمي.

ولعل الشيخ الشريف هو عبدالله بن يونس الارموي الوارد ذكره فيما سيأتي من أقوال ابن فضل الله العمري في فصل «أقوال الجغرافيين والمؤرخين الاسلاميين» أو هو من احفاده وقد سمي باسمه فان ابن فضل الله لم يذكر لنا التاريخ الذي وجد فيه الشيخ المذكور.

- قبر موسى عليه السلام -

جاء في صحيح البخاري في باب وفاة موسى وذكره «الجزء ٤ ص ١٦٤»: حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: ارسل ملك الموت الى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه. فرجع الى ربه فقال

أرسلتني الى عبد لا يريد الموت. قال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن قال فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال أبو هريرة فقال رسول الله ﷺ لو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر. أ. هـ.

قال علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفي في سنة ٣٤٦هـ ٩٥٧ ـ ٩٥٨م. في كتابه التنبيه والاشراف.

«ومات موسى عليه السلام في أرض مؤاب ودفن في الوادي منها.»

وقال محمد بن احمد البشاري المقدسي المتوفى بعد سنة ٣٧٥هـ ٩٨٥ ـ ٩٨٦م. في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم.

«وباقليم الشام قبر موسى عليه السلام».

وقال علي بن الحسن الهروي المتوفي سنة ٦١١هـ. ١٢١٤ ـ ١٢١٥م. في كتابه الاشارات الى معرفة الزيارات.

«بلد مآب» به قرية يقال لها سيحان بها قبر ينزل عليه النور ويراه الناس وهو على جبل ويزعمون أنه قبر موسى بن عمران عليه السلام وهو على جبل هناك».

وقال أيضاً :

«أريحا : قرية بها قبر ذكروا أنه لموسى بن عمران عليه السلام. وورد أن أريحا هي مدينة الجبارين المذكورة في القرآن».

وقال ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . ١٢٢٨ ـ ١٢٢٩م. في كتابه معجم البلدان. «سيحان: قرية من عمل مآب بالبلقاء يقال بها قبر موسى عليه السلام وهو على جبل هناك»

وقال أيضاً :

«شيخان : جبل مشرف على جميع الجبال التي حول المقدس وهو الذي أشرف منه موسى عليه السلام. فنظر إلى بيت المقدس فاحتقره فقال يا رب هذا قدسك فنودي أنك لن تدخله.»

قلنا ويظهر أن ياقوت الحموي اشتبه عليه وجه الصواب بين سيحان بالمُهملتين وشيخان بالمعجمتين فظنها قرية وجبلا. وهو يعذر في ذلك لأن الكلمات في عصره قلّ ما كانت تعجم حروفها لاعتقاد المعرفة بها فالسين تقرأ شيناً والحاء خاء وبالعكس، بيد أن

الجبل المطل على القدس والذي يفصله عنها البحيرة المنتنة ونهر الأردن بل قل الجبل المشرف على مقام الكليم بين بيت المقدس وأريحا فيه قبر يقال له قبر النبي موسى .

وقال أحمد بن يحيى العمري الشهير بابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨هـ. ١٣٤٧ ـ ١٣٤٨م . في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار:

«قبر موسى بن عمران عليه السلام بالقرب من أريحا وتعرف القرية بشيحان : رأيت بخط علاء الدين ابن الكلاس ما صورته : قال الشيخ ابراهيم ابن الشيخ عبدالله بن يونس الأرموي عن والده قال :

زرت قبر موسى عليه السلام الذي بالقرب من أريحا وكان اذ ذاك لم تبن عليه قبة ولا مشهد . قال فقلت في نفسي اللهم أرني ما ازداد به يقيناً في صحة هذا القبر. قال فبينا أنا نائم رأيت كأن القبر انشق وخرج منه إنسان طوال قال فجئت اليه وسلمت عليه وقلت له من أنت؟ قال موسى بن عمران وهذا قبري وأشار إليه ثم قعدنا . وإذا بالقرب منا رجل يطبخ في قدره فلما استوى طعامه أحضره إلينا واذا شورباء ارز فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق وأنا ثلاث ملاعق ، والرجل ثلاثاً . ثم تداولناها بيننا الى أن فرغت .

قال الشيخ عبدالله وكنت على عزم العودة الى بلاد العجم فقال لي موسى عليه السلام أنت لا تسافر إلى شيخك وكيف تسافر؟ وانت تريد أن تتزوج بامرأة من نسل الرسول وترزق منها أربعة أولاد وأقام الشيخ ابراهيم اصابع يده اليمنى الأربعة وختم الابهام إلى باطن كفه يحكيه .

قال الشيخ ابراهيم فكان كما ذكر موسى عليه السلام فلم يسافر والدي وتزوج بامرأة شريفة هي أمي . ورزق أربعة أولاد أنا أحدهم ولما حضرته الوفاة قلت له يا سيدي : أنت راض عني؟ فقال كيف لا أرضى عنك وقد بشرني بك موسى عليه السلام» .

هذا ما ورد عن قبر موسى عليه السلام القريب من أريحا قبل بناء القبة والمسجد عليه . أما بعد ذلك فقد ورد في كتب المؤرخين ما يلي :

قال محمد بن أحمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ . ١٣٦٢ ـ ١٣٦٣م . في كتابه فوات الوفيات في ترجمة الملك الظاهر بيبرس بعد ذكر ما جدده بقبة الصخرة وأنشأه من العمارات في بيت المقدس :

«وبنى على قبر موسى عليه الصلاة والسلام قبة ومسجداً وهو عند الكثيب الأحمر ووقف عليها وقفاً» .

وقال عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين العليمي الحنبلي المقدسي المتوفي سنة ٩٢٧هـ ١٥٢٠ ـ ١٥٢١م.

«اختلف الناس في محلّ قبر موسى عليه السلام فقيل وهو المشهور عند الناس إنه شرقي بيت المقدس وبينه وبينها مرحلة ودربه عسر لكثرة الوعر وعليه بناء وداخله مسجد وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة وفيها ضريحه ويوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير أسود وعلى الستر طراز احمر مزركش دائر على أطرافه بالذهب والأكثرون على أن هذا قبره. وفي الصحيح أن النبي ﷺ مر به ليلة الاسراء وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر.

والذي بنى القبة المذكورة هو الملك بيبرس رحمه الله عند عودته من الحج وزيارته بيت المقدس في سنة ٦٦٨ ثم بنى بعده اهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر ثم في سنة ٨٧٥ وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته الى سنة ٨٨٥ ثم بني به منارة بعد سنة ٨٨٠.

وهذا المكان من أريحا الغور من أعمال بيت المقدس وأهلها يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء ويقيمون عنده سبعة أيام».

كيفية اجراء الموسم

قبل المباشرة بزيارة مقام الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم باسبوع واحد ينادي في المحكمة الشرعية ببيت المقدس بعد صلاة الجمعة على أن اسبوع الزيارة سيبدأ في يوم الجمعة القادم ليستعد الناس إلى الزيارة وليخبر الحاضر الغائب، ويحضر حفلة المناداة هذه ممثلو الحكومة والمجلس الاسلامي الأعلى وإدارة الأوقاف والعلماء والأعيان.

وفي يوم الجمعة التالي بعد أداء الصلاة يخرج المصلون من المسجد الأقصى بالتهليل والتكبير لتشييع الرعيل الأول من الزوار وهم السادة الحسينية واليونسية من متولى وقف النبي موسى عليه السلام وعددهم ثمانية، ومعهم علم النبي موسى وعلم النبي داود وعلم المسجد الأقصى وأعلام مشايخ الطرق ويسيرون في الموكب إلى أن يصلوا إلى باب الناظر، ويسمى اليوم باب المجلس الاسلامي ـ وهناك يمتطي بعض المتولين ظهور الخيل المعدة لركوبهم فيخترقون مع الركب محلة الواد ويجتازون مخارج باب الساهرة وباب حطة المقابلة لأبواب المسجد الأقصى وباب الاسباط ثم ينحدرون في الطريق المؤدي الى اريحا. وبجوار قرية سلوان موضع يقال له راس العامود تكون البلدية قد أعدت فيه مخيماً للاحتفاء بهذا الموسم

السعيد فينزل الركب فيه وتدار على الحضور أكواب المرطبات، ثم يستأنف الركب سيره إلى مقام الكليم بعد توديعه من قبل ممثلي الحكومة والبلدية والعلماء والأعيان الذين يكونون قد دعوا لشهود هذه الحفلة خصيصاً.

وقـد كان الركب قبل تعبيد الطريق يركب الخيول المطهمة أما الآن فهم يمتطون السيارات يصلون إلى المقام بأقل من ساعة واحدة، بالرغم من أنهم يسيرون سيراً وئيداً لكثرة ما في الركب من الناس وما يحصل من تزاحم الأقدام.

أما في السنوات الأخيرة وللحالات الطارئة فان مراسم التشييع قد اقتصر فيها على خروج الركب من باب الاسباط ثم السير مباشرة إلى المقام، اذ لا تنصب الخيام في المكان المعهود. وتستمر الزيارة مدة ستة أيام بلياليها يطهى فيها في المطابخ المتعددة أنواع الأطعمة وتقدم إلى الزائرين بالمجان ويبيت من يريد المبيت في الغرف العديدة الموجودة بالمقام كما يقيم من يشـاء من الـزوار في هذه الغرف أيام الموسم جميعه. وتجد الكثيرين من بيوتات بيت المقدس ينقلون ما يحتاجون إليه من الأمتعة والفراش والأثاث إلى غرف المقام ويقضون أيام الموسم بها ثم يعودون الى دورهم بعد انقضاء الموسم.

وكان عدد زائري المقام يبلغ الألوف في كل موسم.

وريع أوقاف سيدنا موسى عليه السلام السنوي نحو سبعمائة وخمسين جنيهاً تنفق في هذا السبيل، وقد لا تكفي احياناً فتضطر ادارة الأوقاف إلى تأمين الزيادة.

وفي اليوم السابع الذي هو يوم الخميس يعود الركب من نفس الطريق التي سار فيها إلى المسجد الأقصى وعند وصول الركب إلى محلة الواد يؤخذ علم النبي موسى من قبل السادة الحسينية إلى دار نقابة الاشراف حيث يحفظ فيها للموسم القادم.

وفي يوم الجمعة بعـد أداء صلاتها يحتفل المصلون بعلم النبي داود وعلم المسجد الأقصى بالتهليل والتكبير حيث يطوى العلم الأخير ويحفظ في المسجد المبارك، ويؤخذ علم النبي داود من قبل حملته إلى مقام النبي المشار إليه ويطوى أيضاً هناك. وهكذا ينتهي هذا الموسم الذي كان للملك الظاهر بيبرس الفضل الأكبر والأثر الأحسن في احيائه وادامته مئات السنين بهذا الوقف الذي اجراه في هذا السبيل. أثابه الله عداد حسناته وأعاد هذا الموسم على المسلمين والعرب وهم أحسن حالا وأهدأ بالا.

عنوان الكتاب : ـ
ـ من تاريخنـــا
(المجموعة الرابعة) ، عمان ١٩٧٨ .
المؤلــف : ـ
محمـــود العابـــدي .

موسم النبي موسى (٩)

كان عرب فلسطين يجدون في موسم النبي موسى متنفساً يستعيدون فيه ذكريات الماضي، فيحملون السيوف والطبول ويرفعون الاعلام ويدقون المزاهر ويلعبون بالتروس وينشدون الأناشيد الدينية والقومية، وتتغنى نساؤهم بالأهازيج التي منها.

العرس ما هو فرحة	ولا طهور الصبيان
ما فرحة الا زيارة موسى	عليه الصلاة والسلام
لولاك يا موسى	ما جينا ولا تعبنا وتعنينا
ولا دهسنا الحصى	ولا الرمل باجرينا
مسيك بالخير يا موسى	يا موسى بن عمران
يا ساكن الغور	وبلاد حوران

بمثل هذه الأبيات من الأهازيج يحيي زوار مقام الكليم ـ هذا النبي الكريم عندما يسعون اليه. وقد تحسنت اليوم الطرق والمواصلات فصار الزائر يصل في ساعة زمنية إلى هذا المقام البهي ـ بعد أن كان يسير اليه مدة النهار بأكمله.

يقع موسم كليم الله في الربيع ـ وتشترك فيه جميع طبقات الشعب على مختلف مشاربها، فيؤمه الزوار من جبل القدس والخليل ونابلس، وحتى من حيفا وعكا، وتعد الجماهير بالألوف، ومدة الموسم سبعة أيام، يقضي أولها وآخرها في القدس والخمسة الأخرى في ظل المقام، الذي يبعد مسافة سبعة كيلو مترات عن بلدة أريحا في الغور. وهو قبلي الطريق المؤدية إليها، ويشير المارة إلى الكثيب الأحمر، الوارد ذكره في الحديث الشريف.

---

(٩) كتب العابدي هذا المقال في جريدة الجهاد سنة ١٩٤٥ .

ص ١٠٩

ولا بِدْعَ أن أيام الموسم من أبهج أيام السنة على الزائرين ـ فالسرور سائد، والسلام مخيم، والطقس لطيف، ومجلبات اللهو والطرب البريء ليست بقليلة. فهناك توفي النذور وتطهر الصبيان وتغني الأهازيج مع الرقصات البلدية وفي مقدمتها السحجة على أنواعها السبعة. وكان فيما مضى عدد أصحاب الطرائق الصوفية أكثر مما هم عليه الآن ـ وكذلك تنظيم الجماعات حسب انتسابهم بها الى مدن وقرى ـ حتى والى الصنائع التي يقومون بها ـ كالأساكفة والدباغين ـ والكل في ضيافة النبي موسى

ص ١١٠

ويقدم قيمو الوقف الطعام الجيد بكثرة في ساعات معينة. وهم لا يألون جهداً في خدمة الزوار وترفيههم واحلالهم محل الإكرام. وعند ختام الموسم تتقدم الاعلام المختلفة سيارات الزائرين وهم ينشدون :

يـا زوار موسـى زوروا بـالـتـهـليـل
زرنـا الـنـبـي موسـى عقـبـال الخـليـل
يـا زوار موسـى زوروا بـالـعـدة
زرنـا الـنـبـي موسـى عقـبـال الحـجـة

لكن اليوم الأكبر في المدينة[10] كان يوم زفة بيرق النبي موسى ـ في ذلك اليوم يتقاطر رجال القرى إلى المدينة ليشاركوا في الزفة ـ فيه يخرج رجال الطرق الصوفية أعلامهم من زواياهم ويزفونها في الشوارع مبتدئين من حارة الغرب ومنتهين بحارة الشرق (في نابلس) وهم يضربون العدة من طبول ومزاهر ويذكرون الله كثيراً. وفي المساء يودعونها دار البلدية.

وفي صباح اليوم التالي يخرجون بها إلى القدس راكبين الجياد ـ التي أبدلت بعد الحرب الأولى بالسيارات التي تستأجرها البلدية لهذه الغاية ـ يرافق الاعلام عدد من شبان المدينة باشراف عدد من مشايخ الشبان اعرف منهم صدقي شبارو وسبع العقاد وأسعد بلعوط وحامد الشخشير وحسن الشنتير (رحمهم الله جميعاً) كما يرافقهم قوال كان آخر من عرفته بائع السوس الحاج محمد الخراز المشهور بأقواله التي تحمس الشبان. فاذا تجاوز الموكب قرية شعفاط خرج لاستقباله شبان القدس بأعلامهم وعددهم ـ وبعد تبادل التحيات يسير

(١٠) أي نابلس.

الموكب الموحد إلى الحرم الشريف. . وبعد يومين تخرج اعلام القدس وأعلام نابلس إلى قرب المحطة في جنوب القدس حتى يستقبلوا مواكب الخليل. فاذا وصلوا وتبادلوا التحيات والتمنيات تقدموا نحو الحرم بهذا الموكب الضخم.

أول موسم شهدته كان في ربيع سنة ١٩٢٤. بعد صلاة الجمعة ركب المفتي (الحاج امين الحسيني رحمه الله) حصانه من ساحة الحرم الشريف تحف به كوكبة من فرسان البوليس وقد تجمع حوله مئات ـ ثم أصبحوا ألوفاً من الشبان والشيوخ بأعلامهم وطبولهم وهم يذكرون وينشدون وهبط الموكب الوادي وتسلق الجبل حتى رأس العمود فوق سلوان بعد مسير متئد دام أربع ساعات. ومن هناك لفت الاعلام وامتطى الموكب السيارات ـ وعاد المشيعون الى القدس وعدت معهم.

كان الأقدمون يعتبرون نيسان شهر تجدد الحياة بحلول فصل الربيع فاهتموا به غاية الاهتمام، حتى شريعة حمورابي حثت قبل الميلاد بألفي سنة على تخصيص يوم من أيام نيسان يجزّ فيه الرعاة أصواف أغنامهم ثم يحتفلون بجز أصوافها لتخفيف حدة الحر المقبل عليها.

واني ما زلت اذكر كيف كان رعاة أغنام قريتي يتجملون بأفخر الملابس وأبهجها وينزلون إلى المدينة ليلتقوا بزملائهم رعاة القرى المجاورة ويقيموا حلقات الدبكة على أنغام المجوز ـ وتجري بينهم المسابقات لكسب الأولية في هذا الميدان وكان أهل المدينة يتمتعون بهذه المظاهر أيما متعة.

وكان يرافق حلقات الدبكة (المطاقشة بالبيض) يضرب أحمد بيضته على سنه ويراهن محموداً على أنها أصلب من بيضته. ثم يتبادلان (التطقيش) ومن كسرت بيضته فانه المغلوب ويستولي عليها المنتصر. وقد يجمع أحدهما عشرات البيض المكسر، بهذا النوع المسكوت عنه من القمار.

وغالباً ما كان يسلق البيض مع ورق البصل أو الخبيزة أو. . . كسباً لصباغ جديد يمتاز به بيض الموسم. . . عيد البيض عيد اوزيروس وايزيس ورع، منذ أيام الفراعنة، عيد إخراج الحي من الميت، عيد قيامة المسيح من قبره، العقيدة الأساسية في المسيحية.

وتكون المدينة قد قامت بصنع حلاوة الموسم ـ من سكرية وجوزية وقرعية وجزرية. يشتريها الناس تحلية لأفراد الاسرة ولجبر خواطر العواقب وصلة الأرحام، كل يرسل إلى ذات رحمه مقداراً منها فتفخر بها أمام أهل زوجها ويفرح أطفالها بهدية جدهم أو خالهم. . انها عادات كانت تراعى بدقة تامة ـ ويذكرها الناس حتى يدور الحول.

وفي القرى هناك ما يسمى بشهر الخميس ـ تطبخ القروية الحليب بالأرز (البحتة) أو بالنشاء (الهيطلية) وتعمل الكعك والمسفن (فطير بالزيت يحلى بالسكر أو الدبس أو العسل) لتأخذه يوم الخميس إلى التربة وتوزعه عن أرواح الموتى. وتبقى الخمسين مدة شهر كامل ـ ومن أعيب العيوب على قروي أمام مواطنيه أن لا يقوم بتأدية هذا الواجب.

في ثاني يوم استأجرنا الدواب من أهل سلوان ـ كل دابة بخمسة عشر قرشاً. وكان يسوق عدداً منها شاب يلهب ظهورها بعصاه حاثاً لها على الاسراع وبعد أربع ساعات وصلنا إلى مقام موسى الكليم (المسافة ٣٢ كم) وسرعان ما عاد بها أصحابها ليقوموا بمشوار ثان في اليوم الواحد.

بدأنا الوضوء من ماء الآبار المتوفرة بكثرة وتقدمنا لأداء التحية للمسجد وتحية صاحبه كليم الله موسى عليه السلام، وأكثرنا من الصلوات وراء كل امام تقام الصلاة خلفه ـ طمعاً في الأجر والثواب.

وعند الظهر سكبوا الأرز المسلوق على الحصر وكانت عرمة كالهرم يغرف منها من يشاء بالقدر الذي يشاء ثم جيء بقدور اليخنة من الباذنجان والكوسا والبندورة مع اللحم بشكل وافر وتحلقنا حوالي الصواني والبواطي والصدورة لنأكل بشهية من جهة ومن شدة الجوع من جهة أخرى وقد حمل الرجال إلى عيالهم الذين يحتلون الغرف الكثيرة ما فيه الكفاية وزيادة. وجرى مثل ذلك عند العشاء. بعد صلاة المغرب وبعد العشاء بدأت حلقات الذكر ودق الكؤوس التي طمعنا فيها حتى وهن من الليل.

وفي ثاني يوم زرنا قبر حسن الراعي الذي تقول الرواية إنه شاهد المكان الذي توفي فيه موسى عند الكثيب الأحمر وكان سبباً في تعيين هذا المكان بالذات وهناك مزارات لم نقصر في زيارة واحد منها.

وفي ثالث يوم عدنا ولكن بعشرين قرشاً للركوبة لأن طريق العودة تكون، صعوداً، والبعض تأخر هناك إلى نهاية الاسبوع والعودة مع الاعلام.

وبعد انقضاء الاسبوع خرجنا إلى رأس العمود لاستقبال الموكب الذي استمر في سيره الوئيد حتى قبيل غروب الشمس حينما وصل إلى الحرم الشريف. وفي ثاني يوم خرجت المواكب لوداع علم نابلس وفي ثالث يوم خرجوا لتوديع علم الخليل وبذلك يكون الموسم قد انتهى ـ ويكون الافرنج قد فرغوا من زيارتهم في عيدهم الأكبر وغادروا البلاد عائدين الى بلادهم في أوروبا وارتاحت البلاد مما قد يكونون بيتوه لغدر واغتصاب.

فاذا عاد (المقدس) إلى بلده جاء الناس يسلمون عليه. ولا بد من الهدايا وكان أهمها للبنات والصبيان خواتم وأساور وغويشات من زجاج الخليل ومسابح للرجال وشقف من الملبن الخليلي الذي كان ذا دلالة معنوية ولاسيما ما فيه من حب قريش، ان لم يكن من الصنوبر.

لقد أمضيت في القدس طالباً بدار المعلمين أربع سنوات (أيلول ١٩٣٣ ـ تموز ١٩٢٧) كنت خلالها حريصاً على حضور مراسم الاحتفال بموسم النبي موسى والاشتراك على الأقل في إنشاد الأناشيد، فأشعر بحماسة منقطعة النظير لأننا كنا ننشد أشعار ثورة العرب وهبتهم لطلب الاستقلال واحياء لغتهم وأمجادهم منها:

شبوا على الخصم اللدود ... نار الوغى ذات الوقود
نحن الأولى فتحوا البلاد ... دانت لنا كل العباد

ومنها:

يا أيها العرب الكرام ... الى متى انتم نيام
هبوا إلى الموت الزؤام ... وامشوا له مشي الأسود
كنتم ملوكاً للورى ... تخشاكم أسد الشرى

ومنها:

خضبوا الأرض بدم ... فالعدا خانوا الذمم
واذكروا ماضي الشمم ... واجعلوا البيض حكم

ومنها:

يا بني الأوطان هبوا ... من رقاد مستديم
واطلبوا المجد ولبوا ... دعوة العظم الرميم

ومنها:

نحن خواضو غمار الموت ... كشافو المحن
نبذل الأرواح نفديها ... لاحياء الوطن
هل سوى الأرواح للأوطان ... في الدنيا ثمن
يا ضلال الأُلى ـ لم يكونوا الفدا ... ان نمت نحن ـ فلتحيَ أوطاننا

ومنها :

نحـــن جنــد الله شبـــان البـــلاد ... نكـــره الـــذل ونـــأبـى الاضـطهــاد
فارفعـــوا الاعـــلام وامـشـوا للجهـاد ... حيث اعـــدانـا تمـادوا فـــي الغـــرور

ومنها

لغـــة الـعـــرب اذكـــرينـــــــا ... وانـــدبـــي مـــا فــــات
كيـــف ننســـــاك وفـينـــــــا ... نسـمـــــــة الحـيـــــاة

إلى قولهـــم :

يـــا ليـــــوث الــوغــــــى ... خصـمـنـــا قـــــد طغـــى
فلنـمــــت كلنـــــــــا ... فـــي سبيـــــل الـــوطـــن

ومنها :

يـــا بنـــي الـشـــام ومـصـــر ... وبـنـــي الـعـــــــراق
هـــل نسيتـــم ذكـــر عصـــــر ... طبـــــق الآفـــــاق

ومنها :

سيـــروا للمجد طرا سيـروا للحـرب ... واسـتعيدوا بالمـواضى دولـــة العـرب

وكان البعض يقوم بختان أبنائه في هذا المكان المبارك ويوفي نذوره السابقة، كما يقوم بتقديم الصدقات للمحتاجين.

كنـا نلاحظ أن عدد النســاء كان يربو على عدد الرجال، وكن يملأن جنبات قبة الصخرة والمسجد الأقصى في حلقات حول شيوخ كلفنهم بقراءة موالد تهدى للأموات، مقابل أجر يعيش منه هؤلاء الذين انقطعوا للعبادة في جوار بيت المقدس.

وفي الأروقة وفي المداخل كانت تقام أسواق ناشطة في البيع لجميع أنواع المطلوبات من طعام وكساء وهدايا، فالمواسم للدين والدنيا.

- ١٢ -

عنــوان الكتـاب : ـ

شمسنا لــن تغيـــب

ج١، أنغـام الحياة، الكويت، مطابع القبس التجارية ١٩٨٨. ص ٣٩ ـ ٦٢

المـؤلــف : ـ

الدكتور صبحي سعد الدين غوشـــة.

النبــي موســى

جماهير شعبنا الفلسطيني اغتنمت كل مناسبة للتعبير عن «شعورها» الوطني وتطلعاتها وطمـوحـاتهـا في الأعياد الـدينية، والمنـاسبات الاجتماعية مثل الأفراح والختان «الطهور» وغيرها. وأهم هذه المناسبات كانت «المواسم»، وهي مناسبات «وطنية» بدأت منذ عهد صلاح الدين الأيوبي، وكان الهدف منها تجميع المواطنين في مناسبات وطنية ومهرجانات شعبية لتوثيق عرى المودة والتواصل بنيهم بعد أن جثم الاحتلال الغربي الاستعماري المتستر باسم الدين على صدورهم طوال قرن من الزمان واستطاع أن يبعثر قواهم ويشتت وحدة صفوفهم. وقد فسر البعض إقامة صلاح الدين لهذه المواسم بأنها لجمع شمل المسلمين في مناسبات يحتفل فيها المسيحيون بأعيادهم، وخاصة موسم النبي موسى حيث يتزامن مع عيد الفصح ولكن هناك مناسبات أخرى لا تتزامن مع مثل هذه الأعياد ولذلك لا يمكن تفسير هذه المناسبات على هذا الشكل.

وقد فسر البعض تزامن النبي موسى مع عيد الفصح بأنه هدف إلى مشاركة جميع المواطنين مسلمين ومسيحيين بالاحتفالات في هذه المناسبة وعدم اقتصارها على طائفة دينية معينة بحيث تثير الحزازات والاختلافات وخاصة أن مناسبة عيد الفصح مناسبة كبيرة عند المسيحيين ولها طقوسها التي تمتد عدة أيام. وشخصياً أميل إلى هذا التفسير فقد عاصرت الاحتفـالات بمـوسم النبي موسى في القـدس ولم أشاهد أو اسمع عن أي خلافات أو حزازات أو مشاجرات تستحق الذكر بين المسلمين والمسيحيين في هذه المناسبة.

أهم الاحتفـالات أو «المـواسم» كانت موسم «النبي موسى» في القـدس «والنبي روبين» في يافا و«النبي صالح» في منطقة الرملة وغير ذلك من مناسبات «الأنبياء» في مختلف

أرجاء فلسطين. وحاولت العثور على تفسير لاقامة هذه الاتفالات حول مقامات «لانبياء» يهود ولم أجد. وارجو أن يقدم المختصون دراسة حول هذا الموضوع.

موسم «النبي روبين» كان في شهر أيلول، يبدأ في أول الشهر الهجري الذي يأتي في شهر ايلول وينتهي بنهاية ذلك الشهر الهجري، وكان مناسبة دينية ووطنية ورياضية وفنية وغير ذلك، فقد كان سكان المناطق الساحلية ـ وخاصة يافا ـ والرملة واللد يقيمون المخيمات هناك وتجرى فيها احتفالات دينية بقراءة الموالد وختم الختمة وغيرها، ثم تجرى مسابقات الخيل والفروسية وكانت عدة فرق غنائية تقيم حفلاتها الغنائية والموسيقية هناك طوال الشهر ـ بحيث أصبح موسم النبي روبين مهرجاناً متنوعاً فيه كل أنواع المتع ـ وأصبح الذهاب اليه مطلباً ملحاً لدى كثير من العائلات بحيث انتشر القول الشائع والمطلب الذي تطلبه النساء هو «روبنّي أو طلقني» أي «خذني إلى روبين أو طلقني».

بالرغم من كل البهجة والتجمع الوطني لمعظم هذه المواسم فان موسم النبي موسى كان يختلف عنها جميعاً فقد أخذ طابعاً وطنياً خاصاً إثر الاحتلال البريطاني لفلسطين ١٩١٨. وقد كان موسم ١٩٢٠ نقطة انطلاق وطنية متميزة. ففي هذا العام بالذات جرت الاحتفالات ضمن نهوض ثوري عاشته البلاد تجاوباً مع الحركات الثورية العربية، وقد تزايد السخط الشعبي خاصة بعد منع السلطات البريطانية عقد المؤتمرات الوطنية وبعد تصريحات سلطات الانتداب البريطاني بالتمسك بوعد بلفور وتشجيع الهجرة وقيام حركة الاستيطان الصهيونية بتوسيع مستوطناتها والتحرش بالعرب في القدس ويافا وحيفا بشكل خاص وبالمدن والقرى الفلسطينية بشكل عام.

وفي موسم النبي موسى كان سكان مختلف المدن والقرى الفلسطينية كالعيزرية والطور وسلوان وأبو ديس والعيسوية وقرى عديدة اخرى يتوافدون على القدس بأيام معينة وهم يحملون البيارق والأعلام المختلفة وينشدون الأناشيد الوطنية المختلفة. وفي ذلك العام في الرابع من نيسان ١٩٢٠ وصل أهالي الخليل إلى القدس. وكان أهل الخليل يصلون إلى القدس سيراً على الأقدام أو في العربات «الكروسة» أو «الحناطير» ويعسكرون قرب باب الخليل ـ حول بركة السلطان ومن ثم يدخلون من باب الخليل. وفي ذلك اليوم وصل موكب الخليل ومن شرفة «النادي العربي» ألقى فيهم كل من موسى كاظم الحسيني والحاج أمين الحسيني وعارف العارف وغيرهم، خطباً سياسية ألهبت حماس الجماهير وفجرت سخطها وما كادت الجماهير تصل إلى باب الخليل حتى تصدت لها القوات البريطانية وكان معظم هذه

القوات من الجنود «السيخ» الهنود الذين كانوا يشاركون في الجيش البريطاني وحدث تصادم بينهم ولكن «آثرت» السلطات البريطانية عدم تصعيد الصدام وفتحت لهم الطريق ـ ولكن المؤامرة التي رسمها الأعداء لضرب هذا التحرك الجماهيري الشعبي تمت بطريقة أخرى فتم تحرش من قبل بعض اليهود وقيل إن قنبلة وضعها المندسّون انفجرت أثناء المسيرة ـ فثارت ثائرة الجماهير مما أدى إلى الاشتباكات بين العرب مسلمين ومسيحيين من جهة والأعداء بريطانيين وصهاينة من جهة اخرى. وهاجم العرب الحي اليهودي القريب من باب الخليل مما أوقع خسائر بين الأطراف المختلفة كانت حصيلتها بعد اسبوع من الاشتباكات، مقتل أربعة من العرب وخمسة من اليهود، كما اصيب ٢١١ يهودياً وسبعة من الجنود البريطانيين و١٣١ من العرب وأصدرت المحاكم أحكاماً بالسجن ضد ٢٣ شخصاً من بينهم الحاج أمين الحسيني وعارف العارف، اللذان فرا خارج البلاد إلى شرق الأردن فدمشق.

نحّت سلطات الانتداب موسى كاظم الحسيني عن رئاسة البلدية في القدس وعينت راغب النشاشيبي بدلا منه وادى هذا إلى تكريس الصراع العائلي والسياسي بين العائلتين مما كان له الأثر الكبير على الحياة السياسية والحركة الجماهيرية في البلاد. وبالرغم مما قامت به سلطات الانتداب من بطش وارهاب ومحاولة تقليص النشاطات الوطنية أثناء موسم النبي موسى وغيره من المواسم إلا أن الجماهير لم ترضخ لهذه الاجراءات. وبالعكس فانها زادت من تحديها لسلطات الانتداب ووجدت في المناسبة فرصة للتعبير عن أهدافها وشعاراتها الوطنية. ولذلك كانت الاجراءات تجرى على قدم وساق قبل فترة من الموسم وكانت المدن والقرى تتنافس للاعداد لهذا الموسم كما كانت تتنافس في الوصول إلى القدس قبل الوفود الأخرى مما أدى في بعض الحالات إلى اشتباكات بين وفود المدن المختلفة وخاصة بين وفود نابلس ووفود الخليل في الدخول إلى القدس والخروج إلى النبي موسى والعودة منه ولذلك تم الاتفاق على تعيين مواعيد محددة لدخول هذه الوفود ولوصولها إلى ساحة الحرم حيث يبدأ التجمع ومن هناك تنطلق الوفود إلى مقام النبي موسى.

الاعلان عن بداية مهرجانات موسم النبي موسى كان يبدأ من القدس ويتم في «يوم المناداة» قبل اسبوع من بداية الاحتفالات حيث يبدأ «الدلالون» أو المنادون بالطواف في الشوارع وهم «ينادون» بأن الاسبوع المقبل هو أسبوع النبي موسى وعلى الجميع أن يكونوا على استعداد لهذا الموسم والترحيب بضيوف القدس ورعايتهم وأخذ الحذر من الأعداء وأخذ الحذر من السرقات ومن كل المخالفات، وكان من أشهر الدلالين أو المنادين هو أبو عيد الدلال... والحاج أبو ندى.

بعد المناداة يبدأ اعداد البيارق أو الاعلام وكانت هناك عدة بيارق للعائلات أهمها بيرق آل الديسي وأشهرهم بيرق الشيخ عاطف الديسي، الذي كان دقّيق طبل وكاس من الـدرجة الأولى، وكذلك بيرق آل القزاز ومن رجالاتهم الحاج ناجي القزاز والشيخ أحمد القزاز والشيخ يوسف القزاز والحاج عمر القزاز، وهؤلاء عاشوا في البلدة القديمة في باب السلسلة في وقف آل القزاز ـ الحاج ناجي القزاز كان مؤذن المسجد الأقصى ـ وتسلم هذه الوظيفة عن والده وجدِّه منذ العصر التركي. الحاج ناجي والشيخ داود القزاز كانا من حملة بيرق القزاز وكانا مشهورين باجادة الدق على الطبل والكاس وكذلك كان هناك بيرق آل العلمي، وآل الحسيني وأهم هذه البيارق كان بيرق الشباب. . وكان في عهدة الحاج أحمد الطحان «شيخ شباب» البلد لفترة من الزمان.

بيرق كل عائلة كان له لون خاص ومكتوب عليه بعض الآيات القرآنية ولا أستطيع تذكر كل ألوان البيارق في القدس ولكن أذكر بيرق الشيخ عاطف الديسي فكان أخضر اللون مكتوباً عليه «لا اله الا الله» وكان ينطلق من جامع الشيخ جراح حيث يحفظ هناك دائماً، وكان يسبقه قارعوا الطبول والكاس، و«الكاس» هو قطعتان مثل الصحون المجورة من النحـاس يحملها دقاق الكاس ويضربهما ببعضهما البعض بنغمات موسيقية مع دقات الطبل بحيث تخرج نغمات متناسقة يتمايل على صوتها الموكب السائر وراء البيرق. أحياناً كان الشيخ عاطف يمتطي حصاناً ويسير في مقدمة الموكب واحياناً يكون راجلا أمام الموكب، وحملة البيرق الكبير الرئيسي وعدد من البيارق الأخرى يسيرون خلفه والموكب يردد الأناشيد الدينية والأهازيج الوطنية، ويتوجهون نحو دار البيرق في البلدة القديمة في القدس. وكنا نسير وراء هذا الموكب ونحن صغار ثم كبار ونشارك في الأناشيد والأهازيج.

أمـا باقي البيارق فكـان المسؤولون عنها يخرجونها من مكانها ويسيرون في مواكب مشـابهة ويتوجهون نحو «دار البيرق» في القدس وكانت حسبما أذكر هي دار الحاج أمين الحسيني في أحد الشوارع المتفرعة من الواد ولكن بعد خروج الحاج أمين الحسيني من البلاد أصبح تجمع البيارق في القدس يتم في دار مجاورة لساحة الحرم القدسي الشريف في باب السلسلة ـ وأصبحت بعد انتهاء الانتداب البريطاني ـ وضم الضفتين ومنع مواسم النبي موسى، أصبحت داراً للمؤتـمر الاسـلامي جعلنـاها مقراً للمستوصف الاسلامي التابع لجمعية المقاصد الخيرية في القدس.

تتجمع البيارق في دار البيرق ثم تنطلق إلى ساحة الحرم القدسي الشريف تتبعها المـواكب المقـدسية الكبـيرة وهـم ينشدون الأناشيد الوطنية. ومعظم هذه الأناشيد كانت

تمجيداً للحاج أمين الحسيني رمز الحركة الوطنية في تلك الفترة :

حاج أمين عزك دام — بلبقلك شك النيشان
حاج أمين يا منصور — وبسيفك هدينا السور
حاج أمين لا تعبس — بُدك عسكر لنلبس
يا ناصر الحق المبين — انصر زعيمنا الحاج أمين
يا ربنا بالبقرة — وبالرجال العشرة
تهلك ديار الكفرة — حتى يموتوا اجمعين

إضافة إلى أناشيد اخرى مثل :

انت سوريا بلادي انت عنوان الفخامة
أو نحن الشباب لناالغد . . ومجده المخلد .

وأناشيد اخرى عديدة ينشدها الجمهور. أما فرق الكشافة المختلفة التي كانت تشارك في المواكب فكانت تنشد:

نحن كشاف العرب — خير ركن للوطن

أما النساء فكن يشاركن بهذه المناسبة باطلاق الزغاريد تحية للجماهير أو يرششن ماء الورد أو الملبس على المواكب .

تبقى مواكب القدس في ساحة الحرم - وتشارك وفود القرى المجاورة في هذه التجمعات وبيارق لفتا والمالحة وبيت صفافا وقالونيا والقرى الشمالية عناتا وحزما وجبع والرام والشرقية سلوان ابو ديس العيزرية وتبدأ الدبكات والدلعونا والصحجات في هذه الساحة .

موكب الخليل كان يدخل من باب الخليل وكانت أهازيجه كثيرة ومتعددة وكان أهمها :

نحنا الخلايلة دوينا لفينا — في صخرة الله والحرم صلينا
صهيوني خذ ربعك وسير — هدي البلاد بلادنا
مندوب خبر دولتك — لندن مربط خيولنا

أما وفود نابلس فكانت تحضر مثلها مثل باقي الوفود سيراً على الأقدام أو «الكروسة» أو «العربات الحنطور» أو على ظهور الخيل وفيما بعد بواسطة الباصات . وكان الموكب يتوقف

في شرفة القدس ـ أرض السمار ـ حيث يتم تنظيم الموكب ثم ينطلق سيراً على الأقدام وسط هتافات وترحيب الجماهير التي تصطف لاستقبالهم. ولكن فيما بعد أصبح الموكب يختصر السير على الأقدام وينزل في ساحة المصرارة ثم يسير الموكب من باب العمود ـ الواد ـ باب السلسلة ثم ساحة الحرم الشريف. والنشيد الذي أذكره والذي كان يردده أبناء نابلس هو:

نحنا ولاد جبل النار   شوكه بحلق الاستعمار

اضافة إلى الأناشيد الوطنية الأخرى. ولم تحضر أي وفود «رسمية» من يافا أو حيفا أو غيرها من المدن ولكن المواطنين كانوا يحضرون للفرجة.

بعد وصول وفود الخليل ونابلس في يومين مختلفين تبدأ بهجة موسم النبي ـ خاصة أن هناك منافسة تقليدية بين الوفدين فكان كل وفد يتباهى بالدبيكة والدلعونا وإظهار فنون الدلعونة والدبكة الشمالية والدبكة الجنوبية. وكذلك المنافسة في الصحجة وخاصة صحجة «يا حريكو نريكو» وفيها يقف الفريقان المتباريان مقابل بعضهما البعض ويتنافسان في إنشاد أبيات الشعر بمدح انفسهما أو ذم خصومهما أو غير ذلك من أبيات الشعر الوطنية وغيرهما وينهيان بيت الشعر بقولهم «يا حريكو نريكو».

حماسة الدبكة والمغنيين للدلعونة وغيرها والمنشدين كانت تزداد بتشجيع الجماهير في ساحة الحرم الشريف وخاصة النساء منهن. وكان كل واحد منهم يتفنن في إظهار مواهبه. وكان أشهر الدبيكة هو «ابو الشعر» عبد اللطيف أبو سنينه من الخليل. وكان طويل القامة ـ طويل الشاربين ـ طويل الشعر ـ منسدلا على جانبيه. وكان البعض يشيع أنه يضع خرزاً في شعره حتى يصدر صوتاً أثناء الدبكة.

العائلات العديدة من القدس ومن مختلف المدن والقرى المجاورة كانت تقضي طوال النهار في ساحة الحرم القدسي وكانت «شطحة» طويلة يحضرون فيها الطعام والشراب وتفترش الساحات الخضراء الكبيرة، ويحضرون طعامهم معهم وخاصة «اللحمة على ورقة» و«الكبة» و«الفلافل» و«الجبنة» وغيرها من الأطعمة أو يشترون «الكبدة» و«اللّية ولحم» وغيرها من الأطعمة من الباعة المتواجدين في ساحة الحرم أو الساحة المجاورة خارج سور الحرم.

أما الأولاد فبالاضافة إلى لعبهم في ساحة الحرم فانهم كانوا يلعبون في الساحة المجاورة للحرم ـ لعب المراجيح ـ ولعبة الثلاث ورقات والثلاثة فناجين واليانصيب المختلفة.

يوم الجمعة يكتمل نصاب الوفود وتبدأ بالتوجه نحو باب الأسباط للنزول إلى مقام النبي موسى.

نزلــة البيـــرق

يوم الجمعـة، يوم نزول أو «نـزلـة البـيرق» الى النبي موسى كان يوماً مشهوداً في القدس، الجماهير كانت تتجمع في الصباح الباكر، حتى البعض منها كان ينام في «لواوين» الحرم والأحياء المجاورة حتى يكونوا في الصفوف الأمامية لمشاهدة المواكب. وبما أن الموكب والبيارق تمر من باب حطة ثم تتوجه منه بمحاذاة سور دير الصلاحية إلى باب الأسباط فكانت كل الدور المتاخمة لهذا الطريق والأسوار والأشجار تغص بالمواطنين صغاراً وكباراً ذكوراً وإناثاً.

أهم المواقع الاستراتيجية للمشاهدة كان سور مقبرة باب الأسباط الممتدة من باب الأسباط وعلى طرفي الشارع إلى طريق الجثمانية فقد كان السور عالياً ومطلا على الموكب. اما فيها تبقى من الطريق من الجثمانية إلى رأس العامود فالعيزرية فالخان الأحمر فالنبي موسى فكانت تأتي في المرتبة الثانية.

حملة البيارق كانـوا يتجمعـون في ساحة الحرم الشريف وأهم البيارق كان يحملها الوجهاء وكل عائلة تفوض حاملا لبيرقها فكان حافظ الدجاني يحمل بيرق آل الدجاني أو بيرق النبي داود وفؤاد القطب يحمل بيرق آل قطب، وسعيد زايد بيرق الشباب، وفي فترة أخرى كان يحمله الحاج حافظ الطحان، والحاج عمران القزاز يحمل بيرق القزاز، والشيخ عاطف الديسي أو من يمثله بيرق الديسي، وهناك كثيرون غيرهم يحملون البيارق مثل الحاج جودت الحلبي، صالح عبده، أحمد القرجولي، حسين قليبو وغيرهم وهذا يعتبر شرفاً كبيراً لهم فهم يسيرون في المقدمة ـ يسبقهم جماعة «يا حلالي يا مالي» وكانت هتافات الهتافين الذين يحملونهم على الأكتاف.

«يـــا حلالــــي يا مالــــي   يا ربـعــــي ردّوا عليـــــا»

ثم يتاعبون هتافاتهم و«شعاراتهم» وبعد كل هتاف أو شعار يقولون: يا حلالي يا مالي والناس تردد هذه الشعارات والأهازيج.

أطلق الناس على هذه الأناشيد أو الأهازيج «شوباش النبي موسى» وهناك فئة كانت متخصصة في هذه الأهازيج ومنهم الصحصاح، وأبو يوسف، وبدوي حلس واسعد حلس واحمد شاهين وغيرهم كثيرون.. وهم من المقربين من المفتي ومحسوبين عليه. ولذلك معظم

شعاراتهم أو أهازيجهم كانت خليطاً من الأناشيد و«القريديات» الوطنية وفي مدح وتمجيد الثورة والحاج أمين وضد الصهيونية والانتداب، وبعض التواشيح الدينية مثل:

العنكبوت خيم عالزين. . . خيم على الزين وحماه.
وينتهي البيتان بقول لا اله الا الله

وينتهي الهاتفون، ويسبقهم في بعض الحالات «لعيبة السيف والترس» ويتبارى هؤلاء في إظهار مهاراتهم وفنونهم فيقومون بحركات «بهلوانية» بالقفز أو مهاجمة الخصوم أو «ترقيص السيف والترس» إما بوضعه فوق الرأس أو خلف الظهر أو بقذفه في الهواء ومن ثم التقاطه. ومعظم هؤلاء كانوا يلبسون الصدرية البيضاء اللامعة فوق قميص أسود وسروال أسود مما يعطيهم منظراً جميلا أخاذاً.

أما فرق الكشافة والفرق الموسيقية ـ وللعلم فان سلطات الانتداب كانت ترسل فرقة موسيقية للعزف أثناء موسم النبي موسى ولكن لم أر هذه الفرقة ولا أعلم أين كانت تعزف، ثم الفرق الموسيقية التابعة للكشافة والمدارس ودار الأيتام الاسلامية كانت تسير على جانبي الموكب. حتى يصل إلى باب الأسباط ثم تسير خلفه لمسافة قصيرة.

الحاج أمين الحسيني كان يتصدر المسيرة ـ وقبله كان شقيقه كامل الحسيني ـ وبعد خروج الحاج امين من فلسطين لم يتم اختيار خلف له لقيادة الموكب ـ ولكن «جميل الحسيني» كان المسؤول الأول عن «النبي موسى» في المقام وغير ذلك من الأمور. الحاج أمين كان يسير في مقدمة الموكب حتى يصل إلى باب الأسباط ومن هناك كان يمتطي حصاناً أبيض ويمتطي باقي الوجهاء احصنتهم ويحملون بيارقهم ويسيرون نزولا حتى شارع الجثمانية ـ وزغاريد النساء وهتافات «الهتيفة» وأنغام الموسيقى تملأ المكان ـ واضافة إلى الزغاريد فقد كانت النساء ترش الموكب بماء الورد أو الملبس أو الورود.

الموكب كان يسير ببطء حتى يصل إلى راس العامود فيتحرك بسرعة اكثر حتى يصل إلى مقام النبي موسى بعد عدة ساعات. قبل أيام السيارات، كان الجميع يستعمل الخيل أو «الحناطير أو الكروسات» أو يسير مشياً على الأقدام. أما بعد انتشار السيارات فقد كان الموكب ينتقل بالسيارات من راس العامود إلى النبي موسى وادي هذا إلى اختصار الوقت ولكنه أفقد المهرجان كثيراً من بهجته ورونقه.

يقع «مقام النبي موسى» جنوبي شرقي القدس ويتم الوصول اليه من مفرق النبي موسى القريب من الخان الأحمر ويبعد بضعة كيلو مترات عن هذا الطريق ـ وطبعاً النبي موسى ليس مدفوناً هناك ولكن لسبب أو لآخر يوجد مقام هناك للنبي موسى، فيه قبر ومقام

داخل عمارة كبيرة تتكون من أكثر من أربعين غرفة توجد الدكاكين والمخازن والمطابخ في الدور الأرضي اما الدور الأول فمخصص لتناول الطعام والمبيت لذوي الحظوة والمقربين.

هنـاك مطبخـان رئيسيان للقيام بواجب الطبخ والضيافة احدهما يشرف عليه آل الحسيني ـ والآخر يشرف عليه فخذ اخر آل يونس الحسيني ـ ويتوجب على هذين المطبخين اطعام هذه الأعداد الكبيرة من البشر الذين يتوافدون أثناء الموسم. أما الطعام فكان اللحم المطبوخ باللبن والأرز وكان المحظوظون أو الأصدقاء الذين يحضرون باكراًيحصلون على القطع الكبيرة والكمية الوفيرة اما من يحضر متأخراً فعليه أن يقبل بما قسم له.

الغرف العليا لم تكن عادة مخصصة للنوم بل للراحة والطعام ولكن معظمها كان يخصص للنوم في الأيام الأولى من الموسم.

دائرة الأوقاف الاسلامية والمجلس الاسلامي الأعلى كان يقوم بتحمل تكاليف هذا الطعام والاشراف على المقام ونظافته وكنت اسمع أن هناك وقفاً مخصصاً لمقام النبي موسى ولكن لا أعرف التفاصيل عنه.

الألوف المؤلفة كانت تتوافد على مقام النبي موسى ـ اكثرها من الرجال ـ ولكن في الأيام التالية كانت النساء يحضرن لمقام النبي موسى للتبرك أو لإيفاء نذر أو «لتطهير» ختان أولادهن ـ فقد كانت الكثيرات منهن ينذرن بأن يطهرن ابناءهن تحت شباك النبي موسى لتحل عليهم البركة والرعاية. ولذلك فقد كانت تقام المخيمات الكثيرة المتعددة فوق مساحة شاسعة من الأرض الصحراوية المجاورة للنبي موسى ـ حيث لا يوجد سوى عدد قليل من الأشجار وحيث كانت المياه شحيحة يحصل عليها من بئر قديم يسمى «بير الراعي» وفيما بعد تم ايصال المياه الى مقام النبي موسى بحيث زالت ازمة المياه.

المعسكرات أو المخيمات كان لها صبغة «اقليمية» كل بلد أو قرية في مجموعات معينة وهذه المجموعات كانت تقوم بنشاطاتها الفنية المتعددة أمام «معسكرها» وفي الساحة العامة أمـام المقـام. وكانت الدبكات والصحجات وأغاني الدلعونا والأناشيد والتواشيح الدينية والمواد ودقات الطبول والموسيقى وحفلات «الذكر» تملأ المكان بحيث يستطيع الانسان قضاء اسبوع كامل دون أن يستطيع «التمتع» بشكل كامل بهذه الحفلات الفولكلورية ـ الوطنية كلها.

التجـارة كانت جزءاً هامـاً في هذا الموسم فقد كان التجار ينصبون «عرايش» من الخيش لبيع مختلف أنواع السلع على بسطاتهم البدائية وكذلك أصحاب المطاعم تفننوا في

عرض بضائعهم واغراء الزبائن برائحة الكباب المشوي على الفحم ـ وكان «النش» على الفحم يتسبب في نشر رائحة الشواء لمسافات بعيدة ويغري الجائعين الذين لم ينالوا «اللحم واللبن» بالأكل، وطبعاً كان هناك الباعة المتجولون، وأكثرهم عملا وطلباً هم بائعوا الخروب والعرقسوس الذين كانوا يحملون «اكوازهم» الفخارية المزوقة وذات «البعبوزة» الطويلة المكسوة بقطعة من نحاس وعلى وسطهم «محمل» من معدن خفيف يضعون فيه الكاسات وعلى جانبهم شنطة صغيرة من الجلد يضعون فيها النقود. أمااليد اليمنى فكان بها طاستان يفصل بينهما اصبع البائع فيقوم بتحريكهما حركات متتابعة وبشكل سريع فتخرج منها نغمات موسيقية «راقصة» ـ وهو ينشد ـ بشكل منغم «شفا وخمير». . «جرب وشوف. . . جرب تمر هندي . . . أو سوس وخروب مبرد»، الى آخر اغانيه الشجية مما يدفعك في هذا الحر اللافح الى الاقتراب منه وطلب كوب مما يبيعه فيخرج الكوب «من المحمل» بيده اليمنى التي تتوقف عن الضرب و«يشطف» الكوب النحاسي المزوق ببعض قطرات الماء من ابريق نحاسي يحمله في يده اليسرى ثم ينحني بكل جسمه ويضع الكوب امام «البعبوزة» ولكن ما إن ينزل السائل حتى يبعد الكوب ويرفع جسمه قليلا فينزل السائل بقوة بحيث تكون له «رغوة» أو «فورة» تعطيه منظراً مثيراً للعاب، فتأخذه وتبلعه وتروي ظمأك ولا تسأل عن أي شيء آخر.

طبعاً كان هناك بعض بائعي البوظة والدندرمة والاسكيمو وكل ينادي على بضاعة بنغمة حلوة جميلة: «دندرمة رز بحليب. . تعال اتفرج يا حبيب. . اسكيموا ـ بركس ـ اسكيمو. . -ليمون ـ ليمون طازة. . ليمون مثلج، كعك ـ كعك وفلافل. . كعك. . كعك وبيض، عصير. . عصير. . ليه ولحم كبيبة، طحل ومعاليق».

وسائل الترفيه البريئة كانت متوفرة على شكل المقاهي، مثلها مثل المطاعم والمتاجر، تحت عرائش من الخيش. وكانت أصوات طاولة الزهر والدومنو تملأ المكان مع اصوات «الأراجيل» ورائحة التبغ إضافة إلى أصوات «واحد شاي وصلحه واحد قهوة عالريحة» إلى آخر هذه الطلبات.

أما الأصناف التي كان يهتم بها الأولاد فكانت الحلويات والألعاب. أما الحلويات فأشهرها كانت «حلاوة النبي موسى» وتصنع خصيصاً لهذه المناسبة. وهي حلاوة بيضاء ناصعة تتخللها حبوب الفستق الحلبي الخضراء اللون وأحياناً الجوز، ولكنها قاسية جداً بحيث كان البائع يكسرها بالازميل ويلفها لك في قطعة ورق من دفتر قديم او جريدة، وكان من الصعب تكسيرها في الفم فلذلك كنا نكسرها قطعاً صغيرة ونضعها في فمنا حتى تذوب وعند ذلك تتذوق حلاوتها اللذيذة ويمكن مضغها بحيث تصبح مثل اللبان وتلصق

بالأسنان ولذلك لم يكن أصحاب «طقوم الأسنان» أو «الأسنان العيرة» يتناولونها لأنها كانت تسبب إحراجاً لهم بحيث تلتصق «الضبتان» العلوية والسفلية ببعضهما البعض وتسقطان من الفم.

والحلويات الأخرى كانت «شعر البنات» أو ما يسمونه غزل البنات ـ والهريسة والبسبوسة والمهلبية وحلاوة السمسمية والجزرية واللوزية وحلاوة جوز الهند وغيرها من الحلويات، والمملحات كان الترمس والفول والبزر والفستق وغيرها.

أما الألعاب فكانت المراجيح المتعددة الأدوار، والمراجيح الدوارة، والمراجيح الفردية والألعاب الاخرى المشابهة للألعاب الأخرى التي عرفناها في ساحة الحرم أيام الأعياد المختلفة أما ألعاب الكبار فكانت سباق الخيل والفروسية ولعبة السيف والترس ولعبة «التبان» ولعبة المصارعة «غير المصارعة التي نراها الآن» والمنافسة في ثني الأذرع وحمل الأثقال وغيرها من الألعاب.

«القرداتية» الذين كانوا يرقصون القرود كانوا يثيرون الاهتمام ويستحوذون على أكبر عدد من المشاهدين الصغار وكنا نسر لمرآهم وهم ينامون «نومة العجوز» أو «يعجنون عجين الفلاحة» أو «يضربون سلام تعظيم» إلى آخر العابهم المعهودة ـ والذين كانوا ينافسونهم في جمهور الأطفال هم لاعبو «الجلاجلا» أو «السحر» أو «السيما» التي كانت كلها عمليات خفة يد غير معقدة، اخراج عصفور بدلا من المنديل أو ألعاب بسيطة أخرى.

بالطبع كان هناك أشياء غريبة تعرض في الموسم مثل «الراس بدون جسم» فقد كنا نشاهد رأسا آدمياً فوق صندوق لايتجاوز ارتفاعه حوالي ثلاثين سنتميتراً وهو يتكلم ويرد على الاسئلة ويغني ويصفر ويشرب ويأكل ويقولون لنا انه هكذا رأس بدون جسم، وكنا ننظر تحت الصندوق فلم يكن هناك أي جسم تحته بل كان هناك فراغ وكدنا نصدق.

إننا سمعنا من بعض الكبار أن هذا ليس رأساً وحده ولكن هذا الشخص «مقدوع» أي جسمه صغير جداً وقد حشر في الصندوق وأبقى رأسه خارجاً.

هذه كانت مجالات اللهو البريئة ـ طبعاً كانت هناك مجالات غير بريئة ولذلك كان الناس ينظرون دائماً إلى الجو وعندما يظهر بعض الغبار يقولون «غبرت» ويعني هذا أن امراً منكراً قد حدث...

من أهم مظاهر موسم النبي موسى «حفلات» الطهور» أو الختان. فقد كانت تجرى تحت شبابيك النبي موسى تنفيذاً لنذر الوالدة أو تبركاً.

وكانت العمليات تجري علناً. بالنسبة للأطفال الرضع كان الأمر سهلا جداً فلا يحس بها الطفل أما الأطفال الأكبر سناً فلم يكن الأمر بهذه السهولة فقد كانوا يمانعون ويعارضون ولكن أما بالرشوة بالحلويات أو الألعاب أو بالقوة «والغصب» كانوا يضعون الطفل تحت تصرف «المطهر» فاذا كان ساكتاً وساكناً كان «المطهر» يرفع ثوب الطفل ويقول له «شوف الحمامة فوق فوق. . . » فيرفع الطفل رأسه إلى أعلى ويتوجه تفكيره إلى الحمامة فوق فيقوم المطهر بلمح البصر باجراء عملية الختان ويضع الرشوش والرباط على مكان العملية بسرعة البرق وتنطلق الزغاريد والهتافات والأغاني على دق الطبول والدفوف وتبدأ زفة المطهر ويتوقف نوع الزفة على قدرة العائلة المالية ومكانتها الاجتماعية. فاذا كان موسراً فهناك الفرس الأبيض حيث يركبون الطفل فوقها وهو لابس دشداشة بيضاء مطرزة وطاقية بيضاء مطرزة بالذهب. اما إذا لم يكن موسراً فالزفة تكون وهو محمولا على يدي والده أو عمه أو سائراً على قدميه وكانت أغاني زفة الطهور كثيرة أهمها:

«منين أزفك يا مطهر. . . منين منين من القلعة. . . لرأس العين

أو:

وقفوا اللحامة صفين صفين   منشان أبوك يا نور العين.

وذلك تكريماً لوالده إذا كان لحاماً وتتغير الكلمات حسب وظيفة أو عمل أبيه أو عمه أو خاله أو أخيه فمثلا تتغير الأغنية إلى:

وقفوا الحلاقين صفين صفين   منشان خالك يا نور العين
وقفوا الكندرجية صفين صفين   منشان عمك يا نور العين

إلى آخر الأقارب والمهنيين.

ويتكرر هذا الموكب وهذه الأغاني بعد طلعة البيرق حيث يتم زف المطهرين بالاسلوب نفسه في الموكب الذي ينتقل من النبي موسى إلى القدس.

وكانت تحدث طرائف عديدة اثناء عملية الطهور فلم يقتصر الختان على الرضع والأطفال الصغار بل كانت تشمل كبار السن واذكر منهم شيخاً بدوياً عجوزاً أراد أن يقوم بالعملية لأنه حسب قوله كان يريد الذهاب إلى «الحج» ولا يستطيع ذلك قبل عملية الختان، وقد تحمس له الجمهور كثيراً ودوت الزغاريد والهتافات والدق والطبل والغناء له مما لم يحدث له مثيل سابقاً وانتهت العملية بسلام وسار وسط زفة كبيرة. . . مجاناً.

أما الجراحون الذين يقومون بهذه العمليات منهم فئة محترفة معظمها من الحلاقين الـذين كانوا يقومون بالحلاقة والحجامة والتطبيب وغيرها. وأشهر هؤلاء الحاج حافظ أبو غزالة ـ والد محمد أبو غزالة أبو داود الذي ورث هذه المهنة عن أبيه وجده والذي قام بعملية ختان أولادي ١٩٦٢ و١٩٦٣)، وكذلك المغربي (وهناك اثنان أو ثلاثة منهم ـ احدهم والد الدكتور عبدالله المغربي) وهؤلاء كانوا يعملون في القدس وغيرهم كثيرون. وكانت هناك فئة أخرى هي الفئة «الموسمية» التي تظهر في مثل هذه المناسبات ومعظم هؤلاء من «الأكراد» الـذين يجوبون البلاد حاملين «عدة الشغل» معهم ويقومون بعملياتهم في القرى والمدن والمواسم بأسعار أرخص وبنتائج لا يعلمها إلّا الله.

«طلعة» البيرق

التجمع الشعبي الفلسطيني في النبي موسى والذي يستمر اسبوعاً لم يقتصر نشاطه فقط على المتعة والترفيه فقد كان هناك جانب آخر وهو الجانب السياسي وبالرغم من أن الحاج أمين الحسيني كان الزعيم الفلسطيني الذي استقطب معظم الجماهير الوطنية حوله والتي كانت تتغنى بأمجاده وانجازاته الوطنية في الأهازيج «والمديحيات» والتي تركزت حول «سيف الـدين الحاج أمين» و«حاج أمين يا منصور» وغيرها من الأهازيج إلا أن الفئات المعارضة لسياسة الحاج أمين من الأحزاب المعارضة والثورة المضادة لم تترك المجال مفتوحاً أمـام المجلسيين فقط ولذلك كانت تقوم مظاهرات «وشوباشات» في النبي موسى تأييداً لراغب النشاشيبي والمعارضة وتنقلب الهتافات الى:

راغب بك يا منصور وبسيفك هدينا السور
راغب بيك لا تهتم ورجالك شريبة دم

وتكاد تنقلب هذه التظاهرات إلى معارك دامية لولا حكمة البعض وتوسط البعض الآخر لانهاء هذه المشاحنات سلمياً بلا غالب ولا مغلوب!

أثناء وجود الحاج أمين في مقام النبي موسى، كانت تعقد الاجتماعات والندوات السياسية ولكن بعد خروج الحاج أمين من البلاد ١٩٣٧ تقلص دور هذه الندوات السياسية كثيراً وكذلك فقد موسم النبي موسى جزءاً من رونقة ومن كونه وسيلة سياسية تتحدى قوات الانتداب والصهيونية.

لم يقتصر «موسم النبي موسى» على القدس فقط بل شمل مدناً وقرى كثيرة في فلسطين وأهمها ما كان يجري في غزة ويسمى عيد أو موسم «المنطار» أو «خميس المنطار» والبعض كان يطلق على العيد «خميس البيض» أو «عيد باب الدارون» حيث تقوم احتفالات «النبي موسى» من مواكب دينية تشارك فيها الفرق الدينية المختلفة ببيارقها ومواكبها وأناشيدها وطبلها وزمرها، كما تشارك فيها المدارس والفرق الموسيقية الشعبية مثل فرقة «فدعوس» وغيرها من الفرق وتتوجه من والى جبل «المنطار» الذي يبعد مسافة قليلة عن وسط البلد. وأساس التسمية كما يتناقلها أهالي غزة والتي رواها لي الأخ أبو صلاح هي كما يلي: «عاش في غزة رجل صالح تقي ورع كان يقوم بالصلاة والامامة والهداية لفترة طويلة وكان اسمه «الشيخ علي المن» انتقل الى رحمة الله وعندما قاموا بتشييع جثمانه خرج من التابوت وطار ونزل فوق رأس الجبل فقالوا المن طار واندمجت فيما بعد فأصبحت المنطار وأصبح هذا الجبل يسمى جبل المنطار. والله أعلم».

وما كان يجري في غزة وغيرها كان يجري كذلك في القدس في خميس البيض، فقد كانت هذه العملية عريقة في التاريخ وهي عادة يهودية قديمة توارثها وتناقلها المسيحيون ثم أصبحت عادة تناقلها المسلمون، وأصبحت جزءاً من احتفالات النبي موسى، فالمسلمون والمسيحيون يصبغون البيض في هذه المناسبة ويتفننون في تلوينه ولا يمكن مقارنة تلوين البيض في السابق مع تلوينه في الوقت الحاضر باستعمال التكنولوجيا والأصباغ الحديثة. معظم الألوان كانت بسيطةومن لون واحد أما بوضع قشور البصل أو أوراق الجوز أو غيرها من النباتات فيخرج البيض بألوان حمراء وخضراء ويمكن استعمال «الدهان» لتلوينه. وكنا نحمل البيض ونتبارى بين بعضنا البعض في اكتشاف أيهم أصلب من الأخرى في مباراة «تطقيش البيض» فكل واحد يحاول كسر بيضات الآخرين. والبعض كان يلجأ للغش والخداع فمثلا كانوا يقومون بصنع بيض من الحجر الأبيض وذلك بنحت حجر كلسيَ على شكل بيضة ويحملونها ويدورون على الأولاد ينافسونهم ويكسرون بيضهم حتى يتم اكتشاف أمرهم فينالون عقابهم.

مدينة القدس اثناء احتفالات النبي موسى كانت تعج بالجماهير من مسلمين ومسيحيين فقد كانت الفئتان تحتفلان بمناسبة واحدة في الوقت نفسه: المسلمون يحتفلون موسم النبي موسى والمسيحيون يحتفلون بعيد الفصح. وبالرغم من وجود عدد كبير من سكان المسلمين في مقام النبي موسى الا أن أعداداً كبيرة من القدس والمدن والقرى المجاورة كانت تملأ الأسواق وباحات الحرم الشريف والبيوت والمنازل وكانت تشارك

المسيحيين في «الفرجة» على المواكب المسيحية التي كانت تسير في القدس في هذه المناسبة. أما المسيحيون فقد كانوا يتوافدون على القدس من المدن والقرى الفلسطينية ومن شتى أقطار العالم. فقد كان هذا العيد من أهم الأعياد المسيحية ومواكبه أهم من مواكب أعياد الميلاد.

عيد الفصح عند المسيحيين يستمر بشكل «رسمي» لمدة اسبوع والاعداد له كان يبدأ قبل ذلك بمدة طويلة والاحتفالات تستمر بعده بمدة طويلة علماً بأن التوقيت كان يختلف بين طائفة واخرى. اللاتين والأرثوذكس والبروتستانت والأقباط والأحباش والسريان ولكن أهمها كان ذلك الذي يتواكب مع موسم النبي موسى.

تبدأ الاحتفالات رسمياً «بأحد الشعنينة» أو «أحد النخلة» أو «عيد العزير» أو غيرها من الأسماء الكثيرة التي كانت تطلق على هذا اليوم، ويبدأ الموكب من العيزرية وينطلق الى بيت فاجا فالالايا ـ فالجثمانية ـ فباب الاسباط ـ فالصلاحية ـ فالواد ـ فعقبة السرايا، فباب خان الزيت فعقبة الخمارات فحارة النصارى حتى يكملوا طريق الآلام ومراحله الستة عشرة. في مقدمة الموكب كان يسير «القواص» وهو يحمل عصا طويلة لها رأس معدني مزخرف، وكذلك كان اسفلها مغطى بغطاء معدني سميك بحيث كان القواص يرفعها الى أعلى ويخفضها الى أسفل بشكل منتظم ضارباً الأرض بها فيصدر عن هذا الارتطام صوت عال بشكل موسيقي متناغم. أما ملابسه فكانت الشروال الأسود والصدرية المقصبة ويلبس على رأسه طربوشاً عادياً أو في بعض الحالات طربوشاً قصيراً له «شرشوبة» طويلة جداً ويحمل سيفاً على جانبه بحيث كان هذا الملبس يعطيه طابع المهابة والاحترام والاناقة.

هؤلاء القواصون كانوا مسلمين ومن عائلات متعددة يتوارثون هذه المهنة أبا عن جد، ويعود تاريخ هذه «المهنة» إلى عهد عمر بن الخطاب فبعد فتح القدس واستقرار الأمر فيها للمسلمين وحتى يحافظ على سلامة البطاركة المسيحيين أثناء تنقلهم وتجوالهم عين لكل بطريرك حارساً خاصاً من «الفتوة» يسير أمامه ليفسح الطريق وليؤمن الحماية له واستمرت هذه العادة حتى أيام الصليبين وبعد عهد صلاح الدين حتى عهدنا هذا!! وهناك عائلات كثير من القدس وخارجها عملوا في هذا المجال المحتسب، سمارة، الدجاني، شهوان، وغيرها من العائلات. بعد القواص مباشرة كان يسير «البطرك» أو البطريرك بملابسه المزركشة وقلنسوته المطرزة وعصاه المطعمة بالعاج والفضة يحف به عدد من المطارنة والقساوسة ورجال الدين، ويحف بهم على الجانبين حاملو سعف النخل ـ أحياناً سعفة كاملة من النخل واحياناً قطع من سعف النخل مجدولة على شكل عادي أو على شكل صليب

وكذلك حاملو الصلبان وحاملو الشمع الطويل كبير الحجم ـ وتحف بهم مواكب الكشافة والفرق الموسيقية ـ وكان أهلنا يروون لنا أن البطرك كان يركب حماراً ويضع على رأسه تاجاً من الشوك اسوة بالمسيح الذي سار على هذا الدرب بعد أن وشى به يهوذا الاسخريوطي في العشاء الأخير أو «العشاء السري» وقاده الجنود الرومان للمحاكمة ولكن لا اذكر انني شاهدت ذلك.

بعض الجماهيرَ مسلمون ومسيحيون كان يتبع هذا الموكب والبعض الآخر كان يراقبه من مقبرة باب الأسباط والسور، وسور الصلاحية، ومختلف الأماكن العالية المطلة التي يمر بها الموكب في طريق الآلام التي ذكرتها سابقاً وينتهي الموكب في كنيسة القيامة حيث تقام الصلوات.

يوم الخميس كان «خميس الغسل» عند المسيحيين حيث كان المسيحيون يقومون بغسل قدمي البطرك كما غسل الحواريون قدمي المسيح ولم يكن هناك أي مواكب رسمية بل تقتصر المراسم على رجال الدين الذين يذهبون للصلاة في مواكب صامتة.

يوم الجمعة هو يوم «الجمعة الحزينة» ويأتي بعدها «سبت النور» حيث تقام الاحتفالات بظهور النور وتقوم الطائفة المسيحية بالاحتفال بهذا السبت وكذلك في اليوم التالي وهو يوم الأحد وهو عيد الفصح وبعدها تنتهي الاحتفالات ويتفرق الناس ويعودون من حيث أتوا.

مساء الأربعاء يبدأ زوار النبي موسى استعداداتهم «لطلعة البيرق» صباح اليوم التالي تغادر البيارق والوفود الرسمية مقام النبي موسى متوجهة إلى القدس حسب الترتيب الذي دخلت فيه وفي طريق العودة يتوقف الموكب في راس العامود ـ سلوان حيث ينزلون في «خيمة الباشا» وهي خيمة كبيرة ينصبها أهل سلوان لاستضافة الحاج أمين الحسيني ورفاقه وموكب النبي موسى بحيث يتم نحر الخراف وإعداد الطعام لهذه الوفود ـ وقد كان أبو كامل الغول يذبح ما لا يقل عن عشرين خروفاً لهذه الغاية. وينزل الوفد في الخيمة بينما تقوم فرق الدبكة خاصة من السواحرة وسكان سلوان والتعامرة وسكان القرى المجاورة باحياء حفلة خاصة بهذه المناسبة، كما كانت تقام سوق كبيرة لبيع كافة البضائع إضافة إلى المأكولات والمرطبات تماماً مثل النبي موسى. بعد الطعام والاستراحة ـ يصل وفد من حملة البيارق من وادي الجوز والقدس ليدعوا الموكب إلى القدس ويبدأ الموكب سيراً على الأقدام وعلى ظهور الخيل، يتقدمهم لاعبوا السيف والترس، وضاربوا الكاس والطبل وكذلك كان يتقدمهم أحد

الرجال الماهرين في الرقص والايقاع ضخم الجثة، شعره طويل وشاربه طويل جداً وهو يلف عنقه وصدره بثعبان كبير يتلوى معه على الأنغام الراقصة.

الحاج أمين كان يسير في مقدمة الموكب وحملة البيارق و«جماعة الشوباش» يحفون به وينشرون مدائحهم وقصائدهم ويتبعهم حملة البيارق المختلفة من المدن والقرى العديدة حتى يصلوا إلى باب الاسباط ومنها إلى طريق الصلاحية، فالى طريق الروضة ـ فالى الواد ـ فالى المجلس الاسلامي الأعلى حيث يدخلون الحرم من هذا الباب وتستمر الاحتفالات في ساحات الحرم القدسي الشريف.

ما إن تدخل البيارق الحرم حتى يتبارى حملة البيارق في رفع بيرقهم إلى أعلى شجرة في الحرم وغالباً ما كان «الخلايلة» يفوزون بوضع بيرقهم على أعلى شجرة في الحرم.

تستمر حلقات الدبكة والأغاني والدلعونا على أشدها وكما ذكرت كان بطل الدبكات «أبو الشعر» عبد اللطيف (أبو علي) أبو سنينة وكان يعمل مباشراً في محكمة الصلح.

وقد كان شباب القدس يتجمعون في باحات المسجد ـ كل حارة مع بيرقها ـ بيرق الشيخ لولو، بيرق الشيخ ريحان، بيرق الشيخ جراح، بيرق الشيخ حسن، وغيرها من البيارق، وكذلك القرى والمدن المختلفة وكانت حلقات الذكر تأخذ مكاناً كبيراً من الاحتفالات.

وكانت هناك الأناشيد الوطنية التي ذكرناها سابقاً ولا استطيع أن أذكرها لضيق المجال... وأهم الهتافات أو الأناشيد كانت:

يا لجنة تنفيذية	شوفي شباب العربية
مجموعين من الشمال	شرق وغرب وقبلية
يا قدس مقدسة	نملك في أيدينا
والله ما نفرط فيكي	ما دامت الحياة فينا
يا زعماء وفدنا	عرفوهم بقصدنا
اطلبو منهم حقنا	بكل سهولية

أما أغاني الدلعونا فكانت كثيرة جداً، وكما ذكرت سابقاً كانت هناك أغاني الدلعونا الوطنية وبعض الأبيات التي كان يوحي بها المقام......

وكانت فرقة دار الأيتام الاسلامية بقيادة أحمد صبري أباظة «أبو عثمان» تعزف الموسيقى طوال النهار والليل وكذلك باقي الفرق الموسيقية حتى مساء الجمعة حيث تنتهي الاحتفالات الرسمية وتغادر البيارق مدينة القدس بنفس الأبهة والمهابة التي دخلت بها المدينة ويعود الزوار من حيث أتوا.

آخر احتفال بموسم النبي موسى حضرته كان عام ١٩٤٦ وكان أقل حماساً وأقل حضوراً وأبهة وروعة من سابقاته ولم احضر موسم ١٩٤٧ الذي كان آخر المواسم التي تشهدها فلسطين.....

كلمة شــــكر

أودّ أن أتقدّم بالشكر لسماحة الدكتور عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية السابق لتكرّمه بالايعاز بتزويد بتقرير عن مقام النبي موسى ،وبصور ومخططات حديثة للمقام. أعدّتها دائرة الأوقاف في القدس.

كما يسرّني أن أنوّه شاكراً بمساعدة السيد المهندس بلال حماد الذي قام بتصغير هذه المخططات، وأشكر كذلك السيد يوسف عبيد في الجامعة الأردنية الذي تكرّم برسم خريطة موقع مقام النبيّ موســى.

كما أتقدّم بالشكر لزوجتي التي وفّرت لي الجو الملائم للعمل في هذا الكتاب وفي سائر كتبي.

كامـل العسلـــي

المصـــادر والمراجـــع العربيـــة

- أمين، حسين احمد،
دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين (الفصل المعنون «تأملات في أمر أولياء الله الصالحين»)، بيروت، القاهرة ١٩٨٣.

- البحيري، صـــلاح الديـــن،
جغرافية الأردن، مكتبة الشرق، عمان. ١٩٧٣.

- البخـــاري، محمد بن اسماعيل، (ت)
صحيح البخاري، المطبعة الخيرية بحوش جمالية مصر المحمية سنة ١٣٠٤ هـ.

- البرغوثي، عمـــر الصالـــح،
تاريخ فلسطين، القدس ١٩٢٣.

- ابن البطريق (البطريرك افتيشيوس) : ويليه ناريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي :
كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٩.

ابن بطوطة، محمد بن عبدالله
رحلة ابن بطوطة، ج١، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٩٨١.

- البكري الصديقي، مصطفى،
الخمرة المحسيّة في الرحلة القدسية، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٣٨٤ (نسخة خطية منقولة بخط المؤلف).

- ابن تغري بردي، جمال الدين بن أبي المحاسن يوسف،
المنهل الصافي، مخطوط باريس رقم Ar. 2069

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف،
النجوم الزاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ج٧، القاهرة، د. ت.

- التـــوراة،
سفـــر التثنيـــة.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري أبو اسحق،

قصص الأنبياء المسمّى عرائس المجالس، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.
- الجامعة العربية (صحيفة) عدد ٩ نيسان ١٩٢٨، ٦ مايس / أيار ١٩٢٩.
- ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير،
رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري بيروت - القاهرة د. ت.
- ابن جماعة، محمد بن ابراهيم بن عبدالله أبو البقاء، نجم الدين
الدر النظيم في أخبار سيدنا موسى الكليم، مخطوط تشستر بيتي رقم ٣٤٦١
- جوهرية، يسرى جوهرية : عرنيطة،
الفنون الشعبية في فلسطين، عمان ١٩٨٨.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد، فتح الباري بشرح صحيح الامام أبي عبدالله محمد ابن اسماعيل البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.
- حداد، يوسف أيوب
خليل السكاكيني، حياته، مواقفه، آثاره، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين - لا مكان، سنة ١٩٨١.
- الحسيني، حسن بن عبد اللطيف
تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، تحقيق سلامة صالح النعيمات مطبعة شقير وعكشة، عمان ١٩٨٥.
- الحكيم، يوسف
سورية والعهد العثماني، بيروت د.ت
- الحنبلي، عبد الحي بن العماد
شذرات الذهب، دار الآفاق الجديدة، بيروت د.ت.
- الحنبلي، مجير الدين
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عمان، ١٩٧٣.
- الخطيمي، أحمد
مثير الغرام الى زيارة القدس والشام لشهاب الدين احمد بن محمد المقدسي، رسالة دكتوراة، مخطوطة تتضمّن تحقيقاً لكتاب مثير الغرام، الجامعة اليسوعية، بيروت، ١٩٨٥.

- ابن خلدون ، عبد الرحمـــن
تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩ .

- الخليلي ، محمـــد
وثيقة مقدسية تاريخية ، تحقيق اسحق الحسيني وأمين أبو ليل ، القدس ١٣٩٩/١٩٧٩ .

- الدبـــاغ ، مصطفـــى مـــراد
بلادنا فلسطين ، ج٨ ، ق ٢ ، بيروت ، ١٩٧٤ .

- دفاتر مهمة «مهمه دفتر لرى» العثمانية .

- الدفاع - صحيفة - أعداد ١٨ و١٩ و٢١ و٢٢ و٢٣ و ٢٦ نيسان ١٩٣٥ .

- الذهبي ، محمد بن احمد
دول الاسلام ، ج٢ ، طبعة حيد أباد الدكن .

- الزركلي ، خير الدين :
الأعلام ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠ .

- سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .

- سرحان ، نمـــر
موسوعة الفولكلور الفلسطيني ، الطبعة الثانية (٣ أجزاء) ، عمان ، ١٩٨٩ .

- السيوطي ، شمس الدين محمد
أتحـاف الاخصـا بفضائل المسجد الأقصى ، مخطوط مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، نمرة ٣ .

- السيوطي ، جـلال الديـــن
زهر الربى في شرح سنن النسائي ، القاهرة ١٣١٢هـ .

- شولش ، الكزانـــدر
تحولات جذرية في فلسـطين ١٨٥٦ - ١٨٨٢ ، ترجمـة كامـل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٨ .

- الطبري، محمد بن جرير
تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الأول، دار سويدان، بيروت ١٩٦٧ .

- العابدي، محمـــــود
من تاريخنا (المجموعة الرابعة) عمان، ١٩٧٨ .

- العـــارف، عـــارف
المفصل في تاريخ القدس، القدس، ١٩٦١

- العسلي، كامل جميل
مخطوطات فضائل بيت المقدس، عمان، ١٩٨١ .

- العسلي، كامل جميل
وثائق مقدسية تاريخية، مجلد ١، عمان ١٩٨٣، ومجلد ٢، بيروت - عمان ١٩٨٥ .

- العمري (ابن فضل الله)، أحمد بن يحيى
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٢٤ .

- العياشي، عبدالله بن محمد
رحلة الشيخ الامام أبي سالم عبدالله العياشي، طبع فاس، د. ت .

- غربال، محمد شفيق (اشراف)
الموسوعة العربية الميّسرة، القاهرة، ١٩٦٥ .

- غوشة، صبحي سعد الدين
شمسنا لن تغيب، الجزء الأول، أنغام الحياة، الكويت ١٩٨٨ .

- أبو الفداء، اسماعيل بن علي
المختصر في أخبار البشر، المجلد الخامس، تحقيق رايسكه.

- القاياتي، محمد عبد الجـواد
نفحة البشام في رحلة الشام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١ .

- القـــرآن الكريـــم.

- القسطلاني، أحمد بن محمـــد

ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المجلد الثاني، بولاق ، مصر، ١٢٦٧، المجلد الخامس، بولاق، ١٣٠٤ .

- الكتبي ، محمد بن شاكر

فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر، بيروت، د. ت .

- كلبونة ، عبدالله

مقام النبي موسى ـ أريحا ـ تقرير مؤرخ في ١٩٨٣/٨/١ (ستنسل) .

- الكيالي ، عبد الوهـــاب

تاريخ فلسطين الحديـث ، بيــــروت ١٩٨١ .

- اللقيمي الدمياطي ، مصطفى أسعـــد

موانح الأنس برحلتي لوادي القدس ، مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق .

- مبارك ، علــــي

الخطط التوفيقية الجديدة، بولاق ١٣٠٦/١٨٨٧ ـ ١٨٨٩ .

- مخلـص ، عبدالله

أعلام الاسلام في موطن الأنبياء فلسطين [مخطوط] .

- مخلص ، عبدالله

كيف ومتى بدأ موسم النبيّ موسى عليه السلام ـ مجلة هنا القدس ، العدد ٦ ، السنة ٣ ، بتاريخ ١٩٤٢/٣/٢٩ ، ص ١١ .

- مخلــص ، عبدالله

مئذنة الجامع الأبيض في الرملة ، مجلة الكلية ، آذار ١٩٣١ ، ص ٢١٢ .

- مـردم بك ، خليــــل

أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع ، بيروت ، ١٩٧٧ .

- مرمرجي الدومينكي أ. س.

بلدانية فلسطين العربية ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٧ .

- المسعودي، علي بن الحسين
كتاب التنبيه والاشراف، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٥، (أوفست عن الطبعة التي حققها البارون روزن).

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، المتوفى ٣٤٦ هـ
مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥.

- المقدسي (البشاري) محمد بن احمد
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، لايدن، تحقيق دي خويه، سنة ١٩٠٦.

- المقّري، أحمد بن محمد التلمساني
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

- مناع، عادل
أعلام فلسطين في أواخر العصر العثماني (١٨٠٠ - ١٩١٨)، جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٦.

- منظمة المؤتمر الاسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول
أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، استانبول ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- النابلسي، عبد الغني
الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، مخطوط مكتبة عارف حكمت، في المدينة المنورة.

- النويري، احمد بن عبد الوهاب
نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوط لايدن رقم Or. 2 m

- نيوتن، فرانسيس أميلي
خمسون عاماً في فلسطين، ترجمة وديع البستاني، ط ٢، عمان ١٩٦٧.

- الهروي، علي بن أبي بكر
الاشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سوردل - طومين، دمشق ١٩٥٣.

- الهيئة العربية العليا
نشرة فلسطين، العدد ١٤٦ (أيار ١٩٧٣)

- ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي
معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- اليعقوب، محمد احمد سليم
ناحية القدس الشريف في القرن السادس عشر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦.
- اليعقوبي، احمد بن اسحـــق
تاريخ اليعقوبي، المجلد الأول، دار صادر، بيروت ، د: ت.

Bibliography

- Abu-Manneh, Butrus
  The Husaynis, "The Rise of a Notable Family in 18th Century Palestine" in: *Palestine in the Late Ottoman Period ed.* D. Kushner Jerusalem, 1986.
- Asali, K. (editor)
  Jerusalem in History, Buckhurst Hill, Essex, 1989.
- Baer, Gabriel
  "Jerusalem Notables and the Waqf" in: *Palestine in the Late Ottoman Period,* ed. D.d Kushner, Jerusalem 1986.
- Ben Arieh Y.
  Jerusalem in the Nineteenth Century, The Old City, Jerusalem, 1986.
- Canaan, Tewfik,
  Mohammadan Saints and Sanctuaries in Palestine, Ariel Publishing House, Jerusalem (facsimile of the edition published 1927).
- Canaan, T.
  "Der Kalender des Palästininsichen Fellachen," ZDPV, Vol. XXXVI (1913) PP. 266 - 300.
- Clermont – Ganneau
  Archeological Researches in Palestine, Vol II, London, 1896
- Conder, C.R.
  Tent Work in Palestine, London, 1978.
- Conder C.R., and Kitchener H.H.,
  The Survey of Western Palestine, Vol III, London, 1883.
- Dalman, Gustaf
  Arbeit and Sitte in Palästina, Georg Olm Buchhandlung, Hildesheim, 1964.
- Fabri, Felix
  The Wanderings of Felix Fabri, in *Palestine Pilgrims Text Society,* Vols 9 and 10, AMS Press, New York, 1971.
- Heyd, Uriel
  Ottoman Documents on Palestine 1552-1615 Oxford, 1960.
- Hoade, E,
  Guide to the Holy Land, Jerusalem, 1946.

– Hütteroth W.D. and Abdul Fattah, K.
Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the Late 19th Century, Erlangen 1977.

– Landau, Jacob
Abdul Hamid's Paléstine, Jerusalem, 1979.

– The Macmillan Encyclopedia, London, 1981.

– Mayer L. A.
"Two Inscriptions of Baybars" in *Quarterly of the Dept. of Antiquities in Palestine,* Vol 2 (1932) pp. 27-33.

– Meyers Neues Lexikon, Band 6, Leipzig, 1963.

– The New Encyclopaedia Britannica - Micropaedia, Vol. 7, 1981, article: Feast and Festival , pp. 197-202.

– Peters F. E.
Jerusalem, Princeton, N.J. 1985.

– Polkehn, Klaus
Palästina Reisen in 18 und 19 Jahrhundert, Verlag der Nation, Berlin, 1986.

– Post, George E.,
A Narrative of a Scientific Expedition in the Trans-Jordanic Region in the Spring of 1886 in *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement,* Oct. 1888, p. 178.

– Prawer, Joshua
The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972.

– Ritter, Carl
The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula, translated by W. Gage, New York 1986.

– Schick, Conrad
Die Alten Lauren und Klöster in der Wuste Juda, in *Zeitschrift des deutschen Palestina Vereins,* Vol. III, 1880, p. 16.

– Spoer, Hans
Das Nebi Musa – Fest ZDPV, 32 (1909) p. 220.

– Stephan, St. H.
Evliya Tshelebi's Travels in Palestine – *Quarterly of the Departmen of Antiquities in Palestine,* Vols VIII(1938), IX (1939).

- Suriano, Francesco
  Treatise on the Holy Land, Jerusalem, 1949.
- Van Kasteren,
  Aus der Umgegend von Jerusalem ZDPV (Zeitschrift des deutschen Palestina Vereins), Vol XIII(1890).
- Warren, Charles
  Underground Jerusalem, London, 1876.

الكشـــافات

- كشاف أسماء الأشخاص والعائلات والطوائف
- كشاف الأماكن والمواقع
- كشاف عناوين الكتب والمخطوطات
- كشاف الأعياد والمواسم
- كشاف الأمثال

○ ○ ○ ○ ○ ○

- رتبت الأسماء في كشاف أسماء الأشخاص والعائلات حسب تسلسل الحروف الهجائية، وأهملت الكلمات «أبو»، «ابن»، «أل» في الترتيب وبقيت رسماً فقط. وقد اعتمد المقطع الأخير من الاسم في الترتيب. أما ترتيب الكلمات في الكشافات الأخرى فتم ترتيبها حسب تسلسل الحروف الهجائية. وقد اعتمدت جميع الكلمات في الترتيب باستثناء «أل» حيث أهملت، وبقيت رسماً فقط.

كشاف أسماء الأشخاص والعائلات والطوائف

(آ)

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

كشاف الاماكن والمواقع

(آ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

○ ○ ○ ○ ○ ○

كشاف عناوين الكتب والمخطوطات

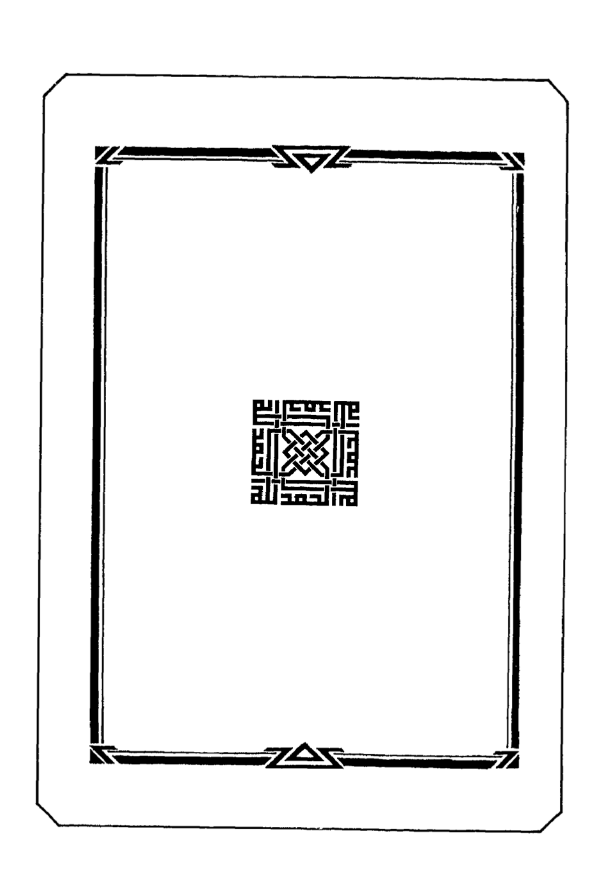
○ ○ ○ ○ ○ ○

كشاف الأعياد والمواسم

o o o o o o

كشاف الأمثال

○ ○ ○ ○ ○ ○



رقم الايداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية
(١٤٥/٣/١٩٩٠

Publications of the University of Jordan



The Nebi Musa Feast in Palestine

A History of the Feast and the Sanctuary

by

Kamil J. Asali

First Edition

Amman, 1990

Publications of the University of Jordan



The Nebi Musa Feast in Palestine

A History of the Feast and the Sanctuary

By : Kamil J. Asali

Amman, 1990